إقـــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الرضـــا في العقيدة الإسلامية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحث لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: اسم الطالب : هالة رمضان ديب العصار

Signature: التوقيع: هالة رمضان العصار

Date: التاريخ: 2013/9/17م

الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



الرضا في العقيدة الإسلامية

إعداد الطالبة

هالة رمضان ديب العصار

إشراف الأستاذ الدكتور

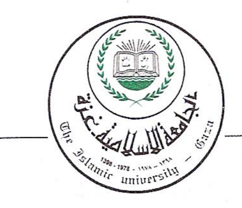
جابر زايد عيد السميري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة

١٤٣٤هـ-٢٠١٣م



الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza



عمادة الدراسات العليا

هاتف داخلي: 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref

التاريخ 2013/05/11 Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **هالة رمضان ديب العصار** لنيل درجة الماجستير في **كلية** ***أصول الدين***/ **قسم العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

الرضا في العقيدة الإسلامية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 01 رجب 1434هـ، الموافق 2013/05/11م الساعة العاشرة صباحًا بمبنى اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. جابر زايد السميري	**مشرفاً ورئيساً**	....
د. أحمد جابر العمصي	**مناقشاً داخلياً**	....
د. سيف الدين يوسف خشان	**مناقشاً خارجيًا**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية** ***أصول الدين***/ **قسم العقيدة الإسلامية.**

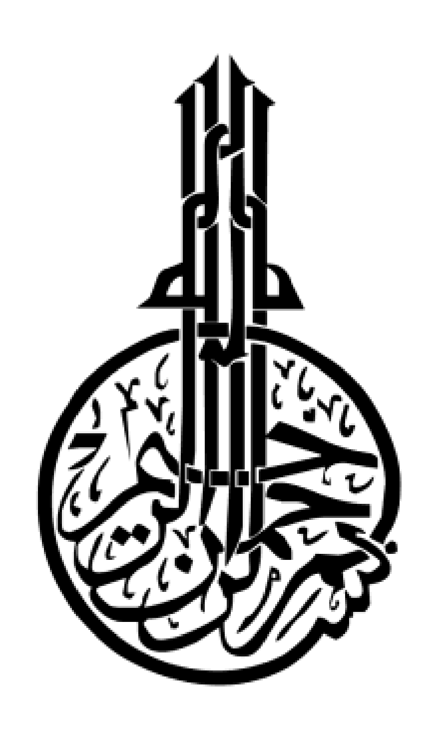
واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد الدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف Tel: +970 (8) 286 0700 فاكس fax: +970 (8) 286 0800 P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps



قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾ [البينة:٨]

۞۞۞۞۞۞۞

الإهداء

إلى طبّ القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها

محمد ﷺ

إلى ملاكي في الحياة .. بسمة الحياة وسر الوجود

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي

إلى من علمتني العطاء بدون انتظار

أمي الحبيبة

إلى من كلّت أنامله ليقدم لي لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير

أبي الحبيب

إلى من هم أقرب إليّ من روحي وبهم أستمد عِزّتي وإصراري

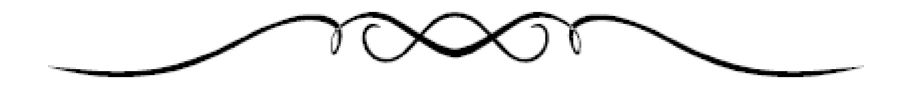
أشقائي وشقيقاتي

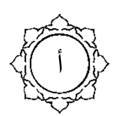
إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي.. ينابيع الصدق الصافي

صديقاتي

إلى كل من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً

أهدي بحثي هذا





شكر وتقدير

أحمد الله تعالى، وهو للحمد أهل، أن وفقني لإنجاز هذا العمل، على ما فيه من ضعف البشر، وقصر النظر، فما كان فيه من صواب وتسديد فهو محض فضله ﷻ ومنّته علي، وإن كانت الأخرى فمن نفسي وأستغفر الله، ولا عدمت أخاً ناصحاً وقف على شيء من ذلك فنبهني إليه مشكوراً مأجوراً.

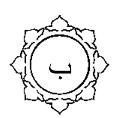
وانطلاقاً من قوله ﷻ: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧]؛ فإنني أتقدم بالشكر الجزيل إلى شيخي ومعلمي ومشرفي صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور/ جابر زايد السميري، على ما أولاني به من رعاية سابغة، وقد أفدت من توجيهاته الكريمة، وملاحظاته النافعة، واستدراكاته القيّمة، الأمر الذي كان له أكبر الأثر على هذه الرسالة وخروجها بهذه الصورة، فالشكر له موصول غير مقطوع، والتقدير له ممدود غير مجذوذ، وجزاه الله عني خيراً، ونضّر منه وجهاً، وبوّأه من الجنة غرفاً.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لأستاذيّ الكريمين، الدكتور/ أحمد جابر العمصي، والدكتور/ سيف الدين يوسف خشان – حفظهما الله – لتفضلهما بقَبول مناقشة هذه الرسالة وعلى ما بذلاه من جهد في قراءتها وتصويبها وتنقيحها لتخرج بأبهى حُلّة؛ فجزاهما الله خيراً.

والشكر كله والعرفان والتقدير إلى والديّ الحبيبَين العزيزين الغاليين، اللّذين ذلّلا لي الصعاب وهيّئا لي الأسباب، واكتنفاني بعطفهما، وغمراني بحبهما؛ أشكر والدي الغالي لتفضله بترجمة ملخص الرسالة إلى اللغة الإنجليزية، وأشكر والدتي الحبيبة لتفضلها بمراجعة الرسالة وتصويبها وتدقيقها لُغوياً؛ فاللهَ تعالى أسأل أن يرحمهما كما ربياني صغيراً، وأن يرفع درجاتهما في الدنيا والآخرة، ويجزيهما عني خير ما جزى والِدَين عن ولدهما.

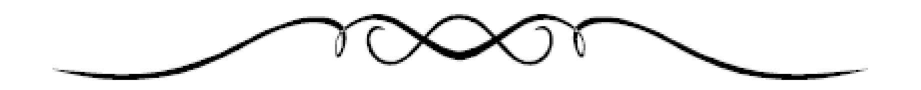
والشكر موصول إلى كل من ساعدني في هذا البحث، بإشارة أو عبارة أو معلومة، وإن كنتُ أخص أحداً بذكر – وكلهم أهلٌ لذلك – فإنني أشكر الأختين العزيزتين/ رنا أبو حبيب وميسر أبو عمرة على جهدهما المتواصل معي وإرشاداتهما العلمية الطيبة طيلة فترة الكتابة، فجزاهما ربي خيراً.

كما أشكر شيخي الأستاذ/ عائد أبو غليون، الذي أفادني بتوجيهاته الكريمة في عدد من المسائل التي أشكلت عليّ؛ فبارك الله له في علمه وعمله ونفعنا به.



وأصِلُ الشكر بباقة من الزهور إلى جميع صديقاتي ورفيقات دربي، اللواتي دعمنني بالدعاء والتحفيز فأسأله ﷻ أن يجمعني بهن على منابر من نور يوم القيامة.

ولا يفوتني في هذه المقام أن أتقدم بالشكر للصرح الشامخ الجامعة الإسلامية، ممثلة في كلية أصول الدين وأعضاء هيئتها التدريسية، وقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وقسم الدراسات العليا، على ما يقدمونه من خدمة ورعاية للعلم وأهله وطلبته، فجزى الله الجميع خير الجزاء، وأجزل لهم في الدارين العطاء، وأسأله جلّ في علاه أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه، ويجعله موجباً للفوز برضاه وعفوه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أحمده تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السموات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد، وأثني عليه الخير كله، خلق فسوى، وقدر فهدى، من طلبه أعطاه، ومن استهداه هداه، ومن شكره زاده، ومن ذكره في ملأ ذكره في ملأ خير من ملئه، فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد إذا رضي، وله الحمد بعد الرضا، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، المبشر بجنانه، المنذر من سخطه ونيرانه، ﷺ وعلى آله وصحبه المقتفين سنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد رسم الإسلام للإنسان منهج حياته الذي يضمن به السعادة والخير كله في الحياة الدنيا والآخرة، ومنهج الإسلام يقوم على أساس متين وبأسلوب حكيم؛ ليتعمق اليقين في الوجدان ويترسخ في الأعماق، ومن منهج الإسلام أن يكون المسلم راضياً بكل ما قسمه الله تعالى له.

إن شعور المسلم بالرضا عن خالقه ونفسه وعن الكون والوجود والحياة من أول أسباب السكينة النفسية التي هي سر السعادة؛ فرضاه عن نفسه يعني أنه ذو خلق عظيم ومكانة مرموقة في الكون، فهو لم يخلق عبثاً إنما خلق لعبادة ربه وتقديسه؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ورضاه عن ربه وخالقه بأن يعتقد بوجود ربه وخالقه ويؤمن به حق الإيمان ويؤمن بكماله وعدله ورحمته، وأنه بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وهذا الاعتقاد يبعث في نفس المؤمن الرضا، ويذوق منه حلاوة الإيمان، كما جاء في حديث رسول الله – ﷺ: **(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً)**[(١)].

وقد أثنى الله على المؤمنين فكافأهم على إيمانهم رِضاهُ عنهم ورضاهم عنه؛ فقال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، ورضا المؤمن عن الكون باعتقاده أن هذا الكون الفسيح هو من صنع الله الذي أتقن كل شيء، ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠].

فإن تحقق للمسلم رضاه عن كل ما سبق، حينئذٍ لا نزاع مع النفس ولا سخط على الأقدار ولا شك في أمر الله وفعله؛ لأن الشاك في أمر الله لا يذوق للسرور طعماً والساخط على نفسه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، (ص٤٨/ح٣٤).

وربه في غم وحزن وكآبة دائمة، وهكذا يكون الفرق شاسعاً بين المؤمن الذي ينظر بنور الله؛ ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:٢٢]، وبين المرتاب في نفسه المخاصم لربه المنكر آخرته؛ فإنه يعيش في ضيق الصدر والوحشة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

ومن هنا فإن هذا البحث جاء ليعالج موضوع الرضا في العقيدة الإسلامية، ويحاول تقديم دراسة علمية حول هذا الموضوع باعتبارين أساسيين، وهما:

أولاً: الرضا صفة لله ﷻ ثابتة بالأدلة الشرعية والرد على من تأولها وصرفها عن حقيقتها، أو فهمها على غير الوجه الذي ينبغي؛ فزاغت عن الحق عين بصيرته فما اهتدى إلى الرشاد، ثم يعرض البحث أسباب وموانع رضا الله ﷻ عن عباده.

ثانياً: الرضا عمل من أعظم وأهم أعمال القلوب، إذ إنه متعلق بأمرين هامّين؛ أولهما: عقيدة الولاء والبراء فهو علامة على صحة إيمان العبد، خاصة إذا تبين لنا حدوث خلل واضح اليوم في المجتمع المسلم في الرضا عمن لا يستحق من الخلق من المشركين والمنافقين وأعداء الدين، وأن يعيَ العبد أن هذا يحدث شرخاً في عقيدته، بل و قد ينقض الإيمان بالكلية، والآخر: الرضا بالقضاء والقدر وما فيه من مسائل دقيقة تدلُّ على قوة إيمان العبد أو ضعفه.

إن موضوع الرضا وما يتعلق به من مسائل عقدية من الأمور الدقيقة التي لا يمكن أن يحيا المرء بدونها؛ لذا كان من الضروري أن يفرد لها بحث يبينها، ويأتي هذا البحث كمساهمة من الباحثة في بيان حقيقته، خدمةً للإسلام والمسلمين، وهو بعنوان: " الرضا في العقيدة الإسلامية"؛ فنسأل الله الإعانة والسداد.

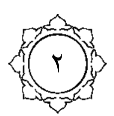
أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

١. الرضا في القرآن الكريم والسنة النبوية قد جاء منسوباً إلى الله، وجاء أيضاً منسوباً إلى العبد؛ فكان هذا البحث لاستيضاح المعنى في ذلك.

٢. تقديم تصور إسلامي واضح المعالم حول الرضا باعتباره صفة لله ﷻ ، والرد على من حاول تأويله أو فهمه بشكل خاطئ.

٣. تعلق الرضا بأمر من أهم أمور الدين ألا وهو الولاء والبراء، باعتباره أساساً لصحة هذا المبدأ، كما أنه سبب لتذوق حلاوة الإيمان.

٤. الرضا بالقضاء والقدر علامة على قوة إيمان العبد، ومَجلبةٌ لرضا الله عنه.



ثانياً: الدراسات السابقة.

لم تقف الباحثة على كتاب علمي شامل بجميع مفردات هذا البحث، إلا أنها توجد بحوث ذات صلة بموضوع البحث، منها:

١. رسالة ماجستير بعنوان: **الرضا في القرآن الكريم** " تفسير موضوعي "، للباحثة حنان أحمد محمد الجبلي، جامعة الإيمان، كلية الإيمان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، وقد كان من ضمن توصيات الباحثة في خاتمة بحثها أن يُكتب في موضوع الرضا قائلة:" **أن موضوع الرضا موضوع عقدي لا يُكتفى فيه بكتب التفسير فقط** ".

٢. بحث محكم بعنوان: **صفة الرضا بين الإثبات والتعطيل وأثر الإيمان بها في حياة المسلم**، د.سالم بن محمد القرني، جامعة الملك خالد، كلية الشريعة وأصول الدين.

٣. بحث محكم بعنوان: **الرضا بالقضاء والقدر**، د. سالم بن محمد القرني، جامعة الملك خالد، كلية الشريعة وأصول الدين.

وقد تميّزت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بما يلي:

١. جمعت هذه الدراسة موضوع الرضا من جميع جوانبه العقدية والأخلاقية والإيمانية وحتى بعض المسائل الفقهية.

٢. تظهر الدراسة منهج السلف في هذا الموضوع، وتردّ على شبهات المخالفين بأسلوب علمي.

٣. تناولت الدراسة مفاهيم لم تُطرق من قبل في الموضوع كعلاقة صفة الرضا بباقي صفات الله تعالى، وعلاقة الرضا بالولاء والبراء عند العباد.

ثالثاً: منهج البحث.

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي(١).

رابعاً: طريقة البحث.

١. عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية ، و جعل ذلك إثر كل آية، وليس في الحاشية وتمييزها بوضعها بين هلالين بهذا الشكل ﴿ ﴾.

---

(١) **المنهج الوصفي التحليلي:** هو المنهج الذي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً يعبر عنها تعبيراً كيفياً أو تعبيراً كمياً، (انظر: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري ، دار الفكر المعاصر – بيروت/دمشق، الطبعة الأولى، (ص١٨٣).

٢. تخريج الأحاديث النبوية وذلك بعزوها إلى مظانها من كتب السنة؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليه، وإلا عزوته إلى من خرّجه من بقية الستة ونقلتُ حكم العلماء عليه إن وُجد، وحيث كان في أحد الستة لم أعزه إلى غيرها إلا لغرض صحيح بأن يكون في كتاب التزم مُخرِّجه الصحة أو يكون أقرب إلى لفظه، وتمييز الحديث النبوي الشريف بوضعه بين هلالين بهذا الشكل ( ).

٣. كل كلام موضوع بين علامتي تنصيص فهو منقول بنصه، وإذا تصرفت فيه بحذف بعضه أشرت إلى ذلك في الهامش عقب الإحالة بلفظة: (بتصرف)، أما إذا كان الكلام منقولاً بمعناه أو بتصرف كثير، نحو تقديم وتأخير وتغيير في بعض العبارات والتراكيب، لم أضعه بين علامتي التنصيص، ثم صدّرت الإحالة بلفظة: (انظر).

٤. توثيق المعلومات في الحاشية على النحو التالي: اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم المحقق إن وجد، دار النشر، بلد النشر، رقم الطبعة إن وجد، تاريخ النشر، رقم الجزء والصفحة؛ وقد استثنيت من ذلك كتب تخريج الأحاديث، واكتفيت بذكر الكتاب والباب ورقم الجزء والصفحة والحديث، وأخّرت توثيقها كاملاً إلى فهرس المصادر والمراجع؛ إذ إنه أدعى للوضوح وأبعد عن الإطالة.

٥. التزمت بعدم الإحالة في حال تكرار الاستشهاد بالحديث، إنما خرّجتُ كل حديث في موضعه.

٦. إذا تكرر الاقتباس من المرجع أكثر من مرة؛ فإنه يتم اختصار التوثيق بذكر اسم الكتاب ورقم الصفحة.

٧. حين الاقتباس من مواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، يكون التوثيق بذكر اسم الموقع، يوم وتاريخ الاقتباس.

٨. لم ألتزم بترجمة جميع الأعلام المذكورين وإنما ترجمت لأكثرهم، أما الصحابة فعدول ثقات؛ لذا لم أترجم لأي صحابي.

٩. قمت بشرح ما رأيت الحاجة إلى شرحه من الألفاظ الغريبة.

١٠. ذيلت البحث بفهارس توضيحية هي: فهرس الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث، فهرس الآثار، فهرس الأعلام المترجم لهم، فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

خامساً: خطة البحث.

تشتمل خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

المقدمة: تشتمل على أهمية البحث وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج الباحثة فيه، وطريقة البحث، وخطة البحث.

التمهيد.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم الرضا.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرضا لغة.

الطلب الثاني: الرضا اصطلاحاً.

المبحث الثاني: نظائر كلمة الرضا في القرآن والسنة.

الفصل الأول: **رضا الله** سبحانه وتعالى.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: صفة الرضا والأدلة على إثباتها.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأدلة من القرآن الكريم على صفة الرضا.

المطلب الثاني: الأدلة من السنة النبوية على صفة الرضا.

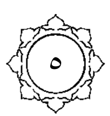
المطلب الثالث: الأدلة من الإجماع على صفة الرضا.

المطلب الرابع: دلالة العقل على صفة الرضا.

المطلب الخامس: دلالة الفطرة على صفة الرضا.

المبحث الثاني: مذهب السلف في إثبات صفة الرضا.

وفيه مطلبان:



المطلب الأول: اعتقاد السلف في صفة الرضا لله ﷻ.

المطلب الثاني: علاقة صفة الرضا ببعض صفات الله ﷻ.

المبحث الثالث: مذاهب المخالفين في صفة الرضا والرد عليهم.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مذهب المعتزلة في صفة الرضا.

المطلب الثاني: مذهب الأشاعرة في صفة الرضا.

المطلب الثالث: مذهب الماتوريدية في صفة الرضا.

المطلب الرابع: مذهب الشيعة الإمامية في صفة الرضا.

المطلب الخامس: شبهات المخالفين في نفي صفة الرضا والرد عليهم.

المبحث الرابع: رضا الله ﷻ.. أسبابه وموانعه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب رضا الله ﷻ عن العباد.

المطلب الثاني: موانع رضا الله ﷻ عن العباد.

الفصل الثاني: رضا العباد وعلاقته بمسائل الاعتقاد.

و فيه أربعة مباحث:

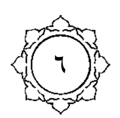
المبحث الأول: رضا العباد.. حقيقته وفضله ومنزلته.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الرضا.

المطلب الثاني: فضل الرضا.

المطلب الثالث: منزلة الراضي.



المبحث الثاني: الرضا وعلاقته بمسائل القضاء والقدر.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مذهب السلف في الرضا بالقضاء والقدر.

المطلب الثاني: مذاهب المخالفين في الرضا بالقضاء والقدر.

المبحث الثالث: الرضا وعلاقته بمسائل الولاء والبراء.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرضا وعلاقته بمسائل الولاء.

المطلب الثاني: الرضا وعلاقته بمسائل البراء.

المبحث الرابع: ثمرات الرضا اليانعة.

الخاتمة: وفيها النتائج التي خلصت إليها الباحثة من خلال هذه الدراسة، وأهم التوصيات التي تخدم غرض البحث.

الفهارس العامة:

فهرس الآيات القرآنية.

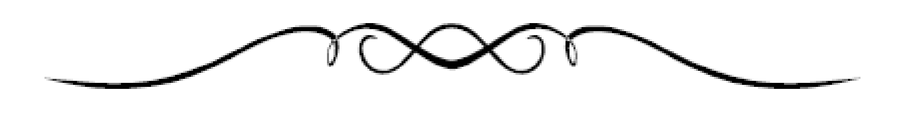
فهرس الأحاديث النبوية.

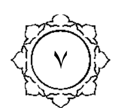
فهرس الآثار.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.



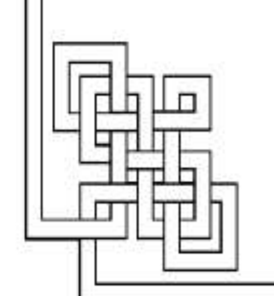
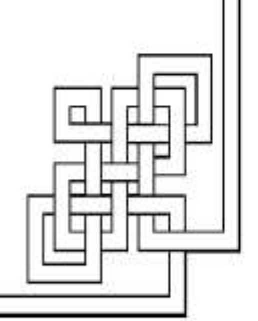




التمهيد

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: مفهوم الرضا.
- المبحث الثاني: نظائر كلمة الرضا في القرآن والسنة.

المبحث الأول: مفهوم الرضا.

المطلب الأول: الرضا لغة.

الرضا: مقصور، مصدر رضي يرضى، وهو ضد السخط، والسخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به، والرضا من صفات القلب والذات ومن صفات الأفعال[1].

ورضي عنه وعليه، ورضيْتُ الشيءَ ارتضيتُه، فهو مرْضيٌّ ومَرْضو، والرضا متضمنٌ معنى الحب والإقبال، ويُعدّى به على، حملاً للشيء على نقيضه.

وفي التنزيل ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة:١١٩]، ومعناه رَضِيَ عنهم أنفسهم، ورضي أفعالهم، ورضوا عن ربهم وعما جازاهم به.

وأرضاه أعطاه ما يرضى به، عكس ترضّاه: أي طلب رضاه، وقيل ترضّاه: أرضاه بعد جهد.

قال الشاعر:

إذا العجوز غضِبَت فطلّق... ولا تَرَضّاها ولا تَمَلَّق

والمرضاة مثله مصدر، ويُمدّ الرِّضاء إذا كان بمعنى المراضاة، والرِّضوان بالكسر، والرُّضوان بالضم لغة قيس وتميم بمعنى الرضا، فهو راضٍ من قومٍ رُضاة، ومنه قول الشاعر:

إذا رضيت عليّ بنو قشير... لعمر الله أعجبني رضاها

ولا تنبو سيوف بني قشير... ولا تمضي الأسنّة في صفاها

فقد عدّى الرضا بعلى؛ لأنه إذا رضيَتْ عنه أحبّته وأقبلَتْ عليه، ولما كان رضيت ضد سخطت، عدّى رضيَت بعلى، حملاً للشيء على نقيضه كما يحمل على نظيره؛ فلذلك استعمل على بمعنى عن، والرّضي: المرضيّ، قال سيبويه: وقالوا عيشة راضية على النسب أي ذات رضا[2].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوى–محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م، (٢/٢٣٢).

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ، (١٤/٣٢٣–٣٢٤)، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، (١/١٢٤)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحموي، المكتبة العلمية – بيروت، (١/٢٢٩)، تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٣٨/١٥٦–١٦٠).

المطلب الثاني: الرضا اصطلاحاً.

أولاً: معنى الرضا في حق الله سبحانه وتعالى .

يختلف تعريف الرضا في حقّ الله ﷻ عن الرضا في حق العبد ؛ فرضا الله ﷻ صفته، ومعنى رضاه معلوم، وكيفيته مجهولة، والإيمان برضا الله واجب على ما يليق به ﷻ.

وقد اختلف العلماء في معنى الرضا من الله ﷻ، وفي هذا يقول الإمام الطبري(١) في تفسيره: "واختلف في معنى الرضا من الله ﷻ، **فقال بعضهم:** الرضا منه بالشيء، القبول له والمدح والثناء. قالوا: فهو قابل الإيمان، ومُزَكٍّ له، ومثنٍ على المؤمن بالإيمان، وواصفٌ الإيمانَ بأنه نور وهُدًى وفصْل.

وقال آخرون: معنى" الرضا " من الله ﷻ، معنى مفهوم، هو خلاف السخط، وهو صفة من صفاته على ما يعقل من معاني: " الرضا " الذي هو خلاف السخط، وليس ذلك بالمدح؛ لأن المدح والثناء قولٌ، وإنما يثنى ويمدح ما قد رُضِي؛ قالوا: فالرضا معنًى، والثناء والمدح معنًى ليس به " (٢).

والصحيح القول الثاني؛ لأن الله ﷻ عظيم، ومهما تخيل العبد من معاني العظمة فالله أعظم مما قد يُتخيل، وكذلك صفته، ولو تخيل الإنسان عظمة صفات الله، فصفاته ﷻ أعظم مِمّا قد يُتخيل وكمالها أكبر مما قد يتخيل من الكمال، فله الكمال المطلق وصفاته كمال مطلق ﷻ (٣).

---

(١) **ابن جرير الطبري:** هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين، لم يقلد أحداً، وكان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها، وكانت ولادته سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ. (انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م، (١٩١/٤-١٩٢)، الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م، (ص١٤٤).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، (١٤٥/١٠).

(٣) صفة الرضا بين الإثبات والتعطيل وأثر الإيمان بها في حياة المسلم، د: سالم القرني، (ص٦).

قال ابن تيمية [1] ﷺ: " **حَقِيقَة الرب لَا يتصورها العَبْد، من تصور شَيْئاً اعْتقد أنه حَقِيقَة الرب فَالله بِخِلَاف ذَلِك** " [2].

ومعنى الرضا معلوم لكن كيفيته مجهولة، والإيمان برضا الله واجب بما يليق بالله ﷻ، والسؤال عنه بدعة، فالرضا صفته ﷻ معلوم معناها، نثبتها على مراده ﷻ على الحقيقة دون تحريف أن تكييف أو تمثيل.

قال ابن خزيمة [3]: " إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى نقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل الصفات لله تعالى والمعرفة والإيمان به والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله ونبيه الرسول ﷺ عن كتابه مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف"[4].

ثانياً: معنى الرضا في حقّ العبد.

جاء في تعريف رضا العبد أقوال كثيرة؛ نذكر منها ما يلي:

1. " الرضا ارتفاع الجزع في أي حكم كان"[5].

---

(١) **ابن تيمية:** هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ابن تيمية، الشيخ الإمام العالم العلامة المحدث شيخ الإسلام نادرة العصر، وتيمية لقب جده الأعلى، ولد بحران، عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين، كان كثير البحث في فنون الحكمة، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، أفتى ودرّس وهو دون العشرين، وبلغت تصانيفه أربعة آلاف كراسة، طُلِب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ ، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مائة. (انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، (٢٢/٢٩٠)، الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، (٦/٦٩)، الأعلام للزركلي، (٧/٢٤-٣٠)).

(٢) الاستقامة، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، (١/١٣٧).

(٣) **ابن خزيمة:** هو أبو بكر، محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، إمام نيسابور في عصره، كان فقيهاً مجتهداً، عالماً بالحديث، مولده ووفاته بنيسابور(٢٢٣-٣١١هـ)، رحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر، ولقبه السبكي بإمام الأئمة، تزيد مصنفاته على ١٤٠، منها كتاب التوحيد وإثبات صفة الرب و صحيح ابن خزيمة. (انظر: الأعلام للزركلي، (٦/٢٩)).

(٤) ذم التأويل، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، (ص١٨).

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، (٢/١٨٥).



٢. وقيل: " الرضا رفع الاختيار "[١].
٣. وقيل: " الرضا سكون القلب تحت مجاري الأحكام" [٢].
٤. وقال بعضهم: " الرِّضَا تَرْكُ الْخِلَافِ عَلَى اللهِ فِيمَا يُجْرِيهِ عَلَى الْعَبْد " [٣].
٥. وقيل: " الرضا سرور القلب بِمُرِّ القضاء " [٤].
٦. وقيل: " الرِّضَا لَا يَتَمَنَّى خِلَافَ حَالِهِ " [٥].
٧. وقيل: " الرِّضَا اسْتِقْبَال الْأَحْكَام بالفرح " [٦].
٨. وقيل: " الرِّضَا نظرُ الْقلب إِلَى قديم اخْتِيَار الله للْعَبد؛ فَإِنَّهُ اخْتَار لَهُ الْأَفْضَل " [٧].
٩. ولما سُئِل أحدهم عن الرضا قال: " الرضا به مدبراً ومختاراً، والرضا عنه قاسماً ومعطياً، والرضا له إلهاً ورباً " [٨].
١٠. وقال آخر: " من لم يندم على ما فات من الدنيا، ولم يتأسف عليها " [٩].
١١. وقال بعضهم: " معنى الرضا فيه ثلاثة أقوال: ترك الاختيار، وسرور القلب بمر القضاء، وإسقاط التدبير من النفس حتى يحكم لها عليها " [١٠].

ونخلص إلى تعريف الرضا من العبد تبعاً لمعناه في اللغة، ومما سبق من هذه الأقوال جميعاً؛ فنقول: **الرضا هو سكون القلب وتسليمه بأمر الله، وحمده على ما قضاه، والقناعة بما قسم قلّ أو كثر، وترك الجزع والسخط على ما قدّر وحَكَم، والتوكل عليه في جميع أحواله، واليقين بأن الله تعالى لا يختار إلا الخير لعباده؛ لحكمة لا يعلمها إلا هو ﷻ.**

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، شمس الدين السفاريني، مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م، (٢/٥٣١).

(٣) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد – الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م، (١/٣٩٣).

(٤) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، (ص١١١).

(٥) الرضا عن الله بقضائه، ابن أبي الدنيا، تحقيق: ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية – بومباي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، (ص٥٨).

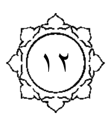
(٦) التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر الكلاباذي، دار الكتب العلمية – بيروت، (ص١٠٢).

(٧) المصدر السابق نفسه.

(٨) شعب الإيمان، (١/٣٩٦).

(٩) المصدر السابق، (١/٣٩٧).

(١٠) المصدر السابق، (١/٣٩٦).



المبحث الثاني: نظائر(١) كلمة الرضا في القرآن والسنة(٢).

وردت كلمة الرضا بألفاظ متعددة تحمل نفس المعنى أو قريب منه في القرآن الكريم والسنة النبوية، نذكر منها ما يلي:

١. الركون.

الركون لغة: رَكَنَ إلى الشيء، وركَن يركَن ويركِن رُكناً ورُكوناً، أي مال إليه وسكن، والركون للشيء السّكُون إليه بالحب لَهُ والإنصات إِلَيْهِ ونقيضه النفور عَنهُ (٣).

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود:١١٣].

يقول الإمام الطبري رحمه الله **في تفسير الآية:** "ولا تميلوا أيها الناس إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم"(٤).

---

(١) **النظائر لغة:** جمع نظير، وهو المماثل والشبيه، يقال: فلان نظير فلان إذا كان مثله وشبيهه، قال ابن فارس:" هذا نظيرُ هذا، من هذا القياس؛ أي إنَّه إذا نُظِرَ إليه وإلى نَظِيرِهِ كانا سواءً ". (معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، طبعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٤٤٤/٥)).

ومن ذلك قول ابن مسعود: " لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقوم بها عشرين سورة من المفصل "، قال ابن حجر: " يريد السور المتماثلة في المعاني كالموعظة أو الحكم أو القصص، لا المتماثلة في عدد الآي، لما سيظهر عند تعيينها "، قال المحب الطبري: " كنت أظن أن المراد أنها متساوية في العدّ، حتى اعتبرتها فلم أجد فيها شيئًا متساويًا". (انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (ج٢/ (ص٢٥٨-٢٥٩))، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م).

اصطلاحاً: لعل التعريف الاصطلاحي الأقرب إلى التعريف اللغوي هو الذي عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية موضحاً الفرق بين الوجوه والنظائر ؛ فقال: " **الوجوه في الأسماء المشتركة والنظائر في الأسماء المتواطئة** " (مجموع الفتاوى (٢٧٦/١٣))، وقال في موضع آخر " **النظائر اللفظ الذي اتفق معناه في الموضعين وأكثر، والوجوه: الذي اختلف معناه** "، (مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، (٤٢٣/١٧)).

وهذا ما ذهب إليه الزركشي فقال: " **فالوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة والنظائر كالألفاظ المتواطئة** "، (البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (١٠٢/١)).

(٢) انظر : صفة الرضا بين الإثبات والتعطيل ، (ص٤-٥).

(٣) انظر: مختار الصحاح (١٢٨/١)، لسان العرب (١٨٥/١٣)، الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة - القاهرة، (٣١٠/١)، النهاية في غريب الحديث والأثر، (٢٦١/٢).

(٤) جامع البيان، (٥٠٠/١٥).



وقال ابن كثير[١]: " لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم"[٢].

٢. العُتبى.

العُتبى بالضم بمعنى الرضا، والاستعتاب: طلبك إلى المسيء الرجوع عن إساءته، واستعتب فلان: إذا طلب أن يعتب أي يرضى، يُقال: استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني.

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **(لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ)**[٣]، أي يرجع عن الإساءة ويطلب الرضا.

والمعتَبْ: المَرْضِي، ومنه يُفهم وصف الله ﷻ لحساب الكفار يوم القيامة، حيث يقول ﷻ: ﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[النحل:٨٤]؛ أي لا يرضون، ويفهم من هذا أن المؤمن يُستَعتب، أي يُطلب منه الْعُتْبى، وقال بعضهم:

تَبَادَلْنَ العتابَ على ارتياب... وصَفْوُ الوُد يُعْرَفُ بالعتابِ [٤]

٣. القَنَاعة.

القناعة بالفتح بمعنى الرضا بالقسم، وقد قنِع بالكسر، يقنِع قنوعاً وقناعة إذا رضي، وقنَعَ بالفتح يقنَع قنوعاً إذا سأل، وأقنعه الشيء أي أرضاه، وقال بعض أهل العلم: إن القنوع أيضاً قد يكون بمعنى الرضا، و القانع بمعنى الراضي، قال الشاعر:

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه... ومنهم شقي بالمعيشة قانع

ومنه قوله ﷻ: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج:٣٦]، وهو من القنوع: الرضا باليسير من العطاء[٥].

---

(١) **ابن كثير:** هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق، وتناقل الناس تصانيفه في حياته، من كتبه البداية والنهاية، وشرح صحيح البخاري، وتفسير القرآن الكريم وغيرها كثير، (انظر: الأعلام للزركلي، (ص٣٢٠)).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، (٣٥٤/٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التّمني، باب ما يُكرَه من التّمنّي، (ج١٨/ص١٩٨/ح٧٢٣٥).

(٤) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (٤٠١/٣).

(٥) انظر: مختار الصحاح (٢٦١/١)، لسان العرب (٢٩٨/٨)، تاج العروس (٩٠/٢٢).

ومن الأحاديث الواردة في بيان فضل الرضا بالقليل من الرزق، ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: **(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ)**[1]، أي أرضاه بما قسم له من الرزق.

وقد روي عن أبي سليمان الداراني المتصوف أنه قال: " **إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض**"؛ قال ابن تيمية رحمه الله معلقاً على هذا القول: " وذلك أن العبد إنَّما يمنعه من الرضا والقناعة طلب نفسه لفضول شهواتها... فإذا سلا عن شهوات نفسه رضي بما قسم الله له من الرزق"[2]، وهذا معناه الطمأنينة إلى أحكام الله وأوامره، والانتهاء عما نهى الله عنه.

وفي المثَل: خير الغنى القُنُوع وشر الفقر الخضوع، ويجوز أن يكون السائل سمي قانعاً؛ لأنه يرضى بما يُعطى قلّ أو كثر ويقبله ولا يرده، فيكون معنى الكلمتين راجعاً إلى الرضا [3].

٤. القِنَى.

القِنَى: بمعنى الرضا، وقنِي الرجُل – بالكسر – قِنَى، بوزن رضا، أي صار غنياً، وراضياً، قنّاه الله وأقناه: أرضاه أو رضّاه، ويقال: أعطاه الله وأقناه: أي أعطاه ما يسكن إليه، ويقال: قنيت به أي رضيت به [4].

ومنه ما في القرآن الكريم أنه ﷻ المعطي، والذي يجعل المعطَى راضياً بما أعطاه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم:٤٨]، قال ابن عباس: " أغنى وأقنى أعطى فأرضى" [5]، وقال سفيان: " أَغْنَى بِالْقَنَاعَةِ وَأَقْنَى بِالرِّضَا " [6].

وذُكر عن العرب أنها تقول: " **مَنْ أَعْطَى مِائَةً مِنَ الْبَقَرِ فَقَدْ أَعْطَى الْقِنَى، وَمَنْ أَعْطَى مِائَةً مِنَ الضَّأْنِ فَقَدْ أَعْطَى الْغِنَى** " [7].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، (ص٤٠٤/ح١٠٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٦٨٦/١٠)، الاستقامة (٨٠/٢)، بتصرف.

(٣) انظر: مختار الصحاح (٢٦١/١)، لسان العرب (٢٩٨/٨)، النهاية في غريب الحديث والأثر (١١٤/٤)، تاج العروس (٩٠/٢٢).

(٤) انظر: مختار الصحاح (٢٦١/١)، لسان العرب (٢٠٢/١٥)، تاج العروس (٣٥٧/٣٩).

(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، (٣١٧/٤).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، (١١٩/١٧)، المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٢هـ، (٦٨٦/١).

(٧) فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب–دمشق، بيروت، الطبعة الأولى–١٤١٤هـ(١٤١/٥).

٥. الحمد.

ويُذكَر الحمد بمعنى الرضا، يقال: بلوته فحمدته، أي رضيته.

ومنه قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩]، أي مرضيّاً، ويقال: أحمد إليكم كذا: أي أرضاه لكم [١].

قال ابن تيمية ﵀: " والرضا وإن كان من أعمال القلوب فكماله هو الحمد، حتى إنّ بعضهم فسر الحمد بالرضا؛ ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله على كل حال، وذلك يتضمن الرضا بقضائه " [٢].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١)، لسان العرب (١٥٧/٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٣٧/١

(٢) مجموع الفتاوى، (٤٣/١٠).



الفصل الأول

رضا الله سبحانه وتعالى

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: صفة الرضا والأدلة على إثباتها.

المبحث الثاني: مذهب السلف في صفة الرضا.

المبحث الثالث: مذاهب المخالفين في صفة الرضا والرد عليهم.

المبحث الرابع: رضا الله عز وجل.. أسبابه وموانعه.

المبحث الأول
صفة الرضا والأدلة على إثباتها

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأدلة من القرآن الكريم على صفة الرضا.

المطلب الثاني: الأدلة من السنة النبوية على صفة الرضا.

المطلب الثالث: الأدلة من الإجماع على صفة الرضا.

المطلب الرابع: دلالة العقل على صفة الرضا.

المطلب الخامس: دلالة الفطرة على صفة الرضا.

المبحث الأول: صفة الرضا والأدلة على إثباتها

المطلب الأول: الأدلة من القرآن الكريم على صفة الرضا.

وصف الله نفسه بالرضا في آيات كثيرة من كتابه الكريم؛ فقال تعالى مادحاً المؤمنين، مبشراً إياهم بجزائه لهم بالجنة، بل أعظم من ذلك وهو رضوان الله عنهم:

١. ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

٢. ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٧٢].

فقوله ﷻ : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) إخبارٌ عما يكون بينه وبين أوليائه من تبادل الرضا، أما رضاه عنهم فهو أكبر وأعظم من كل ما بسط عليهم من النعيم؛ كما قال ﷻ: (ورضوان من الله أكبر)، وأما رضاهم عنه فهو رضا كل منهم بمنزلته أيّاً كانت، وفرحه وسعادته بها، حتى يظن أنه لم يؤت أحدٌ خيراً مما أوتي وذلك في الجنة [(١)].

وعن فائدة الإخبار برضا المؤمنين عن الله؛ يقول الشنقيطي[(٢)] رحمه الله : " وهي أنهم في غاية من السعادة والرضى فيما هم فيه من النعيم، إلى الحد الذي رضوا وتجاوز رضاهم حد النعيم إلى الرضى عن المنعم" [(٣)].

٣. قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد بن خليل هرّاس، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه: علوي السقاف، دار الهجرة – الخبر، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ، (ص١٠٩).

(٢) **الشنقيطي:** هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا)، ولد فيها سنة ١٣٢٥هـ وتعلم بها، وحج عام ١٣٦٧هـ، واستقر مدرساً في المدينة المنورة ثم الرياض، وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة وتوفي بمكة سنة ١٣٩٣هـ، له مصنفات عديدة منها: أضواء البيان في تفسير القرآن، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، آداب البحث والمناظرة. (انظر: الأعلام للزركلي، (٦/٤٥)).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر – بيروت، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م، (٥٤/٩).

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ [المجادلة:٢٢].

قال ابن كثير رحمه الله: " في قوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) سرٌ بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم " (١).

٤. قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨].

قال قتادة: " (يبتغون فضلاً من الله ورضواناً) أي: يطلبون منه أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا، وبالرضوان في الآخرة " (٢).

٥. يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

فكان رضا الله تعالى تشريفاً لهم رضي الله عنهم جزاءً لهم على امتثالهم لأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ، وعلى استعدادهم للجهاد في سبيل الله دفاعاً عن الإسلام؛ فسميت تلك البيعة ببيعة الرضوان.

فدلت الآيات السابقة وغيرها كثير في القرآن الكريم، بشكل صريح على إثبات صفة الرضا لله عز وجل، وذلك لمن يستحق ذاك الشرف وتلك المنحة الإلهية من عباده المؤمنين المرْضيين.

لكن هناك أيضاً آيات نفى الله تعالى فيها عن نفسه الرضا، سواء عن الكفار والمنافقين والفاسقين أو عن الأعمال الكفرية والمعاصي والذنوب التي تستجلب سخط الله على من يقترفها؛ نذكر منها:

١. قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[الزمر:٧].

فأخبر عز وجل أن طاعته سبب لمحبته ورضاه، وأنّ معصيته سبب لسخطه وغضبه.

٢. قـال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء:١٠٨].

٣. يقول تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٩٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، (٥٥/٨).

(٢) فتح القدير، (٢٩٣/٥).



٤. يقول ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد:٢٨].

فكأن من اتبع ما أسخط الله من الكفر والمعاصي، فقد كره ما فيه رضوان الله من الإيمان والتوحيد والطاعات، وإذا كره ما فيه الرضوان فقد كره الرضوان؛ فذمّ من اتبع مساخطه وكره مراضيه، ولم يذم من كره مساخطه؛ ولهذا أحبط الله أعمالهم لهذا السبب [١].

المطلب الثاني: الأدلة من السنة النبوية على صفة الرضا.

دلّت السنة على إثبات صفة الرضا لله تعالى، من خلال الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا)** [٢].

الشاهد في الحديث قوله ﷺ : (أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً)؛ فدلّ الحديث على أن رضا الله أعظم وأجلّ من كل نعيم، كما دلّ دلالة واضحة على إثبات صفة الرضا والسخط إثباتاً يليق بجلاله ﷻ.

يقول شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي[٣]، معلقاً على الحديث: " فيستدل به على أنه يحل رضوانه في وقت دون وقت، وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخط، كما يحل السخط ثم يرضى، لكن هؤلاء أحل عليهم رضواناً لا يتعقبه سخط " [٤].

---

(١) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض و د. أحمد محمد صيرة و د. أحمد عبد الغني الجمل و د.عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، (١٢٨/٤)، فتح القدير (٤٧/٥-٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، (ج٩/ ص١٥١/ ح٧٥١٨).

(٣) **ابن أبي العز الحنفي:** هو العلامة صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، ولد سنة ٧٣١هـ، كان إماماً عالماً بارعاً فقيهاً، ولي قضاء القضاة الحنفية بدمشق غير مرة، ثم ولي قضاء قضاة الحنفية بمصر، ثم استعفى بعد مدة، وتوجه إلى دمشق، وأعيد إلى قضاء الحنفية بها على عادته، وقد وليها غير مرة قبل ذلك، ثم صرف بعد مدة عن القضاء، ولزم داره إلى أن مات بدمشق سنة٧٩٢هـ. (انظر: الأعلام للزركلي، ٣١٣/٤).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام – مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، (ص٤٦٦).

٢. عن عائشة ﵂ قالت: فقدتُ رسول الله ﷺ ليلةً من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول: **(اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)** [(١)].

الشاهد في الحديث قوله ﷺ: (اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ)، وفيه إثبات صفة الرضا لله ﷻ، ولولا اتصافه ﷻ بها، لما استعاذ بها النبي ﷺ.

قال ابن القيم ﵀ [(٢)]: " فتأمل ذكر استعاذته ﷺ بصفة الرضا من صفة السخط وبفعل المعافاة من فعل العقوبة، فالأول للصفة، والثاني لأثرها المترتب عليها، ثم ربط ذلك كله بذاته ﷻ، وأن ذلك كله راجع إليه وحده، لا إلى غيره " [(٣)].

٣.عَنْ سَعْدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **(عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ)** [(٤)].

الشاهد في الحديث قوله ﷺ: (فمن رضي فله الرضا)؛ فدلّ الحديث على أن من رضي واستكان لما ابتلاه الله به فقد استحق الرضا منه تعالى وجزيل الثواب، جزاءً له على صبره ورضاه.

٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)** [(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، (ص٢٠١/ ح٤٨٦).

(٢) **ابن قيم الجوزية:** هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق٦٩١–٧٥١هـ، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأطلق بعد موت ابن تيمية، أغري بحب الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطه شيئاً كثيراً، وألّف تصانيف كثيرة منها:إعلام الموقعين و شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، و زاد المعاد وغيرها كثير.(انظر: الأعلام للزركلي،(٦/٥٦–٥٧)).

(٣) انظر: مدارج السالكين، (١/٢٦٧).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الشهادات عن رسول الله ﷺ، بَاب مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، (ج٤/ ص٢٠٢/ح ٢٣٩٦)، قال أبو عيسى (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ)، وابن ماجة في سننه، كتاب الأدب، باب الصبر على البلاء (ج٥/ ص٤٩٨/ ح٤٠٣١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (حسن)، (ج٣/ ص١٢٢٩/ ح٣٤٠٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، وقوله تعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)، (ج٨ /ص١٠١/ ح٦٤٧٨).

الشاهد في الحديث قوله: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ...)، أي أن الرجل يتكلم بالكلمة مما يرضيه ويحبه ﷻ، ما يظن أن تبلغ ما بلغت من الأجر؛ فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، ومنه أن يتكلم الرجل بالكلمة التي يرضي بها الله ﷻ عند السلطان ليصرفه عن هواه ويكفه عن معصية يريدها، فيبلغ بها من الله رضواناً لا يحسبه [١].

٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ)** [٢].

الشاهد في الحديث قوله: (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا ... فيرضى لكم أن تعبدوه ...)، ففي الحديث إثبات الرضى لله ﷻ وذكر متعلقاته؛ فإن الله ﷻ من كرمه على عباده، يرضى لهم ما فيه مصلحتهم، وسعادتهم في العاجل والآجل، وهذا لا يتأتّى إلا بتوحيد الله وإخلاص الدين له عن طريق القيام بعقائد الإيمان وأصوله، وشرائع الإسلام، وبالأعمال الصالحة، والأخلاق الزاكية، والاعتصام بحبل الله الذي هو دينه الحنيف [٣].

وقوله ﷺ: (يرضى لكم ثلاثاً) يعني يأمركم بثلاث خصال، فالرضا عن الشيء يستلزم الأمر به، والأمر به يستلزم الرضا، فهو كناية؛ لذلك لم يقل: يرضى عنكم بثلاث، رمزاً إلى أن فائدة الرضا بأمر الله عائد إلى عباده [٤].

المطلب الثالث: الأدلة من الإجماع على صفة الرضا.

أثبت أهل السنة والجماعة لله تعالى ما أثبته لنفسه من نعوت الجلال والكمال، إثباتاً بلا تمثيل ولا تكييف، ونزهوا الله عن صفات النقص ومشابهة خلقه له في صفاته تنزيهاً بلا تعطيل.

---

(١) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ، (٥١/١٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه، (ص٧١٢ /ح١٧١٥).

(٣) انظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، (ص٢٠٧).

(٤) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، (٦٥١/٤-٦٥٢).

والقول الحق في ذلك ما ذكره الطحاوي[1] **في قوله:** "والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى"، وعلق شارح الطحاوية على قوله بذكر بعض الآيات التي تثبت هاتين الصفتين، ثم قال: "ومَذْهَبُ السَّلَفِ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ إِثْبَاتُ صِفَةِ الْغَضَبِ، وَالرِّضَى، وَالْعَدَاوَةِ، وَالْوِلَايَةِ، وَالْحُبِّ، والبغض، ونحو ذلك من الصِّفَاتِ، الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَمَنْعُ التَّأْوِيلِ الَّذِي يَصْرِفُهَا عَنْ حَقَائِقِهَا اللَّائِقَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى" [2].

قال ابن عبد البر[3]: " أجمع أهل السنة على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة كلها والإيمان بها وحملها على الحقيقة، لا على المجاز " [4].

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ ذلك فيقول: " مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف، أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت، ويؤمن بها وتصدق، وتصان عن تأويل يفضي إلى تعطيل، وتكييف يفضي إلى تمثيل، وقد أطلق غير واحد ممن حكى إجماع السلف منهم الخطابي مذهب السلف: أنها تجري على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها " [5].

وهذا ما قرره الصابوني[6] **حين تحدث عن معتقد أهل الحديث في صفات الله؛ فقال:** " وكذلك يقولون في جميع الصفات " يعني: الإثبات" التي نزل بها القرآن ووردت بها الأخبار

---

(١) **الطحاوي:** هو أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزديّ الطحاوي، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، ولد سنة ٢٣٩هـ، ونشأ في طحا من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعيّ، ثم تحول حنفياً، وتوفي سنة ٣٢١هـ، من تصانيفه: شرح معاني الآثار وأحكام القرآن والاختلاف بين الفقهاء وغيرها كثير. (انظر: الأعلام للزركلي، (ص٢٠٦)).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، (ص٤٦٤).

(٣) **ابن عبد البرّ:** هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ؛ إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، روى بقرطبة عن جماعة من العلماء، ودأب في طلب العلم وافتنّ فيه، وألف كتباً مفيدة، منها كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد الاستيعاب وجامع بيان العلم وفضله، وكان مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه ، له بسطة كبيرة في علم النسب، توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة. (انظر: وفيات الأعيان، (٧/٦٦-٧٠)).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (٧/١٤٥).

(٥) الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله، ابن تيمية، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، مطبعة المدني – القاهرة، الطبعة السادسة (١/٤).

(٦) **الصابوني:** هو أبو عثمان، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل الصابوني، مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان، لقبه أهل السنّة فيها بشيخ الإسلام، ولد ومات في نيسابور ٣٧٣ – ٤٤٩هـ، وكان فصيح اللهجة، واسع العلم، عارفاً بالحديث والتفسير، يجيد الفارسية إجادته العربية، له كتاب عقيدة السلف والفصول في الأصول. (الأعلام للزركلي، (ص٣١٧)).

الصحاح من السمع والبصر والعين... والرضا والسخط... " [١].

و يقول الإمام أبو حنيفة [٢] ﷺ: " والطاعات كلهَا كَانَت وَاجِبَة بِأَمْر الله تَعَالَى وبمحبته وبرضائه وَعلمه ومشيئته وقضائه وَتَقْدِيره والمعاصي كلهَا بِعِلْمِهِ وقضائه وَتَقْدِيره ومشيئته لَا بمحبته وَلَا برضائه وَلَا بأَمْره " [٣].

وَذهب الإمام أحمد بن حنبل ﷺ [٤] إِلَى أَن الله ﷻ يغضب ويرضى، وأن له غضب ورضى، وقرأ أحمد قوله ﷻ: ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طه:٨١]، "... والْغَضَب والرضى صفتان لَهُ من صِفَات نَفسه لم يزل الله تَعَالَى غاضباً على مَا سبق فِي علمه أَنه يكون مِمَّن يعصيه، وَلم يزل رَاضِياً على مَا سبق فِي علمه أَنه يكون مِمَّا يرضيه " [٥].

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق عبد الرحمن الشميري، تقديم الشيخ: يحيى الحجوري، دار عمر بن الخطاب – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م، (ص ٥) بتصرف.

(٢) **أبو حنيفة:** هو النعمان بن ثابت الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة ؛ كان خزازاً يبيع الخز، كان عاملاً زاهداً عابداً ورعاً تقياً كثير الخشوع ، قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة فقال: نعم، رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته، ومما قيل في فضله: من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، من أشهر كتبه الفقه الأكبر. (انظر: وفيات الأعيان، (٥/٤٠٥–٤١٥)).

(٣) الفقه الأكبر، أبو حنيفة النعمان، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م (ص٣٥).

(٤) **أحمد بن حنبل:** هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله، الشيباني، ولد سنة أربع وستين ومائة، كان إمام المحدثين، صنف كتابه المسند، وكان من أصحاب الإمام الشافعي وخواصه، ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر، وقال في حقه: خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل، ودعي إلى القول بخلق القرآن فلم يجب، فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع، وبقي إلى أن أخرجه المتوكل، أخذ عنه الحديث جماعة من الأماثل، منهم البخاري، ومسلم، توفي نهار الجمعة سنة ٢٤١هـ ببغداد. (انظر: وفيات الأعيان، (١/٦٣–٦٥)).

(٥) العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، (ص١٠٩).



المطلب الرابع: دلالة العقل على صفة الرضا.

قال ابن القيم رحمه الله: " إنه ليس في القرآن صفة إلا وقد دل العقل الصريح على إثباتها لله فقد تواطأ عليها دليل العقل ودليل السمع فلا يمكن أن يعارض بثبوتها دليل صحيح البتة لا عقلي ولا سمعي " (١).

ودلالة العقل على صفة الرضا من ثلاثة أوجه:

الأول: إن الرضا صفة كمال ونفيها نقص، والله ﷻ لا تُضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه كما قال ﷻ: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٤]، فإن الله لا مثل له، بل له المثل الأعلى، كما أخبرنا بذلك في قوله ﷻ: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل:٦٠]، وقال ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم:٢٧].

فلا يجوز أن يشترك هو والمخلوق في قياس تمثيل(٢)، ولا في قياس شمول(٣) تستوي أفراده، ولكن يستعمل في حقه المثل الأعلى؛ وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال وهو يليق بالله فالله أولى به، وكل ما تنزه عنه المخلوق من نقص فالله أولى بالتنزه عنه (٤)، فإذا كان اتصاف المخلوق بالرضا كمال ونفيه عنه نقص، فالله ﷻ أولى أن يتصف بالكمال ولا يعطل منه؛ لأن تعطيل الكمال عنه وصف له بالنقص.

إذن فالله موصوف بالرضا، وهو كمال في حقه ﷻ بل صفة الرضا في حقه ﷻ أكمل من صفة الرضا في حق المخلوق، بل رضا الله ﷻ لا يماثل رضا المخلوق، فإذا كان المخلوق منزهاً عن مماثلة المخلوق مع الموافقة في الاسم أو اللفظ فالخالق ﷻ أولى أن ينزه عن مماثلة

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، تحقيق د: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨م، (٣/٩٠٩).

(٢) **قياس التمثيل:** هو إثبات حكم النظير لنظيره، كأن يلحق الشيء مثيله فيجعل ما ثبت للخالق مثل ما ثبت للمخلوق. (انظر: مجموع الفتاوى، (٩/١٢٠)، شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، تحقيق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي – الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ، (ص١٢٩)).

(٣) **قياس الشمول:** هو إثبات حكم الكل للجزء، أو هو ما يعرف بالعام الشامل لجميع أفراده، بحيث يكون كل فرد منه داخلاً في مسمى ذلك اللفظ ومعناه ؛ فمثلاً إذا قلنا: الحياة، فإنه لا تقاس حياة الله تعالى بحياة الخلق من أجل أن الكل يشمله اسم (حيّ). (انظر: مجموع الفتاوى، (٩/١١٩)، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، (ص١٢٩)).

(٤) انظر: التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، ابن تيمية، تحقيق: د.محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م، (ص٥٠).

المخلوق وإن حصلت موافقة في اللفظ [١]، وبالتالي فالله ﷻ متصف بصفة الرضا، وهي صفة كمال لا تماثل صفات المخلوقين، ونفيها عنه نقص ولا يجوز أن يوصف بالنقص، أو يعطل من الكمال.

الثاني: أنّ الله ﷻ وصف نفسه بالرضا في آيات كثيرة، وكذلك وصفه بها الرسول ﷺ كما تقدم وهي صفة كمال لائقة به ﷻ فيكون نفيها تعطيلاً وردّاً للنصوص الشرعية، وإلحاداً في آيات الله ﷻ كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ ﴾ [فصلت:٤٠]، وإلحاد في أسمائه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وتعطيل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات صفة الرضا بالمعنى اللائق به ﷻ تكذيب لهما، وتعطيل لما يستحقه الرب ﷻ من صفات الكمال[٢]، والجحود بها كفر؛ لأنه ردٌّ لخبر الله و كفرٌ بكلامه ﷻ.

وقد سُئل الإمام الشافعي[٣] عن صفات الله تعالى وما يؤمن به فقال: " لله تَعَالَى أَسمَاء وصفات جَاءَ بهَا كِتَابه، وَأخْبر بهَا نبيه ﷺ لَا يسع أحداً من خلق الله تَعَالَى قَامَت عَلَيْهِ الْحجَّة ردهَا؛ لِأَن الْقُرْآن نزل بهَا وَصَحَّ عَن رَسُول الله ﷺ القَوْل بهَا فَإِن خَالف ذَلِك بعد ثُبُوت الْحجَّة عَلَيْهِ فَهُوَ كَافِر بِاللَّه تَعَالَى، فَأَما قبل ثُبُوت الْحجَّة عَلَيْهِ من جِهَة الْخَبَر فمعذور بِالْجَهْلِ؛ لِأَن علم ذَلِك لَا يدْرك بِالْعقلِ وَلَا بِالرُّؤْيَةِ وَلَا بالفكر " [٤].

الثالث: إن ما وصف الله ﷻ به نفسه من المحبة والرضى والفرح والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال، إذ في العقول أنا إذا فرضنا ذاتين إحداهما لا تحب شيئاً ولا تبغضه ولا ترضاه ولا تفرح به، وأما الذات الأخرى تحب كل جميل من الأقوال والأفعال والأخلاق

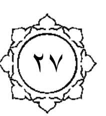
---

(١) صفة الرضا بين الإثبات والتعطيل، (ص١٢).

(٢) انظر: التدمرية، (ص٨٠).

(٣) **الشافعي:** هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن هاشم ، وأمه أزدية، ولد بالشام بغزة، وقيل باليمن سنة خمسين ومائة وحمل إلى مكة، ثم قدم مصر واستوطنها، كان عالماً باللغة والشعر والحديث والفقه، تعلّم على يديه خلقٌ كثير، وكان أول من كتب في أصول الفقه في كتابه الشهير (الرسالة)، قال عنه يحيى بن معِين: الشَّافِعِي فِي النَّاس بِمَنْزِلَة الْعَافِيَة لِلْخلقِ وَالشَّمْس للدنيا، تنقل بين بغداد ومكة ومصر حتى مات فيها سنة ٢٠٤هـ بعد مرض شديد. (انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض اليحصبي، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة – المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٦٦-١٩٧٠م، (١٧٥/٣)، طبقات الشافعيين، ابن كثير، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، (ص٣٣-٤٠)).

(٤) ذم التأويل، (ص٢٣).



والشيم وتفرح وترضى به وتبغض كل قبيح يسمى وتكرهه، كانت هذه الذات أكمل من تلك الموصوفة بصفات العدم والموات(١).

المطلب الخامس: دلالة الفطرة على صفة الرضا.

الخلق مفطورون على كون الخالق ﷻ أجلّ وأعظم وأكبر وأعلى، وأكمل من كل شيء، فهذا مستقر في فطر الناس، وهو ضروري في حق من سلمت فطرته (٢)، وتفصيل ذلك إنما يعرف بما جاء به الرسل من عند الله تعالى من الوحي.

وفي الفطرة الإقرار بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه للخالق بوجه من الوجوه، وكذلك تنزيهه عن النقائص والعيوب (٣)، ولو ابتعد الذين ينفون عن الله صفاته وأسماءه أو بعضاً منها عن الشبهات التي أمرضت منهم القلوب وأفسدت العقول والنفوس؛ لوجدوا أنفسهم يقرون بصفات الكمال من غير تردد ولا شكوك.

ولكن المبادئ الفاسدة تفسد الفطرة الإنسانية، ومن نظر في حال الذين ينفون عن الله صفاته وأسماءه، يجدهم يغالبون أنفسهم وفطرتهم ويقهرونها ويجاهدون في طمس معالم الحق فيها، فهي تدعوهم بالفطرة إلى إثبات علو الله ومحبته ورضاه وغير ذلك من صفات الكمال، ولكنهم يدفعون الحق إعمالاً لما تبنوه من نظريات فاسدة (٤).

قال ابن أبي العز الحنفي: " أودع في الفطرة التي لم تتنجّس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل، أنه ﷻ الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسله، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما يعرفونه منه " (٥).

والحاصل مما تقدم في هذا المبحث، أن صفة الرضا من الصفات التي أثبتها الله لنفسه في محكم كتابه، وأثبتها له رسوله ﷺ في سنته المطهرة، وأثبتها له سلف هذه الأمة حيث آمنوا بما جاء به الكتاب والسنة، ولم يتجاوزوهما إلى غيرهما إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، كما دلّ العقل والفطرة على كمال الله ﷻ باتصافه بأعظم الصفات وأجلّها وأكملها ومنها صفة الرضا.

---

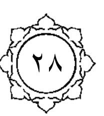
(١) انظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، (٤/١٤٥١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، (٦/٧٣).

(٣) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة – بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، (ص٣٠٢).

(٤) انظر: أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس – الأردن، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، (ص١١١).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، (ص٩٥).



المبحث الثاني

مذهب السلف في إثبات صفة الرضا

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اعتقاد السلف في صفة الرضا لله ﷻ.

المطلب الثاني: علاقة صفة الرضا ببعض صفات الله ﷻ.

المبحث الثاني: مذهب السلف في إثبات صفة الرضـــا.

المطلب الأول: اعتقاد السلف(١) في صفة الرضا لله ﷻ.

---

(١) **اختلف العلماء في تعريف مفهوم السلف، فأطلقوا لفظاً عاماً هو أهل السنة والجماعة، ثم انقسموا إلى فريقين: الفريق الأول: قيّد مفهوم أهل السنة والجماعة وحصرهم في السلف**، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية؛ الذي قال: "المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة "، (مجموع الفتاوى،(١٥٩/٣))، وعقّب ابن عثيمين رحمه الله في شرحه للعقيدة الواسطية بقوله: " وهذا التعريف من شيخ الإسلام ابن تيمية يقتضي أن الأشاعرة والماتريدية ونحوهم ليسوا من أهل السنة والجماعة ؛ لأن تمسكهم مشوب بما أدخلوا فيه من البدع، وهذا هو الصحيح؛ أنه لا يعد الأشاعرة و الماتريدية فيما ذهبوا إليه في أسماء الله وصفاته من أهل السنة والجماعة، وكيف يعدون من أهل السنة والجماعة في ذلك مع مخالفتهم لأهل السنة والجماعة... ومن المعلوم أن الحق ما ذهب إليه السلف؛ لأن السلف هنا الصحابة والتابعون وأئمة الهدى من بعدهم، فإذا كان الحق فيما ذهب إليه السلف وهؤلاء يخالفونهم ؛ صاروا ليسوا من أهل السنة والجماعة في ذلك "، (شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، (ص٥٢٦-٥٢٧) بتصرف).

ويقول ابن تيمية كذلك: " فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين؛ فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول فمنه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل فهذا أصل أهل السنة، وأهل البدع لا يجعلون اعتمادهم في الباطن ونفس الأمر على ما تلقوه عن الرسول؛ بل على ما رأوه أو ذاقوه ثم إن وجدوا السنة توافقه وإلا لم يبالوا بذلك فإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضا أو حرفوها تأويلاً؛ فهذا هو الفرقان بين أهل الإيمان والسنة وأهل النفاق والبدعة" (مجموع الفتاوى، ٦٣/١٣).

وإلى هذا أشار الإمام محمد بن حزم حيث قال: " وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة فإنهم الصحابة رضي الله عنهم ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، أو من اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها "، (الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مكتبة الخانجي – القاهرة، (٩٠/٢)).

أما الفريق الآخر: فقد جعل مفهوم السنة والجماعة أوسع من مفهوم السلف، وأدخلوا فيه فرقاً وجماعات إسلامية أخرجها الفريق الأول، ومنهم الإمام السفاريني حيث قال: " مذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ". (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الإمام السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، (٢٠/١)).

ثم حدّد السفاريني من يدخل تحت مسمى أهل السنة والجماعة؛ فقال : " أهل السنة والجماعة ثلاث فرق: الأثرية وإمامهم أحمد بن حنبل، والأشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري، والماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي". (لوامع الأنوار البهية، (٧٣/١)).

والصحيح ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ورجّحه ابن عثيمين؛ فإن الأشاعرة والماتريدية خالفوا منهج السلف في أمور عديدة ومنها اعتقادهم في باب الصفات، وهذا ما سنتطرق إليه في المباحث القادمة، فكيف يعدّون من أهل السنة والجماعة وهم على غير منهجهم.



تمهيد:

اتخذ السلف موقفاً واضحاً من صفات الله ﷻ، فهم يثبتون الصفات عامة وصفة الرضا خاصة، حقيقةً على الوجه الذي يليق به ﷻ، وهي عندهم لا تقتضي النقص أو التشبيه.

أولاً: أقوال العلماء في تقرير عقيدة السلف في صفات الله ﷻ.

قرر عقيدة السلف جمع كبير من العلماء نورد بعضاً من أقوالهم:

١. **قال الإمام الشافعي** رحمه الله: " آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله " (١).

٢. **قال الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله لما سُئل عن حديث النزول والرؤية وما أشبهها من أحاديث: "نؤمن بها، ونصدق بها بلا كيف، ولا معنى، ولا نرد شيئاً منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نردّ على رسول الله ﷺ ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك " (٢).

٣. **كما نقل ابن عبد البر إجماع السلف؛ فقال:** " أجمع أهل السنة على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة كلها والإيمان بها وحملها على الحقيقة، لا على المجاز " (٣).

٤. **وقال الصابوني:** " أصحاب الحديث يعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبته لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسول الله ﷺ " (٤).

٥. **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: " فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله، نفياً وإثباتاً؛ فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه،

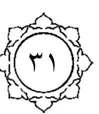
---

(١) العين والأثر في عقائد أهل الأثر، ابن فَقِيه فُصَّة، تحقيق: عصام قلعجي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، (ص٦٢)، لمعة الاعتقاد، (ص٧).

(٢) لمعة الاعتقاد، ابن قدامة المقدسي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، (ص٦).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (١٤٥/٧).

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، (ص١٤).



وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف(١) ولا تمثيل(٢) ومن غير تحريف(٣) ولا تعطيل(٤) " (٥).

٦. **وتبعه ابن القيم فنقل اتفاق الصحابة والتابعين فقال:** " تنازع الناس في كثير من الأحكام، ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها... أعني فهم الأصل، لا فهم الكنه والكيف"(٦).

٧. **يقول الطحاوي** رحمه الله: "والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى"، وعلق شارح الطحاوية على قوله بذكر بعض الآيات التي تثبت هاتين الصفتين، ثم قال: "ومَذْهَبُ السَّلَفِ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ إِثْبَاتُ صِفَةِ الْغَضَبِ، وَالرِّضَى، وَالْعَدَاوَةِ، وَالْوِلَايَةِ، وَالْحُبِّ، والبغض، ونحو ذلك من الصِّفَاتِ، الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَمَنْعُ التَّأْوِيلِ الَّذِي يَصْرِفُهَا عَنْ حَقَائِقِهَا اللَّائِقَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى" (٧).

وبناءً على ما سبق؛ يتبين لنا بوضوح خلاصة مذهب السلف في باب الأسماء والصفات فهم يسمّون الله تعالى بما سمّى نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ لا يزيدون على ذلك ولا

---

(١) **التكييف:** هو الاعتقاد أن صفات الله تعالى على كيفية كذا، أو يسأل عنها بكيف، (شرح العقيدة الواسطية للهرّاس، ص٦٩، وانظر القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ابن عثيمين، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ–١٩٩١م، (ص٣٥).

(٢) **التمثيل:** هو الاعتقاد أن صفات الخالق مثل صفات المخلوق، (العرش، شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، (١/١١٥)).

(٣) **التحريف:** صرف اللفظ عن ظاهره بدون دليل، وقد توسع العلامة ابن القيم رحمه الله في الكلام على التحريف. (انظر: الصواعق المرسلة (١/٢١٥–٢١٩)).

(٤) **التعطيل:** إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضه فهو نوعان:

أ– تعطيل كلي؛ كتعطيل الجهمية الذين ينكرون الصفات، وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضاً.

ب–تعطيل جزئي؛ كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض، و أول من عُرف بالتعطيل من هذه الأمة هو الجعد بن درهم، (فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ابن عثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، (ص١٨–١٩)).

(٥) مجموع الفتاوى، (٣/٣)، الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله، ٤/١، وانظر: التدمرية، (ص١٢٤).

(٦) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: ابن قيم الجوزية، اختصره: ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، (ص٢٨)، وانظر: متن القصيدة النونية، ابن القيم، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، (ص٢٠٢) بتصرف.

(٧) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، (ص٤٦٤).



ينقصون منه، و يثبتون لله تعالى ما أثبت لنفسه أو صحّ عن رسوله ﷺ دون تكييف أو تعطيل أو تحريف أو تمثيل.

وهذا ما أجمله ابن قدامة المقدسي حين قال: " وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم ، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات، لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله " (١).

ثانياً: تقسيم الصفات عند السلف (٢).

قسّم السلف الصفات إلى ثلاثة أقسام على النحو التالي:

١. من حيث إثباتها ونفيها: صفات ثبوتية – صفات سلبية.

٢. من حيث تعلقها بذات الله وأفعاله: صفات ذاتية – صفات فعلية.

٣. من حيث ثبوتها وأدلتها: صفات خبرية – صفات سمعية عقلية.

وتفصيل ذلك على النحو التالي:

١- من حيث إثباتها ونفيها.

أ - صفات ثبوتية:

وهي ما أثبته الله تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ ؛ كالاستواء، والنُّزُول، والوجه، واليد، ونحو ذلك، وكلها صفات مدح وكمال، وهي أغلب الصفات المنصوص عليها في الكتاب والسنة، ويجب إثباتها.

ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم؛ فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر كمال الله بها ما هو أكثر(٣).

---

(١) لمعة الاعتقاد، (ص٨).

(٢) انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الدرر السنية – دار الهجرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م، (ص٣١- ٣٣)، و انظر: شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، ابن عثيمين تحقيق: هاني الحاج، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، (ص١٠)، الصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين بياناً وتفصيلاً، د. جابر السميري، الدار السودانية – الخرطوم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥٨م، (ص ٥٦-٥٧)، وانظر: القواعد المثلى (ص٣١-٣٣).

(٣) انظر: القواعد المثلى، (ص٣٣).

ب- صفات سلبية:

وهي ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ وكلها صفات نقص؛ كالموت والسِّنة، والنوم، والظلم، وغالباً تأتي في الكتاب أو السنة مسبوقة بأداة نفي؛ مثل (لا) و (ما) و (ليس)، وهذه تُنفى عن الله ﷻ، ويُثبت ضدها من الكمال.

يقول ابن تيمية: "فالنفي لا يكون مدحاً إلا إذا تضمن ثبوتاً، وإلا فالنفي المحض لا مدح فيه ونفي السوء والنقص عنه يستلزم إثبات محاسنه وكماله ولله الأسماء الحسنى، وهكذا عامة ما يأتي به القرآن في نفي السوء والنقص عنه يتضمن إثبات محاسنه وكماله؛ كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فنفي أخذ السّنَة والنوم له، يتضمن كمال حياته و قيوميته، وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، يتضمن كمال قدرته ونحو ذلك، فالتسبيح المتضمن تنزيهه عن السوء ونفي النقص عنه يتضمن تعظيمه"[١].

٢-من حيث تعلقها بذات الله وأفعاله:

أ - صفات ذاتِيَّة:

وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها؛ كالعلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والوجه، واليدين ونحو ذلك.

ب - صفات فعليَّة:

وهي الصفات المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها؛ كالمجيء، والنُّزُول، والغضب، والفرح، والضحك، والرضا، ونحو ذلك، وتسمى (الصفات الاختيارية).

وأفعاله ﷻ نوعان:

١- لازمة: كالاستواء، والنُّزُول، والإتيان... ونحو ذلك.

٢- متعدية: كالخلق، والإعطاء... ونحو ذلك.

وأفعاله ﷻ لا منتهى لها، قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]، وبالتالي صفات الله الفعليَّة لا حصر لها.

---

(١) مجموع الفتاوى، (٢٥٠/١٠).



والصفات الفعليَّة من حيث قيامها بالذات تسمى صفات ذات، ومن حيث تعلقها بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال تسمى صفات أفعال، ومن أمثلة ذلك صفة الكلام؛ فكلام الله ﷻ باعتبار أصله ونوعه صفة ذات، وباعتبار آحاد الكلام وأفراده صفة فعل (١).

٣-من حيث ثبوتها وأدلتها:

أ - **صفات خبرية:** وهي الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا السمع والخبر عن الله أو عن رسوله ﷺ، وتسمى (صفات سمعية أو نقلية)، وقد تكون ذاتِيَّة؛ كالوجه، واليدين، وقد تكون فعليَّة؛ كالفرح، والضحك.

ب - **صفات سمعية عقلية:** وهي الصفات التي يشترك في إثباتها الدليل النقلي والدليل العقلي، وقد تكون ذاتِيَّة؛ كالحياة والعلم، والقدرة، وقد تكون فعليَّة؛ كالخلق، والإعطاء.

فيتبيّن لنا من خلال ما سبق: أن صفة الرضا عند السلف وفق قواعدهم في باب الأسماء والصفات: صفة ثابتة بالنقل الصحيح والعقل الصريح، وهي صفة ثبوتية.

وصفة الرضا صفة ذاتية فعلية؛ فهي ذاتية باعتبار أنها لا تنفك عن ذاته ﷻ، وهي صفة فعلية اختيارية باعتبار أنها متعلقة بمشيئة الله ﷻ باختياره؛ فهو يرضى ويسخط متى شاء وكيفما شاء.

المطلب الثاني: علاقة صفة الرضا ببعض صفات الله ﷻ.

ما من شيء في هذا الكون إلا وينطق بكماله ﷻ ، وليس أدلّ على ذلك منه، ولعل أسماءه وصفاته من أكثر الأمور التي تدل دلالة واضحة على كمال الله وعظمته، فهي كحلقات العقد المنتظم آخذٌ بعضها بعضاً، نسق واحد وارتباط كبير، واتساق عظيم لا ينفصل بعضها عن بعض، فهي منظومة واحدة، كاملة متكاملة تعبر عن جلاله وعظمته ﷻ.

ولو نظرنا في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ لوجدناهما يقرران قاعدة عظيمة في باب الأسماء والصفات، وهي أن الله ﷻ ليس يشبهه أحد من خلقه، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلا، يقول تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

وعلى هذا فإن ما وصف الله ﷻ به نفسه من المحبة والرضى والفرح والضحك والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال، إذ في العقول أنا إذا فرضنا ذاتين إحداهما لا تحب شيئاً ولا تبغضه ولا ترضاه ولا تفرح به، وأما الذات الأخرى تحب كل جميل من الأقوال والأفعال

(١) انظر: دراسات في توحيد الأسماء والصفات الإلهية، د. جابر السميري - د. سعد عاشور، مطبعة المنارة - غزة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، (ص٢٦).



والأخلاق والشيم وتفرح وترضى به وتبغض كل قبيح يسمى وتكرهه، كانت هذه الذات أكمل من تلك الموصوفة بصفات العدم والموات (١).

والباحثة في هذا المقام بصدد الحديث عن العلاقة بين صفة الرضا وبعض صفات الله ﷻ التي تتقارب فيما بين معانيها وتترابط بمعاني صفة الرضا؛ ليتضح بشكل أكبر المعاني العظيمة لهذه الصفة وما يقاربها من صفاته ﷻ .

أولاً: صفة الفرح.

الفرح من الصفات الفعلية الخبرية التي انفردت بها السنة دون الكتاب، وهي ثابتة بالسنة الصحيحة التي تلقاها أهل السنة والجماعة بالقبول، وعقد إجماعهم استناداً إليها على إثباتها، وهذه الصفة تدل بالتضمن على لطف الله بعباده ورحمته لهم، حيث يوفق من يشاء من عباده ليتوبوا؛ فإذا تابوا تقبّل توبتهم وفرح بها فرحاً شديداً ولطيفاً في وقت واحد.

وهذا المعنى هو الذي يقرره لنا رسول الرحمة ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**) (٢).

وأجمع السلف على ثبوت صفة الفرح لله تعالى، ولا يتعرضون له بالتأويل، فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو صفة حقيقية لله ﷻ على ما يليق به، ففرحه لا يشبه فرح أحدٍ من خلقه، لا في ذاته ولا في أسبابه، ولا في غاياته. (٣)

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، (١٤٥١/٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في الحضّ على التوبة والفرح بها (ص١٢٥٨- ١٢٥٩/ ح٢٧٤٧).

(٣) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، محمد أمان بن علي جامي، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ (ص٢٩٧-٢٩٨)، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (ص١٥٦-١٧٥)، شرح العقيدة الواسطية للهراس، (ص١٦٦-١٦٨)، أصول الإيمان، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ، (ص٣٨).

ثانياً: صفة الْبَشْبَشَة أو الْبَشَاشَة.

البشبشة صفةٌ فعليةٌ خبريَّةٌ لله ﷻ ثابتةٌ بالحديث الصحيح، فقد صح عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: **(مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، إِلَّا تَبَشْبَشَ اللَّهُ لَهُ، كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ)**(١).

والحديث فيه إثبات البشبشة، وهي بمعنى الفرح.

وقد أثبت السلف صفة البشاشة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهي بشاشة حقيقية تليق بالله ﷻ(٢).

يقول أبو يعلى ابن الفراء(٣) بعد أن تكلم عن إثبات صفة الفرح لله تعالى: " وكذلك القول في البشبشة؛ لأن معناه يقارب معنى الفرح، والعرب تقول: رأيت لفلان بشاشة، وهشاشة وفرحاً، ويقولون: فلان هشّ بشّ فرح، إذا كان منطلقاً، فيجوز إطلاق ذَلِكَ كما جاز إطلاق الفرح"(٤).

قال ابن الأثير(٥): " البش: فرح الصديق بالصديق، واللطف في المسألة، والإقبال عليه، وقد بششت به أبش؛ فمعنى البشّ: الفرح، ويُضرب إذا تلقّى الصديق صديقه بالبرّ، وقرّبه، وأكرمه" (٦).

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الصلاة، بَاب لُزُومِ الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ، (ج٢/ ص٩٩/ ح٨٠٠)، قال المحقق بشار عواد معروف: إسناده صحيح، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح، (ج١/ص٧٨/ح٣٢٧).

(٢) انظر: مشكل الحديث وبيانه، ابن فورك، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، (ص١٨٦– ١٨٧)، النبوات، ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م، (٤٤٩/١)، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، (ص٨٥– ٨٦).

(٣) **أبو يعلى ابن الفراء:** محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفَرَّاء، عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون، من أهل بغداد، ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين، وولاه القائم قضاء دار الخلافة والحريم، وحران وحلوان، وكان قد امتنع، واشترط أن لا يحضر أيام المواكب، ولا يقصد دار السلطان، فقبل القائم شرطه، له تصانيف كثيرة منها: الإيمان، والأحكام السلطانية، وتبرئة معاوية، وأحكام القرآن، وغيرها كثير. (انظر: الأعلام للزركلي، (٩٩/٦–١٠٠)).

(٤) إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلى الفراء، تحقيق: محمد بن حمد النجدي، دار إيلاف الدولية – الكويت، (٢٤٣/١).

(٥) **ابن الأَثِير:** هو أبو السعادات، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عَبْد الكَرِيم الشيبانيّ الجزري، المحدث اللغوي الأصولي، ولد سنة ٥٤٤هـ، ونشأ في جزيرة ابن عمر، وانتقل إلى الموصل، فاتصل بصاحبها، فكان من أخصائه. وأصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه، حتى توفي في إحدى قرى الموصل سنة ٦٠٦هـ، قيل: إن تصانيفه كلها ألفها في زمن مرضه، إملاء على طلبته، وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة، من كتبه: النهاية في غريب الحديث، جامع الأصول في أحاديث الرسول، المرصع في الآباء والأمهات والبنات، وغيرها كثير. (انظر: الأعلام للزركلي، (٢٧٢/٥)).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، (١٣٠/١).



ثالثاً: صفة الضحك.

الضحك قريب من الفرح والرضا، من حيث المعنى العام، وهو صفةٌ من صفات الله ﷻ الفعليَّة الخبريَّة، التي انفردت بها السنة إذ لم يرد ذكرها في القرآن الكريم.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، وَكِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ: يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ، فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُسْتَشْهَدُ)** [1].

و يثبت أهل السنة والجماعة الضحك لله ﷻ، كما أفاده هذا الحديث وغيره، على المعنى الذي يليق به ﷻ، والذي لا يشبهه ضحك المخلوقين عندما يستخفهم الفرح، أو يستفزهم الطرب؛ بل هو معنى يحدث في ذاته عند وجود مقتضيه، وإنما يحدث بمشيئته وحكمته [2].

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: " باب: ذكر إثبات ضحك ربنا ﷻ: بلا صفةٍ تصفُ ضحكه جلَّ ثناؤه، لا ولا يشبَّه ضَحِكُه بضحك المخلوقين، وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك، كما أعلم النبي ﷺ، ونسكت عن صفة ضحكه ﷻ، إذ الله ﷻ استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك؛ فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ مصَدِّقون بذلك، بقلوبنا منصتون عمَّا لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه"[3].

والإمام ابن القيم تحدث قليلاً عن هذه الصفة بأسلوبه اللطيف، وهو بصدد حديثه عن المحبة والفرح والضحك؛ حيث يقول رحمه الله:

" ومن هذا ضحكه ﷻ من عبده، حين يأتي من عبوديته بأعظم ما يحبه، فيضحك ﷻ فرحاً ورضا، كما يضحك من عبده إذا ثار عن وطائه وفراشه ومضاجعة حبيبه إلى خدمته، يتلو آياته ويتملقه، ويضحك من رجل هرب أصحابه عن العدو، فأقبل إليهم، وباع نفسه لله ولقاهم نحره، حتى قتل في محبته ورضاه، ويضحك إلى من أخفى الصدقة عن أصحابه لسائلٍ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، بَاب الْكَافِرِ يَقْتُلُ الْمُسْلِمَ ثُمَّ يُسْلِمُ فَيُسَدِّدُ بَعْدُ وَيُقْتَلُ (ج٤/ص٢٤/ح٢٨٢٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، (ص٩١٣/ح١٨٩٠).

(٢) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، (ص٢٩١-٢٩٤)، تذكرة المؤتسي، (ص١٥٥)، العقيدة في الله، د. عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م، (ص١٧١-١٧٢)، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، (ص٢٣٢)، شرح العقيدة الواسطية للهراس، (ص١٦٧).

(٣) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، ابن خزيمة، تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، (ص٢٣٠-٢٤١).

اعترضهم فلم يعطوه، فتخلف بأعقابهم وأعطاه سراً، حيث لا يراه إلا الله الذي أعطاه، فهذا الضحك منه حباً له وفرحاً به، وكذلك الشهيد حين يلقاه يوم القيامة، فيضحك إليه فرحاً به وبقدومه عليه، وليس في إثبات هذه الصفات محذور البتة، فإنه فرح ليس كمثله شيء، وضحك ليس كمثله شيء وحكمه حكم رضاه ومحبته، وإرادته وسائر صفاته، فالباب باب واحد، لا تمثيل ولا تعطيل " [(١)].

هكذا يوضح شمس الدين ابن القيم ﷺ أن ضحك الرب ﷻ إلى بعض عباده في بعض تلك الحالات الخاصة، إنما هو ضحك رضا وفرح ومحبة؛ لأن الأشخاص الذين يضحك إليهم قد أتوا بأعظم أنواع محابّهِ من جهادٍ في سبيل الله، ومن بيعٍ للنفس لله، ومن المناجاة التي تفضل الله بها عليهم، وهكذا تجده ﷻ يوفق من شاء من عباده ليأتي بمرضاته فيتقبل منه ثم يفرح به حتى يضحك إليه ﷻ رضاً ومحبة.

رابعاً: صفة الْكُرْهُ.

صفة الْكُرْهُ صفةٌ فعليَّةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله ﷻ لمن يستحقها بالكتاب والسنة وإجماع السلف، يقول تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦].

وعن عائشة ﵄ عن النبي ﷺ أنه قال: (... **وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**)[(٢)].

إذن الله ﷻ يبغض ويكره، يكره أشخاصاً ويكره أعمالاً، فنحن نؤمن بذلك ونثبته له كما وصف ﷻ نفسه بذلك في كتابه العزيز وكما وصفه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل [(٣)].

خامساً: صفة الْبُغْضُ.

صفة البغض صفةٌ فعليةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله ﷻ بالأحاديث الصحيحة، فهو ﷻ يبغض الكفر والكافرين، والعصيان والعصاة؛ بغضاً حقيقياً يليق به ﷻ [(٤)].

---

(١) مدارج السالكين، (٢٣٢/١)، وانظر: نونية ابن القيم، (ص٣١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، بَابٌ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، (ج٨/ ص١٠٦/ ح٦٥٠٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، (ص١٢٣٦/ ح٢٦٨٣).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس، (ص١٦٦-١٦٨)، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، ص٢٩٣، شرح لمعة الاعتقاد، (ص٣٠).

(٤) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، ص٨٨، تذكرة المؤتسي، (ص١٥٨).

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: (... **وَإِنَّ اللهَ ﷻ إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ، إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، قَالَ: ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ**) [1].

يقول ابن القيم ﷺ: "إن ما وصف الله ﷻ به نفسه من المحبة والرضى والفرح والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال"[2].

سادساً: صفة السخط.

صفة السخط صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]؛ فهناك أمور تسخطه ﷻ مثل الكفر والمعاصي والذنوب، ومن اتبع ما أسخط الله؛ سخط الله عليه [3].

وقد كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: (**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**)[4].

ويأتي السَّخَطُ والسُّخْطُ بمعنى: الغضب الشديد المقتضي للعقوبة[5].

يقول الإمام الشافعي ﷺ في معنى قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]،: "لما حجب قوم بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضى" [6].

فإذا آمن العبد بأنَّ الله يسخط، كان عليه أن يجتنب كلَّ سبيل يسخط الله ﷻ، وأسأله ﷻ أن يجنبنا وإياكم ما يسخطه تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حببه لعباده، (ص١٢١٧/ح٢٥٣٧).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، (١٤٥١/٤).

(٣) انظر: الكَشْف المُبْدِي لتمويه أبي الحسن السُّبكيّ، تكملة «الصّارم المنكي»، محمد بن حسين بن سليمان بن إبراهيم الفقيه، دراسة وتحقيق: د. صالح بن علي المحسن، د. أبو بكر بن سالم شهال، دار الفضيلة – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، (٤٦٠/١)، شرح العقيدة الواسطية للهراس، (ص١٦٦-١٦٨)، تذكرة المؤتسي، (ص١٦٠)، شرح لمعة الاعتقاد، (ص٢٩)، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، (ص١٩٧-١٩٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، (ص٢٠١/ ح٤٨٦)

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن، (٤٠٢/١).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، (٤٥٢/٥).

سابعاً: صفة الغضب والأسف.

الْغَضَبُ صفةٌ فعليَّةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله ﷻ بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، بدليل قوله تعالى: ﴿ **كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ** ﴾ [طه: ٨١].

يقول الشنقيطي رحمه الله: " واعلم أن الغضب صفة وصف الله بها نفسه إذا انتهكت حرماته، تظهر آثارها في المغضوب عليهم، نعوذ بالله من غضبه جل وعلا، ونحن معاشر المسلمين نُمِرُّها كما جاءت فنصدق ربنا في كل ما وصف به نفسه، ولا نكذب بشيء من ذلك، مع تنزيهنا التام له جلّ وعلا عن مشابهة المخلوقين ﷻ عن ذلك علواً كبيراً " [(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**)[(٢)].

وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الغضب لله ﷻ بوجه يليق بجلاله وعظمته، لا يكيفون ولا يشبهون ولا يؤولون، وفي هذا يقول الإمام الطحاوي: " **والله يغضب ويرضى لا كأحدٍ من الورى**"[(٣)].

وقال قِوَامُ السُّنَّة الأصبهاني[(٤)]: "قال علماؤنا: يوصف الله بالغضب، ولا يوصف بالغيظ"[(٥)].

(١) أضواء البيان، (٧٦/٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده (ج٤/ص١٠٦/ح٣١٩٤).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، (ص٤٦٤).

(٤) **الأصبهاني**: هو أبو القاسم، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، الملقب بقِوَام السنّة، من أعلام الحفاظ، كان إماماً في التفسير والحديث واللغة، وهو من شيوخ السمعاني في الحديث، له تصانيف عديدة منها: الجامع، والإيضاح، ودلائل النبوة، والترغيب والترهيب، والحجة في بيان المحجة. (انظر: الأعلام للزركلي، (٣٢٣/١)).

(٥) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية – الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، (٤٩٠/٢).

- **وقد جاء الغضب بمعنى آخر وهو:** (الأسف)، ويقال: الأسف في اللغة: شدة الغضب[(١)]، يقال: آسفني فأسفت؛ أي: أغضبني[(٢)]، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف:٥٥]، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: " آسَفُونَا يعني: أَغْضَبُونَا وأسخطونا"[(٣)].

وقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: قَوْل اللَّـهِ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، قَالَ: الْأَسَفُ: مَنْزِلَةٌ وَرَاءَ الْغَضَبِ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّـهِ: " ذَهَبَ إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ، وَذَهَبَ أَسِفًا "[(٤)].

والغضب والأسف المثبتان له ﷻ لا نقص فيهما بوجه من الوجوه، فإن الغضب على من يستحق الغضب عليه من القادر على عقوبته صفة كمال [(٥)].

ثامناً: الانْتِقَامُ مِنْ الْمُجْرِمِينَ.

يوصف الله ﷻ بأنه (ذو انتقام)، فسبحانه ينتقم من المجرمين كما يليق به، وهذه الصفة صفةٌ فعليةٌ ثابتةٌ بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [المائدة: ٩٥]، ويقول: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢].

قال أبو إسحاق: " معنى نقمت: بالغت في كراهة الشيء " [(٦)].

(١) بحر العلوم ، أبو الليث السمرقندي، (٥٥٢/١)

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، (٤١٢/٢).

(٣) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، (٣٢٣/٥)، مدارج السالكين، (١٧٨/٣)، وانظر: المفردات في غريب القرآن، (٧٥/١-٨٥)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، (١٨٥/٢).

(٤) جامع البيان للطبري، (١٢٠/١٢).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ – ١٩٩١م، (٩٢/٤).

(٦) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، (١٦٢/٩).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**احْتَجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ الجَنَّةُ: يدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالمَسَاكِينُ، وَقَالَتِ النَّارُ: يَدْخُلُنِي الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ، فَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أَنْتَقِمُ بِكِ مِمَّنْ شِئْتُ، وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ شِئْتُ**) (١).

وأجمع السلف على ثبوت صفة الانتقام لله تعالى، فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو انتقام حقيقي يليق بالله ﷻ.

وليس (المنتقم) من أسماء الله تعالى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "... ولا في أسمائه الثابتة عن النبي ﷺ اسم المنتقم، وإنما جاء المنتقم في القرآن مقيداً كقوله: ﴿إِنَّا مِنْ المُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ وجاء معناه مضافاً إلى الله في قوله: ﴿ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾" (٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين(٣): " ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:... الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها؛ كالاستواء على العرش، والنُّزُول إلى السماء الدنيا والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين " (٤)، ثم استدل للصفة الأخيرة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

وبعد بيان هذه الصفات بإيجاز؛ يتبين لنا أنه ﷻ يتصف بصفات الكمال التي تليق به على الحقيقة وتدل دلالة قاطعة على عظمته، وأن آثار هذه الصفات تتجلى بشكل واضح في حياة العبد إن تخلّق بها وفق ما يرضاه الله ﷻ.

فإن أدى حق الله عليه وائتمر بأمره وابتعد عما نهى عنه؛ نال رضا الله ومحبته، وقد ينزغ الشيطان في قلبه فتزلّ قدمه في المعصية، لكن ما يلبث أن يعود إلى ربه ويؤوب؛ فيتقبله الله تعالى في التائبين الطائعين، وحينها يكون ﷻ شديد الفرح بتوبة عبده ورجوعه إليه.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب صفة جهنم عن رسول الله ﷺ، بَاب مَا جَاءَ فِي احْتِجَاجِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، (ج٤/ص٣٢٠/ح٢٥٦١)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) مجموع الفتاوى، (١٧/٩٥).

(٣) **ابن عثيمين:** هو محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين، الشيخ العالم المحقق، الفقيه المفسّر، الورع الزاهد، ولد سنة ١٣٤٧هـ في السعودية، تعلم القرآن وأقبل على العلم الشرعي ؛ وتعلّم التوحيد والفقه والنحو على يد علماء كبار منهم الشيخ عبد الرحمن السعدي ، ثم اتصل بالشيخ العلامة ابن باز وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويُعدُّ ابن باز هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثُّر به، ولقد اهتم بالتأليف وتحرير الفتاوى والأجوبة التي تميَّزت بالتأصيل العلمي الرصين، ، تُوفي عام ١٤٢١هـ. (انظر: موقع فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، http://www.ibnothaimeen.com، بتاريخ ٢٣/٤/٢٠١٢م).

(٤) القواعد المثلى، (ص٣٨) بتصرف.

حتى إذا استقام هذا العبد وصار قلبه معلقاً بربه، مجتهداً في التقرب إليه بألوان الطاعات؛ عَلَتْ منزلته عند الله تعالى وصار من صفوته وخاصة أهله الذين يبشّ الله ﷻ في وجوههم عند إقبالهم عليه وتذللهم بين يديه، فيكون الجزاء الأوفى حينئذٍ الجنة، فيبوئهم درجاتهم فيها ويضحك لهم ﷻ لهم رضاً عنهم ومحبة لهم.

أما إن خالف العبد منهج الله القويم وحادَ عن الطريق وأصر على ارتكاب المعاصي والذنوب، كان عن رضا الله أبعد، ولكره الله له وسخطه عليه أقرب؛ حتى إذا جاهر بالمعصية واغتر بنفسه وازداد تكبراً على ربه، غضب الله عليه ولعنه، واستحق أن ينتقم الجبّار منه، فينزل عذاب الله عليه لا يدفعه عنه أحد.

المبحث الثالث

مذاهب المخالفين في صفة الرضا والرد عليهم

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مذهب المعتزلة في صفة الرضا.

المطلب الثاني: مذهب الأشاعرة في صفة الرضا.

المطلب الثالث: مذهب الماتريدية في صفة الرضا.

المطلب الرابع: مذهب الشيعة الإمامية في صفة الرضا.

المطلب الخامس: شبهات المخالفين في نفي صفة الرضا والرد عليهم.

المبحث الثالث: مذاهب المخالفين في صفة الرضا والرد عليهم

تمهيد:

تستوقف المؤمن المتدبر لكتاب الله آيات إثبات صفة الرضا لله ﷻ، وترغبه في امتثال أوامره واجتناب نواهيه، والاستقامة على شرع الله، والاهتداء بهدي رسول الله ﷺ ؛ بل وتدفعه لزيادة الإيمان بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً ونبياً.

ولكن في نفس الوقت يعجب كل العجب ممن يتأول هذه الصفة أو يعطلها، زاعماً أن ذلك هو الحق، وقد اشتبه عليه الحق بالباطل؛ فانقلبت لديه المفاهيم، فسوى بين المختلفات وفرق بين المتماثلات، بل إن المتأمل في كلام المعطلة والمؤولة للصفات أو بعضها ومنها الرضا، ليجد أن العقل إذا لم يخضع للنصوص من الكتاب والسنة، فيثبت ما أثبتت وينفي ما نفت؛ فإنه يزيغ عن الحق، ويبعد عن الهدى، قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

كما أنه يفقد الاطمئنان ولا يذوق طعم الإيمان كما يذوقه المؤمنون الصادقون الذين آمنوا بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا، واستقر في صدورهم أن له سبحانه ذاتاً لا تماثل الذوات، وله صفات لا تماثل سائر الصفات.

وفي هذا المبحث تعرض الباحثة لمذاهب المخالفين لمنهج السلف الصالح في صفة الرضا، والرد على حججهم الواهية التي دفعتهم للتأويل أو التعطيل بغرض التنزيه وعدم التشبيه.

المطلب الأول: مذهب المعتزلة[1] في صفة الرضا.

خالف المعتزلة في موقفهم من صفة الرضا الحقَّ وجانبوا الصواب، وعارضوا الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح.

ذلك أنهم يذهبون إلى نفي جميع الصفات، وتأويل[2] النصوص الواردة بها، ومنها صفة الرضا؛ لأنهم يرون في إثباتها مخالفة لأهم أصلٍ من أصولهم وهو التوحيد، الذي يأتي بمعنى تنزيه الله تعالى عن الشريك، وعليه فلابد من نفي الصفات وإرجاعها إلى ذاته سبحانه؛ فجعلوا صفاته هي عين ذاته، فيقال قدير بذاته، بصير بذاته، عليم بذاته، وهكذا، و إلا للزم القول بقدمها فيتعدد القدماء؛ فاقتضى نفيها ليتحقق بذلك التوحيد عندهم، ثم أولوا جميع الصفات بتأويلات باطلة، بحجة تنزيه الله تعالى عن التشبيه بمخلوقاته ؛ لأنهم يرون أن الأدلة التي ثبتت بها الصفات وهي النصوص الشرعية من كتاب وسنة، يرونها أدلة ظنية، تعارض الدليل القطعي عندهم وهو دليل العقل القائم على أن الله ليس جسماً، وإثباتها يرونه تجسيماً.

---

(١) **المعتزلة:** هي فرقة كلامية إسلامية، ظهرت في أول القرن الثاني الهجري، وبلغ شأنها ذروته في العصر العباسي الأول، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء، مجلس الحسن البصري؛ لقول واصل: بأن مرتكب الكبيرة ليس كافراً ولا مؤمناً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ولما اعتزل واصل مجلس الحسن، وجلس عمرو بن عبيد إلى واصل وتبعهما أنصارهما قيل لهم "معتزلة" وهذه الفرقة تعتد بالعقل وتغلو فيه وتقدمه على النقل، ولهذه الفرقة مدرستان رئيستان إحداهما البصرة ومن أشهر رجالها بشر بن المعتمر وأبو موسى المردار، وللمعتزلة أصول خمسة يدور عليها مذهبهم هي: العدل، والتوحيد، والمنزلة بين المنزلين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهم في هذه الأصول معان عندهم خالفوا فيها موجب الشريعة وجمهور المسلمين، وعلى الرغم من اندثار فرقة المعتزلة كاسم مستقل، إلا إن كثيراً من أفكارهم ومبادئهم ما زال بعضها موجودا عند الإباضية، وعند الشيعة الاثني عشرية، وعند الزيدية . (انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، (١/٤٦-٤٩)، الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر الاسفراييني، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، (ص٩٧-٩٩)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، (٤/١٧٠)).

(٢) **التأويل:** يأتي التأويل على عدة معانٍ منها: صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا النوع ينقسم إلى محمود ومذموم، فإن دلّ عليه دليل، فهو محمود النوع ويكون على وجه التفسير، وإن لم يدل عليه دليل، فهو مذموم، ويكون من باب التحريف، وليس من باب التأويل، وهذا الثاني هو الذي درج عليه أهل التحريف في صفات الله ﷻ ، ومنهم المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والشيعة. (انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، (١/٨٩-٩٠)).

- **وقد اختلف المعتزلة في تأويل صفة الرضا على وجهين:**

١. **الوجه الأول:** منهم مَن أوّلها بالإرادة، وقد تزعم هذا القول القاضي عبد الجبار[١]، ورجح القول بهذا الرأي بعد أن نقل اختلاف شيوخه في تأويل صفة الرضا هل هي بمعنى الإرادة أو بمعنى الثواب والمدح للفاعل[٢].

وهذا منهج القاضي في تأويل جميع الصفات الفعلية، إذ لا يجوز أن يوصف الله بالرضا أو الفرح أو السخط، وإنما يؤول بالإرادة تنزيهاً لله عن مشابهة خلقه وعدم حلول الحوادث به سبحانه، حيث يقول: "ويوصف تعالى بأنه راضٍ لأفعال عباده إذا كانت طاعة، ولا يكاد يستعمل ذلك في فعله تعالى، فصارت الإرادة توصف بذلك... فكل ما هذا حاله توصف الإرادة بأنها رضا" [٣].

ويقول في موضع آخر عند تأويله لصفة الفرح: " فلا يجوز أن يوصف بالفرح؛ لأن الفرح هو السرور الذي يجري مجرى المضاد للغمّ وذلك لا يصح إلا على من يجوز عليه المنافع والمضار... فيتأول على أن المراد به الإرادة وصحة توبة العبد " [٤].

٢. **الوجه الثاني:** منهم من تأولها بما يخلقه الله من الثواب؛ فقالوا إن الرضا لا يقوم بالله سبحانه، بل هو مخلوق، فرضاه عن المؤمنين ثوابه والثواب مخلوق [٥].

---

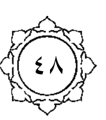
(١) **القاضي عبد الجبار:** هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، العلامة المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية ، وتصانيفه كثيرة في الاعتزال وتفسير القرآن، مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربع مائة، من أبناء التسعين. (انظر: سير أعلام النبلاء، (٢٤٤/١٧)، الوافي بالوفيات، (٢١/١٨)).

(٢) انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد، القاضي أبو الحسن عبد الجبار، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور سليمان دنيا، الدار المصرية – القاهرة، (٢٢٨/٢٠-٢٢٩)).

(٣) المصدر السابق، (ص٢٢٨) بتصرف.

(٤) المصدر السابق، (ص٣١٣) بتصرف.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، (١٤٩/١٧)).



المطلب الثاني: مذهب الأشاعرة [1] في صفة الرضا.

أجمع الأشاعرة على نفي صفات الفعل الاختيارية عن الله ﷻ وتأويلها، وذلك مثل صفات الرضا، والغضب، والفرح، والمجيء، والنزول، والإتيان، وغيرها.

ولكنهم في ذات الوقت يثبتون سبعاً من الصفات يسمونها صفات المعاني[2] وهي: الحياة والقدرة والعلم والكلام والإرادة والسمع والبصر، ويجعلون هذه الصفات حقيقية ثبتت بدليل العقل وصدّقها السمع، وليست مجازية، ويرجعون بقية الصفات إلى هذه الصفات السبع.

وعلى هذا فإن الأشاعرة لا يثبتون صفة الرضا لله ﷻ كما وردت في الكتاب والسنة، وكثير منهم يؤولون النصوص الواردة فيها بأنواع التأويلات المخالفة لظاهرها، وقد اختلفت تأويلات الأشاعرة لصفة الرضا، وهذه الاختلافات راجعة إلى اضطراب قواعدهم في التأويل.

---

(١) **الأشاعرة:** ينسب المذهب الأشعري الموجود في العالم الإسلامي إلى أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري البصري، الذي أخذ عن زوج أمه " الجبائي" مذهب الاعتزال، ثم بدا له فتركه وسلك طريقة عبد الله بن كلاب ونسج على قوانينه في الصفات والقدر فمال إليه جماعة وعولوا على رأيه وجادلوا فيه، وانتشر مذهب أبي الحسن الأشعري وحملوا الناس على التزامه فانتشر في أمصار الإسلام، مات الأشعري سنة ٣٢٤هـ، ومن أهم آراء الأشاعرة نفي الصفات إلا سبعاً يثبتونها بالعقل، والقول بأن أفعال العباد مخلوقة لله وهي كسب لهم، وأشهر علماء الأشاعرة: الباقلاني والجويني والإيجي والرازي، وقد رجع أبو الحسن الأشعري عن هذا المذهب، وقال بقول أهل السنة والجماعة في مسائل أصول الدين، وأثبت ذلك في كتابيه (مقالات الإسلامين) و (الإبانة عن أصول الديانة)، ومن العجيب أن الذين اتبعوه في أقواله القديمة ظلوا مُصرّين على هذه الأقوال حتى بعد رجوع إمامهم رحمه الله عنها، وعلى ذلك فأقوال الأشعرية ليست هي الأقوال التي يُنسب إليها أبو الحسن الأشعري. (انظر: خطط المقريزي (٤/١٩٠-١٩٤)، الملل والنحل (١/٩٤-١٠٢)) .

(٢) **أقسام الصفات عند الأشاعرة ؛ كالتالي:**

أ- **الصفات النفسية:** وهي صفة نفسية ثبوتية يدل الوصف بها على الذات نفسها دون معنى زائد، وهي صفة واحدة وهي "صفة الوجود" .

ب- **الصفات السلبية:** وهي الصفات التي تسلب عن الذات الإلهية ما لا يليق، وقد اختصرها العلماء في خمسة صفات رئيسية : "الوحدانية – القِدَم – البقاء – المخالفة للحوادث – القيام بالذات" .

ت- **صفات المعاني:** وهي صفات قائمة بذاته سبحانه يستلزم اتصافه بها حكماً معيناً، وهي سبع صفات: "العلم – القدرة – الإرادة – الحياة – السمع – البصر – الكلام".

ث- **الصفات المعنوية:** وهي ملازمة للسبع صفات السابقة، وعرّفت بأنها الحال الواجبة للذات، أي "قادراً – مريداً – عالماً – حياً – سمعياً – بصيراً – متكلماً " . (البيهقي وموقفه من الإلهيات، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص١٨١).

لذا نجد أن الأشاعرة قد سلكوا في نفي الصفات الاختيارية ومنها صفة الرضا مسلكين:

- **الطريقة الأولى:** أنهم يفسِّرون الصفات التي نفوها بالصفات التي أثبتوها، فمن الصفات التي نفوها صفة الرضا، حيث يفسرونها بإرادة الثواب، وكذلك صفة الغضب يفسرونها بإرادة الانتقام.

وإلى هذا ذهب جمهور الأشاعرة، فقالوا: إن الرضا والمحبة والإرادة بمعنى واحد [١]، ومن هؤلاء أبو الحسن الأشعري حيث يقول: "**وأن رضاه عنهم إرادته لنعيمهم... وأن غضبه إرادته لعذابهم**"[٢] .

كما ذهب الباقلاني إلى أن رضاه سبحانه يرجع إلى إرادته ؛ فقال: " الدليل على أن الرضا ونحو ذلك لا يخلو؛ إما أن يكون المراد به إرادته النفع فقط، أو يكون المراد رقته وميله وسكوته عند الرضا، فلما لم يَجُز أن يكون الباري جلّت قدرته ذا طبع يسكن ويرق، وأن هذه من صفات المخلوقين، وهو يتعالى عن جميع ذلك... ثبت أن المراد من رضاه إنما هو إرادته وقصده إلى نفع من كان في معلومه أنه ينفعه لا غير ذلك " [٣].

وقد أوّل صفة الرضا وأرجعها للإرادة جمعٌ من علماء الأشاعرة ؛ منهم الرازي في أحد أقواله وهذا القول هو الذي يرجحه عند تأويله لجميع الصفات الفعلية كالرضا والمحبة والسخط والكراهة[٤]، وكذلك الإيجي[٥]، وابن فورك [٦]، والنووي [٧]، والقمّي النيسابوري [٨]، وغيرهم.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، (٣٤٠/٨)، (١٠١/١٧).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، طبعة ١٤١٣هـ، (ص١٣٠) بتصرف.

(٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به في علم الكلام، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٧م، (ص١١) بتصرف.

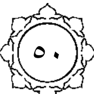
(٤) انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م،(٢٤٧/٢٦)، شرح أسماء الله الحسنى (لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات)، الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٤٨٤م، (ص٣٦٤-٣٦٥).

(٥) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م،(٤٩٤/٣).

(٦) انظر: مشكل الحديث وبيانه،(ص٤٧٩).

(٧) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، (١٢٤/١٦).

(٨) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين القمي النيسابوري، تحقيق الشيخ: زكريا عميران، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، (٦١٦/٥).



• **الطريقة الثانية:** يثبت الأشاعرة لازم المعنى وينفون الصفة نفسها، فينفون صفة الرضا ويثبتون لازمها وهو الثواب والإحسان، وينفون صفة الغضب ويثبتون لازمها وهي العقوبة.

وهذا ما نهجته جماعة أخرى من الأشاعرة، فذهبوا إلى التفريق بين مفهوم الرضا والإرادة؛ فقالوا أن الرضا معناه الثواب وليس هو عين الإرادة، ومنهم حجة الإسلام الشيخ أبو حامد الغزالي[1]، وكذلك الرازي في أحد أقواله[2] ؛ والحافظ عبد الرحمن السيوطي[3]؛ حيث يقول: "**الرضا من الله هو إرادة تنعيم المؤمنين وثوابهم وإيصال النفع لهم، وسخطه إرادة العقاب لأعدائه وإضرارهم**"[4].

ويذكر القرطبي[5] اختلاف أصحابه الأشاعرة في تأويل صفة الرضا في حقّ الله ﷻ على مذهبين: فمنهم مَنْ صرفها إلى إرادتِهِ تعالى إنعامًا مخصوصًا على مَنْ أخبَرَ أنَّه يحبُّه من عباده، ومنهم مَنْ صرفها إلى نفس الإنعام والإكرام [6].

ولكنه يعود فيرجّح القول بأن الرضا يؤوَّلُ بالثواب والثناء فيقول: " فالإرادة غير الرضا، وهذا مذهب أهل السنة... ويرضى بمعنى يثيب ويثني، فالرضا على هذا إما ثوابه فيكون صفة فعل، وإما ثناؤه فهو صفة ذات " [7].

ويتبين لنا مما سبق: مدى الاتفاق بين المعتزلة والأشاعرة على تأويل صفة الرضا، بالإضافة إلى المنهج المشترك الذي سلكوه في تأويلها؛ حيث قدّموا العقل على النقل وجعلوه مصدرهم الأساسي، وزعموا أن إثبات الصفات لله يقتضي التشبيه والتجسيم وهذا ينافي العقل

---

(١) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الإمام محمد الغزالي، شرح وتعليق: د. إنصاف رمضان ، دار قتيبة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، (ص٨٩-٩١).

(٢) انظر: لوامع البينات، (ص٣٦٤-٣٦٥)، التفسير الكبير، (٢٤٧/٢٦)، أساس التقديس للرازي، تحقيق: د. أحمد السقا، دار الجيل-بيروت، (ص١٦٥-١٦٧).

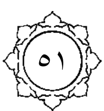
(٣) انظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، الحافظ عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار ابن عفان – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، (٤٨٧/٤) – (١٠٠/٥).

(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن، (٢٠٥/٢).

(٥) **القرطبي:** هو أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي، فقيه مالكي، من رجال الحديث، ولد سنة ٥٧٨هـ، وتوفي سنة ٦٥٦هـ، يعرف بابن المزين، كان مدرساً بالإسكندرية وتوفي بها، ومولده بقرطبة، من كتبه: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، وله في القرويين بفاس، كتاب اختصار صحيح البخاري. (انظر: الأعلام للزركلي، (١٨٦/١)).

(٦) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، دار ابن كثير – بيروت، (٢١٢/١).

(٧) الجامع لأحكام القرآن، (٢٥١/١٨) بتصرف.



بزعمهم، فهربوا من التجسيم والتشبيه إلى التعطيل، مخالفين بذلك نهج السلف الذين يثبتون الصفات ويُمرّونها على حقيقتها دون تحريف أو تعطيل أو تكييف.

المطلب الثالث: مذهب الماتريدية(١) في صفة الرضا.

أثبت الماتريدية ثمانيةً من الصفات وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، والتكوين(٢)، ونفوا ما عداها من الصفات وحرّفوا معانيها، ثم سموا ذلك التحريف تأويلاً.

ودليلهم فيما أثبتوه من الصفات أو نفوه هو العقل، فأما ما نفوه من الصفات الخبرية الاختيارية لله ﷻ، الثابتة بالكتاب والسنة، مثل صفات الرضا والغضب، والفرح والمجيء، والوجه واليدين، وغيرها؛ فقد زعموا أن في إثباتها مخالفة للعقل، الذي يرى في إثباتها ما يدعو إلى وصف الله تعالى بالتشبيه والتجسيم(٣).

---

(١) **الماتريدية:** تعد الماتريدية شقيقة الأشعرية؛ وذلك لما بينهما من الائتلاف والاتفاق حتى لكأنهما فرقة واحدة ويصعب التفريق بينهما، ولذلك يصرح كل من الأشاعرة والماتريدية بأن كلاً من أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي هما إماما أهل السنة على حد تعبيرهم، ولعل هذا التوافق يرجع إلى سبب رئيسي وهو توافق أفكار الفرقتين وقلة المسائل الخلافية بينهما وخاصة مع الأشعرية المتأخرة، إلا أن هناك أسباب مهمة يجب اعتبارها في الحسبان، أهمها التزامن في نشأة الفرقتين مع كون كل فرقة استقلت بأماكن نفوذ لم تنازعها فيها الفرقة الأخرى، فالماتريدية انتشرت بين الأحناف الذين كانوا متواجدين في شرق العالم الإسلامي وشماله فقل أن تجد حنفياً على عقيدة الأشاعرة، بينما انتشرت الأشعرية بين الشافعية والمالكية، وهم اليوم يتواجدون في وسط وغرب وجنوب شرق العالم الإسلامي، فجُلُّ علماء الشافعية والمالكية على مذهب الأشعرية. (انظر: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، (٢/١٣٣– ١٣٤)، العرش للذهبي، (١/٦٢)).

(٢) أثبت الماتريدية صفة التكوين، وعرّفوها بأنها صفة أزلية قديمة قائمة بذاته تعالى كصفة العلم والقدرة والسمع والبصر، وأما الأشاعرة فقد نفوها. (انظر: تبصرة الأدلة في أصول الدين، أبو معين ميمون بن محمد النسفي، تحقيق: د. حسين أتاي، نشريات رئاسة الشؤون الدينية للجمهورية التركية – أنقرة، ١٩٩٣م، (ص٤٠٤)).

(٣) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، الشيخ: إبراهيم اللقاني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، (ص٧٤)، الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، الشمس السلفي الأفغاني، مكتبة الصديق– الطائف، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، (٢/٤٨١)، الماتريدية دراسة وتقويماً، أحمد عوض الله اللهيبي الحربي، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، (ص٢٣٩)، العرش للذهبي (١/٧٧)، مجموع الفتاوى(٤/ ١٥٠، ١٧/٣٦٠)، شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، (ص٤٠).

وأما ما أثبتوه من الصفات؛ فقالوا أن العقل قد دلّ عليها؛ فإيجاد المخلوقات يدل على القدرة، وتخصيص بعضها بما يختص به يدل على الإرادة، وإحكامها يدل على العلم، وهذه الصفات الثلاث (القدرة، والإرادة، والعلم)، تدل على الحياة لأنها لا تقوم إلا بحي، والحي يتصف بالكلام والسمع والبصر – وهذه صفات كمال –؛ لأن اتصافه بضدها من الصمم والبكم والجهل ممتنع على الله ، فوجب ثبوت الكلام، والسمع، والبصر[1].

يقول أبو معين النسفي[2] موضحاً ذلك: " إذا ثبت أن صانع العالم قديم، ومن شرط القدم التبرّي عن النقائص، ثبت أنه حيّ قادر سميع بصير عالم، إذ لو لم يكن كذلك لكان موصوفاً بالموت والجهل، والعجز والعمى والصمم، إذ هذه الصفات متعاقبة لتلك الصفات، فلو لم تكن هذه الصفات ثابتة لله تعالى، لثبتَ ما يعاقبها وهي صفات نقص، ومن شرط القدم الكمال، فدلّ أنه موصوف بما بيّنا، لضرورة انتفاء أضدادها، التي هي من سمات المحدث لكونها نقائص"[3].

وصفة الرضا من الصفات الفعلية الاختيارية لله تعالى، التي عطلها الماتريدية، وصرفوا نصوصها إلى الثواب[4]، وقد فسّر أبو منصور الماتريدي[5]، رضا الله تعالى في قوله ﷻ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [البينة:٨]، فسّره بوجهين أحدهما قوله : " (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بما أكرمهم من الثواب لأعمالهم التي عملوا لأنفسهم، ورضوا عنه بكرامته التي أكرمهم " [6].

---

(١) انظر: تقريب التدمرية، ابن عثيمين، دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، (ص٢٤-٢٥)).

(٢) **أبو معين النسفي:** هو ميمون بن محمد بن محمد بن معبد بن مكحول، أبو المعين النسفي الحنفي، ولد سنة ٤١٨هـ، وتوفي سنة ٥٠٨ هـ، عالم بالأصول والكلام، كان بسمرقند وسكن بخارى، من كتبه: بحر الكلام، تبصرة الأدلة، التمهيد لقواعد التوحيد، مناهج الأئمة وغيرها كثير. (انظر: الأعلام للزركلي،(٣٤١/٧)).

(٣) تبصرة الأدلة، (ص٢٤٦).

(٤) انظر: شرح الفقه الأبسط لأبي الليث السمرقندي (ص٣٣)، نقلاً عن الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات (ص٥٠٣).

(٥) **أبو منصور الماتريدي:** هو محمد بن محمد بن محمود بن محمد الماتريدي السّمَرقَندي، وإليه تنسب الماتريدية، كان معدوداً في فقهاء الحنفية، وكان صاحب جدل وكلام، ولم يكن له دراية بالسنن والآثار، وقد لقّبه أنصاره بألقاب كثيرة منها: إمام أهل الهدى، علم الهدى، وقد تميز الماتريدي بأنه ذو قوة عقلية وقّادة، وقدرة فائقة على المناظرة بالحجج الباهرة، له تصانيف كثيرة في الفقه والتفسير والأصول وعلم الكلام منها تأويلات أهل السنة وكتاب التوحيد وكتاب مآخذ الشرع، وكتاب بيان وهم المعتزلة وغير ذلك كثير من المؤلفات ، توفي بسمرْقنْد سنة ٣٣٣هـ. (الأعلام للزركلي (١٩/٧)، وانظر: ترجمته بإسهاب في كتاب الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، (٢٣٣/١-٢٨٠)).

(٦) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م، (٥٩٥/١٠)).

كما عطلوا صفة المحبة وصرفوا نصوصها إلى إرادة الثواب[1]، وعطلوا صفة الغضب وصرفوا نصوصها إلى الانتقام[2]، أو إرادة الانتقام، يقول بدر الدين العيني[3] رحمه الله شارحاً باب الحذر من الغضب: " أي: **هذا باب في بيان الحذر من أجل الغضب، وهو غليان دم القلب لإرادة الانتقام** "[4].

فانظر كيف يؤوّلون صفات الرضا والمحبة والغضب وغيرها من صفات الأفعال، ولا يثبتونها على أنها أوصاف حقيقية لذات الرب ؛ لأنهم يجعلونها من متعلقات صفة التكوين التي يثبتونها، وهذا المذهب يتضمن التعطيل لكثير من الصفات، فالتكوين صفة أزلية قديمة، وهي عندهم: مبدأ الإخراج من العدم إلى الوجود [5].

كما أن صفة التكوين عندهم ترجع إلى صفتي القدرة والإرادة [6]، لذلك نجدهم يؤولون الصفات الفعلية كصفة الرضا بإرادة الثواب، وصفة الغضب بإرادة الانتقام وغيرها كثير.

وهم يقولون إن الله تعالى متصف بهذه الصفة منذ الأزل، وأن جميع صفات الله تعالى قديمة بلا استثناء ؛ لأن هذه صفات كمال ومدح والله سبحانه منزه عن حدوثها، لأن حدوثها يعني أنه سبحانه كان محلاً للنقص الذي يقتضيه فَقْدُ صفة من الصفات، والذي يكمل بعد اتصافه بها، لذلك جعلوها أزلية ونفوا الصفات الفعلية عن الله تعالى.

وفي ذلك يقول النسفي: " وقال أصحابنا: إنه كان خالقاً لقيام صفة الخلق وهو التكوين بذاته في الأزل، كما كان عالماً قادراً سميعاً بصيراً، وصار الحاصل أن جميع ما هو صفة الله تعالى كان أزلياً، وهو تعالى كان موصوفاً به في الأزل، تعالى ربّنا أن يحدث له صفات المدح"[7].

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٢٢/١٩٦).

(٢) انظر: المصدر السابق، (٢/٣٤).

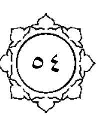
(٣) **بدر الدين العيني:** هو محمود بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ وعلامة، من كبار المحدثين، مولده في عينتاب وإليها نسبته، أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، عكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٨٥٥هـ، من كتبه: عمدة القاري في شرح البخاري، مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار، العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، وغيرها الكثير. (انظر: الأعلام للزركلي، (٧/١٦٣)).

(٤) عمدة القاري، (٢٢/١٦٣).

(٥) انظر: الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات (٢/٤٨٤)، الماتريدية دراسة وتقويماً (ص٢٩٣-٣٠٢).

(٦) انظر: الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات (٢/٤٨٤)، (٣/٣٥٤).

(٧) تبصرة الأدلة، (ص٤٠٣).



❖ **المقصود بالإرادة عند الماتريدية.**

الإرادة عند الماتريدية غير المحبة والرضا، فالإرادة لا تستلزم الرضى والمحبة، فقد يريد الله ما لا يحبه، وقد يحب شيئاً ولا يريده فلا يقع، وهذا هو الصحيح والموافق لمذهب السلف؛ فالماتريدية وافقت الحق في هذه المسألة [1]، بخلاف الأشاعرة الذين أثبتوا الإرادة الكونية دون الشرعية، وجعلوا المحبة والرضى والإرادة بمعنى واحد، وكذلك المعتزلة الذين أثبتوا الإرادة الشرعية دون الكونية.

ومما سبق يتضح أن فرقة الماتريدية لم تنهج منهج السلف فيما يتعلق بإثبات الصفات، فهم أثبتوا بعضاً منها، وعطلوا جُلّها بحجة تنزيه الله عن التشبيه والتجسيم ومنها صفة الرضا.

وهذا على خلاف نهج السلف الذين يثبتون جميع الصفات لله ﷻ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

المطلب الرابع: مذهب الشيعة الإمامية[2] في صفة الرضا.

تأثرت الشيعة الإمامية تأثراً كبيراً في معتقداتهم بفرقة المعتزلة؛ لذلك نجدهم ينحون نفس النحو الذي نَحَتْهُ المعتزلة في باب الأسماء والصفات.

جاء في مقدمة عقائد الإمامية: "... وهذا يدلنا دلالة قاطعة على الروابط المتينة بين التشيع والاعتزال، وبين أعيان الشيعة وأعيان المعتزلة... يرى إلى أي حدٍ كان أعيان الشيعة هم أعيان المعتزلة، وأعيان المعتزلة هم أعيان الشيعة إلا فيما شذّ منهم، ولقد بلغت هذه الروابط قيمة

---

(١) انظر: نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية، خالد بن علي المرضي الغامدي، دار أطلس الخضراء- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، (ص١١٢)، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية – جدة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، (١٢٣٧/٣).

(٢) **الشيعة الإمامية:** هم القائلون بإمامة علي ﷺ بعد النبي عليه الصلاة والسلام ؛ نصاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين، فلا يجوز أن يفارق الرسولُ الأمةَ ويتركهم هملاً يرى كل واحد منهم رأياً، ويسلك كل واحد منهم طريقاً لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه، وينص على واحد هو الموثوق به، وقد عين علياً ﷺ في مواضع تعريضاً، وأخرى تصريحاً؛ ثم تخطت الإمامية عن هذه الدرجة إلى الطعن في كبار الصحابة وتكفيرهم ظلماً وعدواناً، بالرغم من أن نصوص القرآن شهدت على عدالتهم والرضا عن جملتهم، وقد اختلف الشيعة الإمامية في تعيين الأئمة بعد الحسن، والحسين، وعلي بن الحسين ﷺ على رأي واحد، بل كانت اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها، وكانوا في الأول على مذهب أئمتهم في الأصول، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم، واختارت كل فرقة منهم طريقة، فصارت الإمامية بعضها معتزلة: إما وعيدية، وإما تفضيلية، وبعضها إخبارية: إما مشبهة وإما سلفية، ثم انقسموا بعد ذلك إلى فرق كثيرة جداً. (انظر: الملل والنحل، (١٦٢/١)).

التأثير المزدوج بين الطائفتين في أواسط القرن الرابع الهجري... ومن أجل هذا أطلقوا على أنفسهم أهل التوحيد ؛ فالإمامية والمعتزلة يشتركان في القول بأن الصفات هي عين الذات أي أنه سبحانه بصير بذاته، سميع بذاته، قادر بذاته، وهكذا لا يفرقان بين الذات والصفات"(١).

فإذا كانت العلاقة وثيقة لهذا الحدّ بين المعتزلة والشيعة الإمامية من جهة التاريخ ؛ فإن العلاقة من ناحية التوحيد وبالذات في الصفات الخبرية كصفة الرضا أوثق وأوغل في العمق(٢).

وقد أخذ الكلام في باب الصفات الإلهية عند الشيعة حيزاً كبيراً لتقرير عقيدتهم فيها، فقسموها وأسهبوا في شرح مذهبهم فيها وتأويلها وبيان حجتهم في ذلك كله، لكننا نختص في هذا المقام بالحديث عن مذهب الشيعة الإمامية في صفة الرضا لله ﷻ باعتبارها من الصفات الفعلية الاختيارية.

- **تعريف صفات الأفعال عند الشيعة الإمامية.**

هي ما تجب بوجود الفعل، ولا تجب قبل وجوده، ووصفه بصفات الأفعال معناه أنه قبل صدور الفعل لا يصح وصفه سبحانه بتلك الصفة، فقبل خلقه الخلق لا يوصف بأنه خالق، وقبل إماتته الخلق لا يقال عنه مميت، إلى غير ذلك من الصفات التي لا يصح حملها على الذات إلا بعد وقوع الفعل منه سبحانه(٣).

يقول جعفر السبحاني: "وبعبارةٍ أُخرى مالم يصدر من الله فعل كالخالقية والرازقيّة والغفارية والراحمية لا يمكن وصفه فعلاً بالخالق والرازق وبالغفّار والرحيم، وإن كان قادراً ذاتاً على الخلق والإرزاق والمغفرة والرحمة"(٤).

وصفات الأفعال يصح وصف الله تعالى بأضدادها، كما يصح خروجه عنها، فلا يوصف بالموت ولا بالعجز ولا بالجهل، لكنه يصح الوصف له بأنه غير خالقٍ اليوم، ولا رازقٍ لزيد، ولا محيي لميتٍ ما، ولا مبدئ ولا معيد لشيء في هذه الحال(٥).

---

(١) عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، قدّم له: د. حامد حفني داود، (ص٢١) بتصرف.

(٢) انظر: الصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين بياناً وتفصيلاً، (ص٦٨).

(٣) انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية، الإمام الشيخ المفيد، تحقيق: حسن دركاهى، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، مطبعة مهر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، (ص٤٢)، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، هاشم معروف الحسيني، إعداد شبكة الإمامين الحسنين عليهما السلام للتراث والفكر الإسلامي، موقع الشبكة على الشبكة العنكبوتية، http://www.alhassanain.com، (ص١٥٣)، بتاريخ ٢/٦/٢٠١٢م.

(٤) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، الشيخ جعفر السبحاني، نقله إلى العربية جعفر الهادي، إعداد مركز الأبحاث العقائدية – النجف الأشرف، موقع المركز على الشبكة العنكبوتية http://www.aqaed.com، (ص٦٩)، بتاريخ ٢/٦/٢٠١٢م.

(٥) انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية، (ص٤٢).

- **مذهب الشيعة الإمامية في صفة الرضا.**

ذهبت الشيعة الإمامية إلى نفي جميع الصفات الإلهية بأن زعموا أن صفاته هي عين ذاته، وليست معنى زائداً على ذاته، ومنها الصفات الفعلية الاختيارية، مثل الرضا والغضب والمحبة والإتيان والمجيء والنزول وغيرها.

و حجتهم في نفي الصفات أن إثباتها يقتضي التجسيم وتشبيه الخالق بالمخلوقين، كما يؤدي للقول بتعدد القدماء، وهذا ما يجب أن يُنزّه الله عنه – حسب زعمهم – عن طريق نفي تلك الصفات عن الله تعالى.

وفي ذلك يقول الشيخ محمد رضا المظفر: " كما لا ينقضي العجب من قول من يذهب إلى أن صفاته الثبوتية زائدة على ذاته، فقال بتعدد القدماء ووجود الشركاء لواجب الوجود، أو قال بتركيبه تعالى عن ذلك " [(١)].

ثم إن الشيعة لم تكتفِ بنفي الصفات فحسب، بل قامت بتأويلها بما يتناسب مع مذهبهم في نفي الصفات وتعطيلها، مستغلين ثراء اللغة العربية في دلالة الألفاظ على عدة معانٍ، واستخدام الكنايات والاستعارات والمجاز.

يقول إبراهيم موسى الزنجاني: "ومن قال بالتشبيه في خلقه، بأن صوّر له وجهاً ويداً وعيناً، أو أنه ينزل إلى السماء الدنيا، أو أنه يظهر إلى أهل الجنة كالقمر، أو نحو ذلك ؛ فإنه بمنزلة الكافر به، جاهل بحقيقة الخالق المنزه عن النقص... فإن أمثال هؤلاء المدعين جمدوا على ظاهر الألفاظ في القرآن الكريم أو الحديث... فلم يستطيعوا أن يتصرفوا بالظاهر حسبما يقتضيه النظر والدليل وقواعد الاستعارة والمجاز " [(٢)].

وقد اعتمد الشيعة في موقفهم من الصفات على روايات موضوعة مكذوبة، نسبوها لأئمتهم زوراً وبهتاناً، إضافة إلى أنها تتناقض تماماً مع ما جاء به القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة.

فمما ورد في تأويل صفة الرضا والغضب، ما رواه الصدوق بسنده عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، فقلت له: " **يا ابن**

---

(١) عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، (ص ٣٨-٣٩).

(٢) عقائد الإمامية الإثنا عشرية، سيد إبراهيم الموسوي الزنجاني، الطبعة الخامسة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، (٢٥/١-٢٦) بتصرف، وانظر: دراسات في العقيدة الإسلامية، محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، (ص١٨٩-١٩٠).

رسول الله أخبرني عن الله ﷻ هل له رضا وسخط ؟ فقال: نعم، وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين ولكن غضب الله عقابه، ورضاه ثوابه "[1].

وعن المشرقي، عن حمزة بن الربيع، عمن ذكره، قال: كنت في مجلس أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمرو بن عبيد، فقال له جعلت فداك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ** ﴾ [طه:٨١]، ما ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: "**هو العقاب يا عمرو، إنه من زعم أن الله ﷻ زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق، إن الله ﷻ لا يستفزه شيء ولا يغيره** " [2].

فدل جميع ما سبق على أن الشيعة الإمامية قد خالفت منهج السلف في إثبات الصفات لله ﷻ، شأنها شأن ما سبقها من الفرق والمذاهب التي ضلّت في هذا الباب، فأثبتت الأسماء ونفت الصفات وعطلتها فهربت من التشبيه والتجسيم إلى ما هو أشنع منه وهو التعطيل.

المطلب الخامس: شبهات المخالفين في نفي صفة الرضا والرد عليهم.

أولاً: شبهة التجسيم والتشبيه والجواب عنها.

ما من نافٍ لشيءٍ من الأسماء والصفات إلا ويزعم أنه قد قام عنده دليل العقل على أنه يدل على التجسيم فيكون متشابهاً، فيلزم حينئذٍ أن تكون جميع الأسماء والصفات متشابهات، وحينئذٍ يلزم التعطيل المحض، وأن يفهم من الأسماء والصفات معنى، ولا يميز بين معنى القدير والسميع والبصير، ولا بين الإرادة والرضا والعفو والغفران والاستواء ونحوها [3].

لذلك قال أهل الشبهة: **لَا يُعْقَلُ رِضًا وَغَضَبٌ؛ إلَّا مَا يَقُومُ بِقَلْبِ هُوَ جِسْمٌ** [4].

- **الجواب عن ذلك من وجوه:**

١. إن كنتم لا تعقلون رضا إلا ما هو قائم بجسم ؛ فنحن لا نعقل علماً إلا ما هو قائم بجسم، ولا إرادة إلا ما هو قائم بجسم، ولا سمعاً ولا بصراً إلا ما هو قائم بجسم، فلِمَ فرقتم بين المتماثلين وقلتم إن هذه يمكن قيامها بغير جسم، والرضا لا يمكن قيامه إلا بجسم وهما في المعقول سواء؟!

---

(١) التوحيد، محمد بن علي بن بابويه القمي (الصدوق)، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، إعداد مركز الأبحاث العقائدية – النجف الأشرف، موقع المركز على الشبكة العنكبوتية http://www.aqaed.com، باب معنى رضاه ﷻ وسخطه، حديث رقم ٤، (ص١٧١).

(٢) التوحيد للصدوق، حديث رقم ١، (ص١٦٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، (٤٤/٦).

(٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م ، (١١٩٢/٣).

فإن كان ما تثبتونه مماثلاً لصفات العبد لزمكم التمثيل في الجميع، وإن كنتم تثبتونه على الوجه اللائق بجلال الله تعالى من غير مماثلة بصفات المخلوقين، فأثبتوا الجميع على هذا الوجه ولا فرق بين صفة وصفة في الإثبات [1].

٢. من نفى صفة الرضا أو غيرها من الصفات فراراً بزعمه من التشبيه والتركيب والتجسيم فإنه يلزمه أن يثبت صفة الرضا كما أثبت العلم والحياة والإرادة وغيرها ولا فرق بينهما [2].

٣. **فإن قال:** إن الله متصف بصفة العلم أو الإرادة أو القدرة أو غيرها، ولا يلزم من ذلك تشبيه لا تجسيم ولا تركيب، فيلزمه أن يثبت صفة الرضا وغيرها مما نفى ولا يلزم من إثباتها التشبيه ولا التجسيم ولا التركيب.

٤. **فإن قال:** أثبتُ الأسماء وأنفي الصفات ؛ لأنه لا يلزم من إثبات الأسماء تشبيه ولا تجسيم

قلنا له: يلزمك أن تثبت صفة الرضا وغيرها كما أثبتّ الأسماء، فإثباتها لا يلزم منه تشبيه ولا تجسيم، فالقول في بعض الصفات كالقول في الآخر [3].

٥. **فإن قال:** أنا أثبتُ العلم والإرادة والحياة ونحوها على ما يليق بالله، فله إرادة لا تشبه إرادة المخلوق وله علم لا يشبه علم المخلوق وهكذا....

قلنا له: وكذلك له رضا ومحبة ورحمة لا تشبه رضا المخلوق أو محبته أو رحمته، فإن أثبتّ ما أثبتّ لكونها لا تماثل صفات المخلوقين، فقل مثل ذلك في الرضا ونحوها من الصفات التي نفيتها [4].

فيلزمكم فيما نفيتم من صفة الرضا ونحوها نظير ما أثبتّموه من الإرادة والعلم وغيرهما، فإما أن تعطلوا الجميع وهذا ممتنع، وإما أن تمثلوه بالمخلوقات وهذا أيضاً ممتنع، وإما أن تثبتوا الجميع على وجهٍ يختص به لا يماثله فيه غيره، وحينئذٍ لا فرق بين صفة وصفة من حيث الإثبات، فإثبات إحداهما ونفي الأخرى فراراً من التشبيه والتجسيم فقول باطل يلزم منه التفريق بين المتماثلات والتناقض في المقالتين [5].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، (٤٥/٦).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية، (١١٥/٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥١/٥)، منهاج السنة النبوية (١١٦/٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ٣٥٢/٥، لوامع الأنوار البهية للسفاريني، (١٢١/١- ١٢٤).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، (٤٦/٦).

ثانياً: دَلِيلُ الْعَقْلِ دَلَّ عَلَى الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ ؛ دُونَ الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

الجواب عن ذلك من وجوه:

١. إن الرجوع إلى العقل في الإثبات والنفي مخالف لما كان عليه سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ومن تبعهم، فما من أحدٍ رجع إلى العقل في ذلك، وإنما يرجعون إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فما أثبته الله لنفسه أو أثبته له أعلم الخلق بهﷺ أثبتوه، وما نفاه عن نفسه في كتابه أو نفاه عنه رسوله ﷺ نفوه، مع إثباتهم ما أثبته، إثباتاً بلا تمثيل، ونفياً بلا تعطيل [(١)].

قال الإمام أحمد ﷺ: " وصفاته منه وله ولا نتعدى القرآن والحديث " [(٢)].

وقال الإمام الشافعي ﷺ: " حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى الخواطر أن تحيط وعلى العقول أن تعقل، إلا ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ" [(٣)].

٢. الرجوع إلى العقل في هذا الباب مخالف للعقل ؛ لأن هذا الباب من الأمور الغيبية التي ليس للعقل فيها مجال، وإنما تتلقى من السمع، فإن العقل لا يمكنه أن يدرك بالتفصيل ما يجب ويجوز ويمتنع في حق الله تعالى ؛ فيكون تحكيم العقل في ذلك مخالفاً للعقل.

٣. الرجوع إلى العقل في إثبات الأسماء والصفات مستلزم للاختلاف والتناقض، فإن لكل واحد منهم عقلاً يرى وجوب الرجوع إليه، فتجد أحدهم يثبت ما ينفيه الآخر، وربما يتناقض الواحد منهم فيثبت في مكان، ما ينفيه – أو ينفي نظيره – في مكان آخر، ومن المعلوم أن تناقض الأقوال دليل على فسادها [(٤)].

وفي هذا يقول ابن تيمية ﷺ: " فيا ليت شعري ! بأي عقل يوزن الكتاب والسنة ؟، فرضي الله عنه الإمام مالك بن أنس حيث قال: أوَ كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء" [(٥)].

٤. دلالة العقل على ما تقولون لا يستلزم عدم الدليل على إثبات الرضا، وغيرها من الصفات، فلو أن العقل لم يثبت ما نفيته فإنه لا ينفيه، وليس لك أن تنفيه بغير دليل؛ لأن النافي عليه

---

(١) انظر: تقريب التدمرية، (ص٢٥).

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، (٦٢٤/٢، ٧١٠/٣)، ذم التأويل،(ص٢٢).

(٣) ذم التأويل، (ص٢٣).

(٤) انظر: تقريب التدمرية، (ص٢٥-٢٦).

(٥) مجموع الفتاوى، (٢٩/٥).



الدليل لما نفاه، كما أن المثبت عليه الدليل لما أثبت، فيجب إثبات ما نفيته لثبوته بالدليل السمعي، مثل قوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [المائدة:١١٩].

٥. أنه يمكن إقامة الدليل العقلي الذي أثبت به ما أثبت على إثبات صفة الرضا وغيرها مما نفيت، فإذا دلّ الدليل العقلي على إثبات الإرادة والسمع والبصر وغيرها مما أثبتّ، وهو سالم عن المعارض ؛ فإنه يثبت أيضاً صفة الرضا وغيرها مما نفيت من غير دليل سمعي ولا عقلي [(١)].

٦. يُقال للمفرق بين الصفات، إما أن تثبت جميع الصفات أو تنفيها معاً، فالذي يلزم من المحذور في بعضها يلزم في بعضها الآخر، فمن فرق بينها فقد تناقض.

فالقول في الصفات كالقول في الذات ؛ فكما أن لله ذاتاً لا تشبه الذوات فكذلك له صفات لا تشبه الصفات، فالصفاتُ فرع من الذات فما يقال فيها يقال في الصفات[(٢)].

ثالثاً: ذهب المعتزلة إلى القول بأن الرضا والمحبة والغضب ونحوها إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه، ليس هو في نفسه متصفاً بشيء من ذلك [(٣)].

الجواب عن ذلك من وجوه:

١. أن هذا مفارقة للحق وأهله، من السلف، والأئمة، وأهل الفقه، والحديث، وجميع المثبتة للصفات[(٤)].

٢. أن الذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف: أن الخلق غير المخلوق، فالخلق فعل الخالق، والمخلوق مفعوله، ولهذا كان رسول الله ﷺ يستعيذ بأفعال الرب وصفاته كما سبق في قوله ﷺ: (أعوذ برضاك من سخطك) فاستعاذ برضاه، والاستعاذة لا تكون إلا بالله أو بصفاته [(٥)].

٣. أن الاستعاذة كما في الحديث السابق لم تكن بمخلوق؛ لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك، والرسول ﷺ إنما جاء يدعو إلى توحيد الله ﷻ وعدم الإشراك معه أو به غيره، بل هي رسالة

---

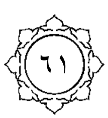
(١) انظر: المصدر السابق نفسه.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٢٥/٣، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص٣٩، تقريب التدمرية (ص٣٩).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، (ص٣٩٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، (١٤٩/١٧).

(٥) انظر: المصدر السابق، (٣٢٩/٦).



الرسل جميعاً، فدل ذلك على أن لله صفات، ومنها الرضا، وأنها غير مخلوقة، بل هي صفة ذاتية فعلية اختيارية تقوم بمشيئته وقدرته[1].

٤. ما ذكره الخلال في عقيدة الإمام أحمد بن حنبل، وهو أن أصحاب الإمام أنكروا على من يقول: " إن الرضا مخلوق "، وقالوا من قال ذلك لزمه أن رضا الله على الأنبياء والمؤمنين يفنى حتى لا يكون راضياً [2].

٥. القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات [3].

رابعاً: ذهبت الأشاعرة إلى أن إثبات الرضا يقتضي أن يكون الباري جلّت قدرته ذا طبع يسكن ويرق، وهذا محال في حقّ الله ﷻ فوجب تأويل صفة الرضا على أن المراد بها الثواب والثناء.

الجواب عن ذلك:

- إن قولهم هذا يدل على جهلهم بالفرق بين صفة الله التي هي الرضا وبين أثرها الذي قد يسمى باسم الصفة، فالصفة تابعة للذات غير مخلوقة، أما أثرها فهو مخلوق وفرق بينهما، فالأثر غير الصفة، والصفة غير الأثر وإن سمي باسمها، فيقال للمرضي به رضا وللمأمور به أمراً، وللمرحوم به رحمة، لكن يقال له: هذا ليس هو حقيقة الصفة عند الإطلاق [4].

وبهذا يتبين خطأ قول من قال: " والرضا إما ثوابه فيكون صفة فعل، وإما ثناؤه فهو صفة ذات".

---

(١) صفة الرضا بين الإثبات والتعطيل، (ص١٨)، وانظر المرتبع الأسنى في رياض الأسماء الحسنى، ابن القيم، جمع وإعداد: عبد العزيز الداخل، (ص١١٨).

(٢) انظر: العقيدة رواية أبي بكر الخلال، (١/١٠٩-١١٠).

(٣) انظر: شرح الرسالة التدمرية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، طبعة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، (ص١٥١).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، (١٧/١٤٩).

المبحث الرابع

رضا الله ﷻ .. أسبابه وموانعه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب رضا الله ﷻ عن العباد.

المطلب الثاني: موانع رضا الله ﷻ عن العباد.

المبحث الرابع: رضا الله ﷻ، أسبابه وموانعه.

تمهيد :

إن المتدبّر لآيات القرآن الكريم، المتمعّنِ فيها، يجد حلاوة ولذّة حين يقرأ آيات الرضا، وتستكين نفسه وتطمئن روحه، وهو يرى ما أعدّه الله من الثواب الجزيل والأجر العظيم لعباده الرّاضِيْنَ المرضيين، بل إنه ﷻ حين يتحدث عن جزائهم، يقدمّ رضاه عنهم على رضاهم عنه؛ فيقـــول ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢]، وكأنه ﷻ يوجّه عباده إلى أن رضاه أساس كل خير في الدنيا والآخرة.

ومن عظيم رحمة الله ﷻ أنه بيّن لعباده أسباب رضاه؛ ليتّبعوها ويحصّلوا ذلك الأجر العظيم، ثم إنه أخبرهم بموجبات غضبه وسخطه التي تمنع رضاه ﷻ؛ ليمتنعوا عنها خوفاً ورهباً من عذاب المنتقم الجبّار.

يقول ابن القيم رحمه الله: "فإن أغضبَته ﷻ معاصي الخلق، وكفرهم وشركهم وظلمهم، أرضاه تسبيح ملائكته، وعبادة المؤمنين له، وحمدهم إياه وطاعتهم له، فيعيذ رضاه من غضبه"(١).

المطلب الأول: أسباب رضا الله ﷻ عن العباد.

من أعظم أسباب حصول الرضا؛ أن يلزم العبد ما جعل الله رضاه فيه، فإنه يوصله إلى مقام الرضا ولا بد، وقد قيل ليحيى بن معاذ: " متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا؟؛ فقال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه، فيقول: إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت " (٢).

وهنا نستعرض بعض الأمور التي تكون سبباً في رضا الله ﷻ عن عباده، نذكر منها:

أولاً: ارتضاء الإسلام ديناً.

إن من أعظم أسباب رضا الله ﷻ عن عباده، ومن أكمل نعمهِ وأجلّها عليهم، هي ارتضاء الإسلام ديناً لهم، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣].

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم، دار ابن كثير- دمشق، مكتبة دار التراث-المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، (ص٢٧٩).

(٢) مدارج السالكين، (١٨٠/٢).



فدين الإسلام هو ما شرعه الله ﷻ لعباده على ألسنة رسله، ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمرآن:١٩] وأصل دين الإسلام المُرتضى، الذي هو دين الرسل أجمعين من أولهم إلى آخرهم، توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة، وترك الإشراك به ﷻ، فلا يقبل الله من أحدٍ ديناً سواه .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا... فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا...)**[١] الحديث.

❖ **المقصود بالإسلام في قوله تعالى:** ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾.

إن ديننا الإسلامي أَعلنَ عن كماله رسول الله ﷺ حين قرأ على الناس يوم عرفة هذه الآية، والتي حين سمع بها يهوديّ، قال لعمر بن الخطاب ﷺ: "**يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا نزلت، معشر اليهود، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً...**" الحديث[٢].

لكن المفسرين اختلفوا في تفسير معنى الإسلام في الآية الكريمة على قولين:

الأول: أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك؛ لأنه لا نعمة أتمّ من نعمة الإسلام، ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً، واخترته لكم من بين الأديان، وآذنتكم بأنه هو الدين المرضيُّ وحده[٣]؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

الثاني: الإسلام معناه الانقياد لأمري فيما شرعت لكم من الفرائض والأحكام والحدود ومعالم الدين الذي أكملته لكم، ومعلوم أن الإسلام لم يزل مرضيّاً للحق تعالى منذ القدم، إلّا أن المعنيّ به في الآية، هي الصفة التي هو اليوم بها، وهي نهاية الكمال والبلوغ به أقصى درجاته، أي: فالزموه ولا تفارقوه[٤]؛ ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾.

وعلى كلِا القولين فإن ما رضيه الله لنا وهو الغني الحميد، نحن أولى أن نرضى به وأحق؛ لأنه ﷻ الغنيٌّ عن عباده، الكامل في صفاته وأفعاله، لن يرتضي لعباده إلا الحقّ والخير.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه، (ص٧١٢/ح١٧١٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التفسير، باب (اليوم أكملت لكم دينكم)، (ص١٢٠٧/ح٣٠١٧).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ، (٦٠٥/١)، التفسير الكبير للرازي، (٢٨٩/١١)، تفسير القرآن العظيم، (٢٦/٣).

(٤) انظر: جامع البيان، (٨٤/٨)، محاسن التأويل، محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، (٣١/٤).

يقول سيّد قطب[1] رحمه الله: " ويقف المؤمن أمام ارتضاء الله الإسلام ديناً للذين آمنوا، يقف أمام رعاية الله تعالى وعنايته بهذه الأمة، حتى ليختار لها دينها ويرتضيه، وهو تعبير يشي بحب الله لهذه الأمة ورضاه عنها، حتى ليختار لها منهج حياتها... إن ارتضاء الله الإسلام ديناً لهذه الأمة، ليقتضي منها ابتداء أن تدرك قيمة هذا الاختيار. ثم تحرص على الاستقامة على هذا الدين جهد ما في الطاقة من وسع واقتدار، وإلا فما أنكد من يهمل ما رضيه الله له، ليختار لنفسه غير ما اختاره الله، وإنها إذن لجريمة نكدة لا تذهب بغير جزاء، ولا يترك صاحبها يمضي ناجياً أبداً وقد رفض ما ارتضاه له الله " [2].

ثانياً: عمل الصالحات.

إذ إنه لا يكتفى بالإسلام دون الطاعات، كيف لا والمعنى الحقيقي للإسلام هو صحة اعتقاد القلب في الإيمان بالله ورسوله، يتبع ذلك الاعتقاد، عمل الجوارح حتى يطابق الظاهر الباطن.

وبهذا ننتقل إلى مفهوم أعمق وهو الإيمان، والمؤمنون حقاً هم الذين فقهوا هذا الأمر؛ فآمنوا ثم قدّموا بين يدي إيمانهم طاعات تدلّ على حبّهم لله تعالى.

والمتأمل لكتاب الله يرى أن الله تعالى قد قرن بينهما ليترتب عليهما رضاه وثوابه الجزيل؛ فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾** ﴾ [البينة:٦-٨].

وكم هي أمنية المؤمن الصادق أن يحصل على رضا الله تعالى كما قال تعالى عن النبي سليمان عليه السلام: ﴿ **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ**

---

(١) **سيد قطب:** هو سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، من مواليد أسيوط، تخرج بكلية دار العلوم وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي الرسالة والثقافة، وعين مدرساً للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف، وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا، ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية واستقال إثر ذلك، ثم انضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه سنة ١٣٨٧هـ، فأعدم، وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها: العدالة الاجتماعية في الإسلام، التصوير الفني في القرآن، مشاهد القيامة في القرآن، أشواك، في ظلال القرآن ومعالم في الطريق. (انظر: الأعلام للزركلي، (١٤٧/٣-١٤٨)).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار لشروق-بيروت، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ، (٨٤٥/٢ – ٨٤٦) بتصرف.

صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل:١٩]، قال ابن كثير رحمه الله: "وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ أي: عملاً تحبه و ترضاه" (١).

وهذا التعبير من سليمان عليه السلام، يظهر لنا مدى استشعاره نعمة الله تعالى عليه، فهو قد حصل على المرتبة التي كان يتمناها من العلم، فما كان منه إلا أن توجه لربّه بقوة بأن يوفقه لشكر نعمته عليه وعلى والديه بالعمل الصالح الذي يرضاه الله تعالى.

وسوف نستعرض نماذج لأصناف من الطاعات التي جعلها الله سبباً في تحصيل رضاه تعالى، على سبيل المثال لا الحصر، ومن ذلك:

١. **الجهاد في سبيل الله:** يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة:٢٠٧]، وقد نزلت هذه الآية في الصحابي صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه، ذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الخروج للهجرة، منعته قريش أن يهاجر فافتدى نفسه بكل ماله على أن يدعوه ودينه ولا يمنعوه الهجرة؛ ففعلوا فاشترى نفسه بماله كله غَيْر راحلة، وأقام بين أظهرهم ما شاء الله، ثُمّ ركب راحلته، فلما دنا من المدينة تلقاه عُمر في رجال، فقال له عمر: رَبِح البيعُ، قال: وبيعكَ فلا يخسر، قال: وما ذاك ؟؛ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية (٢).

ونقل بعض المفسرين أن هذه الآية نزلت في المسلم الذي لقي الكافر فقال له: قل لا إله إلا الله، فإذا قلتها عصمت دمك، ومالك إلا بحقهما، فأبى أن يقولها؛ فقال المسلم: والله لأشرين نفسي لله؛ فتقدم فقاتل حتى قتل (٣).

قال الطبري رحمه الله: " إنّ الله جل ثناؤه وصف شاريًا نفسَه ابتغاء مرضاته، فكل من باعَ نفسه في طاعته حتى قُتل فيها، أو استقتل وإن لم يُقتل، فمعنيٌّ بقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾، في جهاد عدو المسلمين كان ذلك منه، أو في أمرٍ بمعروف أو نهي عن منكر" (٤).

وعلى هذا فإن أي نوعٍ من أنواع الجهاد سواء كان بالنفس أو المال أو الأهل والولد أو كلمة الحق أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كل ذلك يكون سبباً في رضا الله تعالى مادام أنه لله وفي الله.

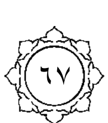
---

(١) تفسير القرآن العظيم، (١٨٣/٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، (١٧٩/١).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٢٦٦/١)، الجامع لأحكام القرآن (٢١/٣)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت، (٥٧٩/١).

(٤) جامع البيان، (٢٥١/٤).



٢. **الصدق:** فالذي يطلب رضا الله ويعمل من أجله هو الصادق في قوله وعمله، ويبتغي مرضاة الله ﷻ؛ ولقد قصّ الله علينا في كتابه الكريم أنباء المستحقين لرضوانه ﷻ، وقد ضرب المهاجرون أروع الأمثلة في ابتغاء مرضاة لله ﷻ، وهم الذين قال الله في حقهم: ﴿**لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ**﴾ [الحشر:٨].

قال ابن كثير رحمه الله **في تفسير الآية:** " يقول تعالى مبيناً حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً) أي: خرجوا من ديارهم، وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه، (وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) أي: هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين" [(١)].

ولم يكن الأنصار بأقل منهم درجةً في التسابق لمرضاة الله ﷻ وتصديق رسول الله ﷺ حين هبّوا لنصرته والدفاع عنه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، فاستحقوا رضوان الله تعالى، وفي هذا يقول ﷻ: ﴿**وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ**﴾ [التوبة:١٠٠].

٣. **الولاء لله ورسوله والبراء من المشركين والمنافقين:** فالمؤمن الحقّ يطلب رضا الله تعالى حتى لو وصل به ذلك إلى إسخاط الناس، وإن كانت صلته بهم من أعلى درجات القرابة، كما قال تعالى:﴿ **لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ** ۚ﴾ [المجادلة:٢٢].

قال ابن كثير: " وفي قوله: ﴿**رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ** ۚ﴾ سر بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم"[(٢)].

٤. **الشوق إلى لقاء الله:** الشوق إلى لقاء الله بالشوق إلى المبادرة بطاعته ﷻ، وإن كان ذلك يؤدي للشهادة في سبيل الله، وكم يكون الشوق حادياً للحصول على الرضا، وسمة ذلك كما قال الشاعر:

وأخرج من بين البيوت لعلني... أحدث عنك القلب بالسر خالياً [(٣)]

(١) تفسير القرآن العظيم، (٨/٦٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٨/٥٥).

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، طبعة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، (ص٤٣٧).

فالشوق يحمل المحب على العجلة في رضا المحبوب، والمبادرة إليه على الفور، ولو كان فيها تلفه، وقد كان لنا في نبيّ الله موسى ﷺ أسوة حسنة، حينما تعجل للقاء ربه، ليتحصّل على رضاه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه:٨٣-٨٤].

وموسى عليه الصلاة والسلام ممن رضي الله عنهم ولكنه كان شغوفاً ليزيد رضا الله عنه؛ فسبق قومه لذلك قال: لترضى؛ أي لتزداد عني رضا [١]، قال بعض المفسرين للآية: " أراد شوقاً إليك فستره بلفظ الرضا"[٢].

٥. **الانصياع لأوامر الله ﷻ والتسليم بها وإن اكتنفها مشقة أو خوف أو نحو ذلك:** فأهل بيعة الرضوان الذين سلّموا بأمر الله ﷻ وأطاعوا رسوله ﷺ وتسابقوا لنصرة دينه والإخلاص في ذلك استحقوا مرضاة الله عنهم، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

وعن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (... **لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**) [٣]، وهذا كناية عن كمال الرضى وصلاح الحال وتوفيقهم للخير للخير لا الترخص لهم في كل فعل [٤].

٦. **الصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح ذات البين**، وقد اجتمعت هذه الأعمال في قوله تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:١١٤].

ورُبّ كلمةٍ صغيرة لا يبتغي بها العبد إلا رضوان الله ﷻ، ترفعه درجات عالية عند الله ﷻ، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ...**) [٥].

٧. **إظهار الحمد لله على النعم التي أسبغها على عباده:** والحمد مكمل الرضا، ومنزلته عظيمة، وهو علامة رضى الله على عباده وإنعامه عليهم.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٥/٣٠٩).

(٢) روضة المحبين، (ص٤٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد السير، باب الجاسوس، (ج٤/ص٥٩/ح٣٠٠٧).

(٤) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم أبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ، (١٢/٢٦٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، وقوله تعالى: " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب وعتيد" (ج٨ /ص١٠١/ ح٦٤٧٨).

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا)** (١).

فله الحمد في الأولى والآخرة، أي في جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود في ذلك كله(٢)، وحمد الله على نعمه لا تكون فقط باللسان، وإنما حمد المنعم عبارة عن كل فعل يُشعِر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً، وذلك الفعل إما أن يكون فعل القلب؛ كأن يعتقد أنه ﷻ موصوفاً بصفات الكمال والإجلال، أو فعل اللسان؛ كأن يذكر ألفاظاً تدل على كونه موصوفاً بصفات الكمال، أو فعل الجوارح كأن يأتي بأفعال دالة على كون ذلك المنعم موصوفاً بصفات الكمال والإجلال(٣).

فالحمد ذكرٌ يحب أن يسمعه الله ليس في الدنيا فحسب، بل يلهمه ﷻ لعباده الفائزين بالجنة، ففي الحديث عن جابر، قال رسول الله ﷺ: **(يأكل أهل الجنة فيها...و يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والْحَمْدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ)**(٤).

وانظر إلى ذاك الأعمى الذي أظهر حمده لله ﷻ بقلبه ولسانه وجميع جوارحه، فنسب كل ما صار إليه من النعمة إلى فضل الله عليه؛ فكان ذلك سبباً في رضا الله تعالى عنه، ففي الحديث (... **قَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لاَ أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ)** (٥).

قال الشيخ سليمان آل الشيخ: " وهذا حديث عظيم، وفيه معتبر؛ فإن الأولين جحدوا نعمة الله فما أقرا لله بنعمته، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أدّيا حق الله فحلّ عليهما السخط، وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدى حق الله فيها؛

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، (ص١٠٩٤/ح٢٧٣٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٥/١).

(٣) انظر: التفسير الكبير، (١٩٧/١).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، (ج٢٣/ص٣٣١/ح١٥١١٧)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حَدِيثُ أَبْرَصَ وَأَعْمَى وَأَقْرَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، (ج٤/ص١٧١/ح٣٤٦٤).

فاستحق الرضا من الله قيامه بشكر النعمة، لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها، وهي: الإقرار بالنعمة ونسبتها إلى المنعم وبذلها فيما يجب"[(١)].

٨. **الشكر:** قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧]، فعلّق الرضا بشكرهم وجعله مجزوماً جزاءً له، وجزاء الشرط لا يكون إلا بعده، وهذا دليل على أن الرضا سببه الشكر، وهو جزاء له والجزاء إنما يكون بعد العمل والمسبب[(٢)].

٩. **إنفاق الأموال في سبيل الله:** قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا﴾ [البقرة:٢٦٥]

١٠. **الرضا بالقضاء والقدر:** فعن أنس بن مالك، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **(عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا...)** الحديث[(٣)].

فالمقصود من الحديث الحث على الصبر على البلاء بعد وقوعه والرضا بقدر الله، لا الترغيب في طلبه للنهي عنه، فمن رضي بما ابتلاه الله به فله الرضى منه تعالى وجزيل الثواب [(٤)].

المطلب الثاني: موانع رضا الله ﷻ عن العباد.

لا يستوي من طلب الرضا واتبع الرضا، مع من باء بسخط الله واتبع الغواية؛ فانحرف عن عبادة الله وأسخط ربه بشركه وضلاله، يقول تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران:١٦٢].

قال ابن كثير رحمه الله: " أي لا يستوي من اتبع رضوان الله فيما شرعه؛ فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه وأجير من وبيل عقابه، ومن استحق غضب الله وألزم به، فلا محيد له عنه، ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير "[(٥)].

---

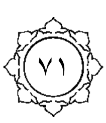
(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ١٢٣٣هـ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م، (ص٥٤٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، (٢٢٦/٦).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الشهادات عن رسول الله ﷺ بَاب مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، (ج٤/ ص٢٠٢/ح ٢٣٩٦) قال أبو عيسى (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ)، وقال الألباني (حسن) .

(٤) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية – بيروت، (٦٥/٧).

(٥) تفسير القرآن العظيم، (١٥٧/٢).



وموانع رضا الله عن عباده كثيرة نذكر منها:

أولاً: الكفر والشرك بالله.

يقول الله ﷻ: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر:٧]، وهذا من أعظم أسباب سخط الله وغضبه على عباده، أن يكفروا به أو أن يتخذوا معه شركاء في العبادة، وهذا ينافي كمال التوحيد له ﷻ، فهو الخالق الرازق لا معبود بحق إلا هو ﷻ، المستحق لإفراده بجميع أنواع العبادة.

ثانياً: ارتكاب المعاصي.

ومن جملة المعاصي التي تستجلب سخط الله تعالى، نذكر ما يلي:

١. الفسوق في القول والعمل في العبادة.

الفاسقون العاصون لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، هم المحرومون من رضا الله ﷻ، وأولهم المنافقون الذين يقولون بألسنتهم وظاهرهم: آمنّا وأسلمنا وماهم بمؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا، هؤلاء قال الله ﷻ فيهم: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة:٩٦].

٢. اتباع ما يسخط الله تعالى وكراهية رضوانه.

ذلك أن من أطاع من كره ما نزل الله فقد كره رضوان الله؛ لأن رضوانه تعالى ليس إلا في العمل بما نزل، فاستلزمت كراهة ما نزّل كراهة رضوانه لأن رضوانه فيما نزّل، ومن أطاع كارهه، فهو ككاره[١].

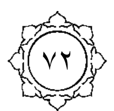
وفي هذا يقول الله ﷻ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد:٢٧-٢٨].

قال ابن عباس رضي الله عنه: " بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد ﷺ وكرهوا رضوانه، كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو الطاعة والإيمان؛ فأحبط أعمالهم"[٢].

وَفِي الآية لطيفتان، **الأولى:** وهي أن الله ﷻ ذكر أمرين: ضرب الوجه، وضرب الأدبار، وذكر بعدهما أمرين آخرين: اتباع ما أسخط الله وكراهة رضوانه، فكأنه تعالى قابل الأمرين؛

(١) انظر: أضواء البيان، (٣٨٣/٧).

(٢) معالم التنزيل، (٢١٧/٤).



فقال: يضربون وجوههم حيث أقبلوا على سخط الله، فإن المتسع للشيء متوجه إليه، ويضربون أدبارهم لأنهم تولوا عما فيه رضا الله، فإن الكاره للشيء يتولى عنه.

والثانية: وهي أن الله تعالى قال: ما أسخط الله، ولم يقل: ما أرضى الله، وذلك لأن رحمة الله سابقة، فله رحمة ثابتة وهي منشأ الرضوان، وغضب الله متأخر فهو يكون على ذنب؛ فقال: رضوانه لأنه وصف ثابت لله سابق، ولم يقل سخط الله، بل ما أسخط الله إشارة إلى أن السخط ليس ثبوته كثبوت الرضوان [1].

٣. موالاة الكفار و المنافقين.

يقول الله ﷻ: ﴿ **تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ** ﴾ [المائدة: ٨٠].

فبالغ ﷻ بذم من يوالي الكفار والمنافقين، بأن أحبط أعمالهم، بل جعلها موجبة لسخط الله عليهم وغضبه ومقته؛ لأنهم أهل كفر وعصيان، ومن رضي عن كفرهم ومعصيتهم فقد صار مثلهم.

٤. الجدال وكثرة السؤال وإضاعة المال في غير رضا الله.

وجميعها قد اجتمعت في الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**...وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**) [2].

ورُبّ كلمة تورد صاحبها المهالك، وتجعله من أهل النار وهو يغفل عن ذلك، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**... وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**) [3].

٥. السخط على قضاء الله.

فعن أنس بن مالك ﷺ، أن الرسول ﷺ قال: (**... وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**) [4]، فتسخطه دليل على اعتراضه على قضاء الله، وقد يكون هذا القضاء كله له خير وهو لا يعلم.

---

(١) انظر: التفسير الكبير، (٢٨/٥٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه، (ص٧١٢ /ح١٧١٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، وقوله تعالى: " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب وعتيد" (ج٨ /ص١٠١/ ح٦٤٧٨).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب أبواب الشهادات عن رسول الله ﷺ بَاب مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، (ج٤/ ص٢٠٢/ح ٢٣٩٦) قال أبو عيسى: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ)، وقال الألباني: (حسن).



الفصل الثاني

رضا العباد وعلاقته بمسائل الاعتقاد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: رضا العباد.. حقيقته وفضله ومنزلته.

المبحث الثاني: الرضا وعلاقته بمسائل القضاء والقدر.

المبحث الثالث: الرضا وعلاقته بمسائل الولاء والبراء.

المبحث الرابع: ثمرات الرضا اليانعة.



المبحث الأول

رضا العباد.. حقيقته وفضله ومنزلته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة رضا العباد.

المطلب الثاني: فضل الرضا.

المطلب الثالث: منزلة الراضي.

المبحث الأول: رضا العباد.. حقيقته وفضله ومنزلته.

المطلب الأول: حقيقة رضا العباد.

الرضا – وإن كان من أعمال القلوب – فله حقيقة تترجمه إلى واقع ملموس، ويتفاوت الناس عند الله تعالى في هذه الأعمال، فما هي حقيقة الرضا؟

لقد تحدث الكثير عن حقيقة الرضا، وأمسك البعض وظن أن حقيقة الرضا لا تُعرف ولا تُتَصور(١)، وبعضهم جعله الانطراح والتسليم لما يجريه الله دون العمل، حتى قال: " الرضا أن لا تسأل الله الجَنَّة ولا تستعيذ به من النَّار" (٢).

واختلف أهل التصوف في حقيقة الرضا، هل هو مقام مكتسب، أم حال موهبي ؟ إلى ثلاث طوائف هي:

١. **طائفة قالت:** الرضا نهاية التوكل، وهو مقام مكتسب، يُمكن أن يتوصل إليه العبد باكتسابه، وهؤلاء متصوفة خراسان، وقد احتجت هذه الطائفة بأن الله مدح أهله، وأثنى عليهم وندبهم إليه، فدل ذلك على أنه مقدور لهم (٣).

٢. **وطائفة قالت:** الرضا حال من جملة الأحوال، وليس كسبياً للعبد، بل هو نازلة تحل بالقلب، كسائر الأحوال، أي أنه موهبة محضة، وهؤلاء متصوفة العراق (٤).

٣. **وطائفة ثالثة جمعت بين الطائفتين السابقتين:** منهم القشيري(٥) وغيره؛ فقالوا: " بداية الرضا مكتسبة للعبد، وهي من جملة المقامات، ونهايته من جملة الأحوال، وليست مكتسبة، فأوله مقام ونهايته حال " (٦).

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة – بيروت، (٣٤٧/٤).

(٢) الاستقامة، (٦٥/٢).

(٣) انظر: مدارج السالكين، (١٧٩/٢).

(٤) انظر: المصدر السابق نفسه.

(٥) **القشيري:** هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، شيخ خراسان في عصره زهداً وعلماً بالدين، أقام وتوفي في نيسابور، من كتبه: التيسير في التفسير ولطائف الإشارات والرسالة القشيرية. (انظر: الأعلام للزركلي، (٥٧/٤–٥٨)).

(٦) الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف، دار المعارف – القاهرة، (٣٤١/٢–٣٤٢).

لكن الإمام ابن القيم ﷺ له رأي جامع مانع يحسم الخلاف ويضع ضوابط لذلك؛ فنراه يقول: "فمما اختلفوا فيه: الرضا، هل هو حال أم مقام... والصحيح في هذا: أن الواردات والمنازلات لها أسماء باعتبار أحوالها، فتكون لوامع، وبوارق، ولوائح عند أول ظهورها وبُدُوّها، كما يلمع البارق، ويلوح عن بعد، فإذا نازَلَتْه، وباشرها فهي أحوال، فإذا تمكنت منه، وثبتت له من غير انتقال، فهي مقامات، وهي لوامع، ولوائح في أولها، وأحوال في أوسطها، ومقامات في نهاياتها"(١).

فهو يرى ﷺ أن الرضى كسبي باعتبار سببه، موهبي باعتبار حقيقته؛ فقال: " فيمكن أن يقال بالكسب لأسبابه، فإذا تمكن في أسبابه، وغرس شجرته؛ اجتنى منها ثمرة الرضى؛ فإن الرضى آخر التوكل " (٢).

وعرّف العلماء حقيقة الرضا فقالوا : " من أراد أن يبلغ مَحل الرِّضَا فليلزم مَا جعل الله رِضَاهُ فِيهِ؛ فَإِن هَذَا الْكَلَام فِي غَايَة الْحسن ، فَإِنَّهُ من لزم مَا يرضى الله من امْتِثَال أوامره وَاجْتِنَاب نواهيه لَا سِيمَا إِذا قَامَ بواجبها ومستحبها " (٣) .

المطلب الثاني: فضل الرضا.

إن المتأمل في آيات الذكر الحكيم والأحاديث النبوية التي وردت في بيان فضيلة الرضا؛ يجد أنه أسمى مقاماً وأرفع رتبة من الصبر، إذ هو السلام الروحي الذي يصل بالمؤمن إلى حب كل شيء في الوجود يرضي الله تعالى، حتى أقدار الحياة ومصائبها، يراها خيراً ورحمة، ويتأملها بعين الرضا فضلاً وبركة.

١. إن الرضا حال من أحوال أهل الجَنَّة، لا يفارق صاحبه المتحلي به في الدنيا، مادام مع أمر الله راضياً بقضائه في الدنيا، وفي الآخرة، وعليه؛ فإن رضا الله تعالى ورضا عبده متلازمان، فإن رضي العبد عن الله ﷺ ، وأنزله المنازل الكريمة وجزاه الجزاء الأوفى الذي وعده به، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٧-٨]؛ قال ابن كثير في تفسير الآية: " ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم " (٤).

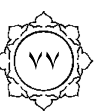
---

(١) مدارج السالكين، (١/١٥١-١٥٢) بتصرف.

(٢) المصدر السابق، (٢/١٨١).

(٣) الاستقامة، (٢/٨٠) ، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، (٢/٣٩٣)

(٤) تفسير القرآن العظيم، (٨/٤٥٨).



ولأن الرضا صفة الله، والجنة خَلْقه؛ كان رضاه ﷻ عن المؤمنين أكبر وأجلّ وأعظم مما هم فيه من النعيم، قال الله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ بعد قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)﴾ [التوبة:٧٢]، وهذا الرضا جزاء على رضاهم عنه في الدنيا، ولما كان هذا الجزاء أفضل الجزاء، كان سببه أفضل الأعمال.

وعليه؛ فإن رضا الله تعالى عن عبده أكبر من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار المُعَدّة للخلود فيها أبداً، وأكبر من المساكن الطيبة القرار، حسنة البناء، الموصوفة من رسول الله ﷺ بقوله: (**جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا * وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**) [(١)].

بل إن رضا الله تعالى من خير ما يعطيه لعباده الصالحين يوم القيامة، كما في الحديث الذي يرويه أنس عن النبي ﷺ فيقول: (... **ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَهَذَا مَحَلُّ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فَيَقُولُ: رِضَايَ أُحِلُّكُمْ دَارِي، وَأَنَالَكُمْ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فَيَشْهَدُ عَلَيْهِمْ عَلَى الرِّضَا، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، إِلَى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِهِمْ مِنَ الْجُمُعَةِ...**) الحديث [(٢)].

وفي معنى الحديث السابق، قال ابن القيم ~~رحمه الله~~:

فبينا هموا في عيشهم وسرورهم — وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم

ذا هم بنور ساطع أشرقت له — بأقطارها الجنات لا يتوهم

تجلى لهم رب السماوات جهرة — فيضحك فوق العرش ثم يكلم

يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما — تريدون عندي أنني أنا أرحم

فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضا — فأنت الذي تولى الجميل وترحم

فيعطيهم هذا ويشهد جميعهم — عليه تعالى الله فالله أكرم[(٣)]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ)، (ج١٢/ص١٦٩/ح٤٨٧٨)

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، (ج٢/ص٣١٤/ح٢٠٨٤)، قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: "حسن لغيره" ، (٣/٢٧٢)

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، مطبعة المدني – القاهرة، (١/١٢).

٢. قال ابن القيم رحمه الله: " إن الرضا آخذ بزمام مقامات الدين كلها، وهو روحها وحياتها، فإنه روح التوكل وحقيقته، وروح اليقين، وروح المحبة، وصحة المُحبّ، ودليل صدق المحبة، وروح الشكر ودليله" [١].

وهذه الأمور إذا اجتمعت صار صاحبها صاحب طمأنينة، وما نقص من هذه الأمور نقص من الطمأنينة، وكم يتمنى العبد الحصول على الطمأنينة؛ فالرضا من الأمور التي تسبب في وصول العبد إليها، فهو باب الله الأعظم.

فأما اليقين فإنه لا يتم إلا بالرضا عن الله، وهذه أفضل الأحوال التي يكون عليها المسلم من الرغبة في الله ولوازمها، ولهذا قال سهل: " **حظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من الرضا، وحظهم من الرضا على قدر رغبتهم في الله** " [٢].

وأما المحبة فإنها لا تقوم إلا على ساق الرضا؛ فالمحب راض عن حبيبه في كل حالة، يُذكر أنه لما قدم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى مكة – وقد كُفَّ بصره – جعل الناس يهرعون إليه ليدعو لهم، فجعل يدعو لهم، قال عبد الله بن السائب: " فأتيته وأنا غلام، فتعرفت إليه فعرفني، فقلت: يا عم، أنت تدعو للناس فيشفون، فلو دعوت لنفسك لرد الله عليك بصرك، فتبسم ثم قال: يا بنيّ، قضاه الله أحب إلي من بصري "[٣].

وليس الرضا والمحبة كالرجاء والخوف، فإن الرضا والمحبة حالان من أحوال أهل الجنة لا يفارقان المتلبس بهما في الدنيا، ولا في البرزخ، ولا في الآخرة، بخلاف الخوف والرجاء فإنهما يفارقان أهل الجنة بحصول ما كانوا يرجونه، وأمنهم مما كانوا يخافونه، وإن كان رجاؤهم لما ينالون من كرامته دائماً، لكنه ليس رجاءً مشوباً بشك بل هو رجاءٌ واثقٌ بوعدٍ صادقٍ من حبيبٍ قادر، فهذا لون ورجاؤهم في الدنيا لون[٤].

وكذلك الرضا روح الشكر ودليل عليه، يقول الربيع بن أنس: " **علامة الشكر، الرضا بقدر الله والتسليم لقضائه** " [٥]؛ فصار الرضا كالروح لهذه المقامات، والأساس الذي تنبني عليه، ولا يصح شيء منها بدونه البتة، والله أعلم.

---

(١) مدارج السالكين، (٢/٢٢٧).
(٢) المصدر السابق ، (٢/٢٣٢).
(٣) المصدر السابق، (٢/٢٣٦).
(٤) انظر: المصدر السابق، (٢/١٨٢).
(٥) المصدر السابق، (٢/٢٢٧).



٣. مقام الرضا أعلى من مقام الصبر، قال ابن القيم ﷀ: " فمقامات الإيمان لا تعدم بالتنقل فيها، بل تتدرج وينطوي الأدنى في الأعلى، كما يندرج الإيمان في الإحسان، وكما يندرج الصبر في مقامات الرضا، لا أن الصبر يزول، ويندرج الرضا في التفويض، ويندرج الخوف والرجاء في الحب، لا أنهما يزولان"(١).

وقال الإمام أحمد ﷀ: " أجمع سبعون رجلاً من التابعين، وأئمة المسلمين، والسلف، وفقهاء الأمصار، على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ؛ أولها: الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم لأمره، والصبر تحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهى الله عنه، وإخلاص العمل لله، والإيمان بالقدر، خيره وشره، وترك المراء، والجدال، والخصومات في الدين " (٢).

٤. معلوم أن الرضا من أعمال القلوب، وأعمال القلوب بالجملة كالمحبة لله تعالى، والتوكل عليه، والإنابة إليه والخوف منه والرجاء، وإخلاص الدين له، والرضا بقضائه، أفضل من أعمال الجوارح؛ ذلك أن أعمال الجوارح تضاعف إلى حد معلوم محسوب، فيكون جزاؤها بحسب حدّها، وأما أعمال القلب فلا ينتهي تضعيفها فهي دائمة متصلة، وإن توارى شهود العبد لها.

ومثاله: أن المحبة والرضا حال المحب الراضي لا تفارقه أصلاً وإن توارى حكمها، فصاحبها في مزيد متصل، فمزيد المحب الراضي: متصل بدوام هذه الحال له فهو في مزيد ولو فترت جوارحه، بل قد يكون مزيده في حال سكونه وفتوره أكثر من مزيد كثير من أهل النوافل بما لا نسبة بينهما، ويبلغ ذلك بصاحبه إلى أن يكون مزيده في حال نومه أكثر من مزيد كثير من أهل القيام، وأكله أكثر من مزيد كثير من أهل الصيام والجوع.(٣)

قال أبو سليمان الداراني: " **ثلاث مقامات لا حد لها: الزهد، والورع، والرضا** " (٤).

قال ابن القيم: " كما أن الرضا من أعمال القلوب، نظير الجهاد من أعمال الجوارح؛ فإن كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان، قال أبو الدرداء: " **ذروة سنام الإيمان الصبر للحكم، والرضا بالقدر** " (٥).

---

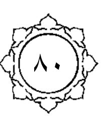
(١) عدة الصابرين، (ص١٥١).

(٢) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود بن عبد الله الآلوسي، قدم له: علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، (ص٢٢٦).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٣٧-٢٣٨).

(٤) قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي، تحقيق: د. عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (٢/٧٢)، مدارج السالكين (٢/٢٣٨).

(٥) مدارج السالكين، (٢/٢٢٣).



٥. الرضا بالقضاء من تمام الإيمان بالقضاء والقدر؛ ذلك أنه بالرضا تصير النفس المؤمنة مطمئنة، فالرضا بالقضاء أشق شيء على النفس، بل هو ذبحها في الحقيقة، لأنّ فيه مخالفة هواها وطبعها وإرادتها، فإذا رضيت بقضاء الله وأذعنت له استحقت أن يقال لها:﴿**يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾**﴾ [الفجر:٢٧-٢٨].

ففي الآية لما فرغ ﷻ من حكاية أحوال الأشقياء ذكر بعض أحوال السعداء، فقال: يا أيتها النفس المطمئنة، المطمئنة: هي الساكنة الموقنة بالإيمان وتوحيد الله، الواصلة إلى ثلج اليقين بحيث لا يخالطها شك ولا يعتريها ريب، قال الحسن: هي المؤمنة الموقنة، وقال مجاهد: الراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وقيل: هي الآمنة المطمئنة، وقيل: غير ذلك، وكلها معاني متقاربة [١].

فقوله تعالى: ﴿**ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ**﴾ أي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته، ﴿**رَاضِيَةً**﴾ أي في نفسها، ﴿**مَّرْضِيَّةً**﴾ أي قد رضيت عن الله ورضي عنها، وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضا كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره [٢].

فالمراد هنا: هو حصول الرضا لها بما حصل لها من كرامته وبما نالته عند الرجوع إليه فحصل لها رضاها والرضى عنها [٣].

وقال عمرو بن العاص ﷺ: " إذا توفي المؤمن أرسل الله إليه ملكين، وأرسل معهما تحفة من الجنة، فيقولان لها: اخرجي أيتها النفس المطمئنة راضية مرضية، ومرضياً عنك، اخرجي إلى روح وريحان، وربٍّ راضٍ غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك وجد أحد من أنفه على ظهر الأرض" [٤].

٦. الرضا من العدل؛ فالرضا يُشْعِر العبد بعدل الرب، فعن ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ كان يقول: **(ما أصاب عبداً همٌ ولا حزنٌ فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكلِ اسمٍ هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونورَ بصري وجلاء**

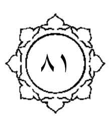
---

(١) انظر: فتح القدير (٥/٥٣٦)، تفسير القرآن العظيم (٨/٤٠٠)، جامع البيان (٢٤/٤٢٢-٤٢٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٥٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٨/٤٠٠).

(٣) انظر: مدارج السالكين، (ص١٨٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، (٢٠/٥٨).



حزني وذهاب همِّي إلا أذهب الله همَّه وأبدله مكانه فرجاً، قَالَ: فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها، فقال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها) (١).

فقوله: عدل فيّ قضاؤك، يعم قضاء الذنب، وقضاء أثره وعقوبته، فإن الأمرين من قضائه ﷻ، وهو أعدل العادلين في قضائه بالذنب، وفي قضائه بعقوبته، فأما عدله في العقوبة: فظاهر، وأما عدله في قضائه بالذنب؛ فلأن الذنب عقوبة على غفلته عن ربه، وإعراض قلبه عنه فإنه إذا غفل قلبه عن ربه ووليه، ونقص إخلاصه استحق أن يضرب بهذه العقوبة؛ لأن قلوب الغافلين معدن الذنوب، والعقوبات واردة عليها من كل جهة، وإلا فمع كمال الإخلاص والذكر والإقبال على الله ﷻ وذكره، يستحيل صدور الذنب (٢)، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

وعدم الرضا يحصل بأحد سببين: إما لفواتِ شيءٍ أخطأك و أنت تحبه و تريده، أو لشيءٍ أصابك و أنت تكرهه و تسخطه؛ فيحصل للشخص الذي ليس عنده رضا، قلقٌ و اضطرابٌ إذا نزل به ما يكره و فاته ما يحب، حصل له أنواع الشقاء النفسي، و إذا كان راضياً لو نزل به ما يكره أو فاته ما يحب ما شقي و لا تألّم؛ لأن الرضا يمنع عنه هذا الألم، فلا هو يأسى على ما فاته و لا يفرح بما أوتي، قال تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد:٢٣].(٣)

٧. إن الطاعات كلها أصلها من الرضا، والمخالفات كلها أصلها من عدم الرضا، وهذا إنما يعرفه حق المعرفة من عرف صفات نفسه، وما يتولد عنها من الطاعات والمعاصي، وقد كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى ﷺ فقال: " **أما بعد، فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر**"(٤).

٨. قال ابن القيم ﷺ: " الرضا مَعْقِد نظام الدين ظاهره وباطنه، فإن القضايا لا تخلو من خمسة أنواع: فتنقسم قسمين: دينية، وكونية، وهي: مأمورات، ومنهيات، ومباحات، ونِعَم مُلِذّة، وبلايا مؤلمة، فإذا استعمل العبد الرضا في ذلك كله فقد أخذ بالحظ الوافر من الإسلام" (٥).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، (ج٦/ص٢٤٦/ح٣٧١٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (ج٢/ص١٧١/ح١٨٢٢).

(٢) مدارج السالكين، (٢/٢٢١-٢٢٢).

(٣) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب ، محمد نصر الدين محمد عويضة، (٢٠١/٦)

(٤) المصدر السابق، (١٨٥/٢).

(٥) مدارج السالكين، (٢٢٠/٢).



وليعلم العبد أن أعظم راحته وسروره ونعيمه في الرضى عن ربه تعالى وتقدس في جميع حالاته؛ فإن الرضا – كما وصفه ابن القيم ﵀: "**باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين** " [(١)].

٩. الرضا من وصايا الرسول الكريم ﷺ؛ فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن)**؛ فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعدّ خمساً وقال: **(اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب)** [(٢)].

١٠. الرضا غايةٌ يسعى لها المؤمن الصادق؛ ولذا كان النبي ﷺ يدعو في صلاته أن يعطيه الله الرضا بعد القضاء، كما في حديث عمار ابن ياسر ﵁ أنه قال: (... **وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ)** [(٣)].

فالرضا والتوكل يكتنفان المقدور فالتوكل قبل وقوعه، والرضا بعد وقوعه؛ ولهذا سأل النبيﷺ ربه أن يلهمه الرضا بعد القضاء؛ لأن ما يكون قبل القضاء فهو عزم على الرضا لا حقيقة الرضا، فكم من الناس يعزمون على الرضا قبل وقوع القضاء، فإذا وقع انفسخت عزائمهم وانتفى الرضا عندهم[(٤)].

١١. الرضا منزلة من منازل الشهداء، كما في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك ﵁ قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القراء، فيهم خالي حرام، يقرؤون القرآن، ويتدارسونه بالليل، يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء، فيضعونه بالمسجد، ويحتطبون؛ فيبيعونه، ويشترون به الطعام لأهل الصفة، وللفقراء، فبعثهم النبي ﷺ إليهم، فعرضوا لهم، فقتلوهم؛ قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلّغ عنا نبينا، أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا، قال: وأتى رجل حراماً، خال أنس، من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت ورب الكعبة؛ فقال رسول الله ﷺ

---

(١) مدارج السالكين، (٢/٢١٥-٢١٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب بَاب مَنْ اتَّقَى الْمَحَارِمَ فَهُوَ أَعْبَدُ النَّاسِ، (ج٤/ص١٤٠/ح٢٣٠٥) وقال الترمذي: " هذا حديث غريب "، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: " الحديث بمجموع طرقه حسنٌ لغيره "، (ج٢/ص٢٩٤/ح٢٣٤٩).

(٣) أخرجه النسائي في سننه، كتاب السهو، باب نوع آخر، (ج٣/ص٦٢/ح١٣٠٥)، وقال الألباني: صحيح

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، (١٠/٣٧).

لأصحابه: (**إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا**)[١].

المطلب الثالث: منزلة الراضي.

بلوغ مقام الرضا لا يكون بالتحلي ولا بالتمني، كما ورد في الأثر عن الإيمان: " **ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل** " [٢].

وليس بالادعاء والكبرياء، كما في قصة قارون لما وعظه قومه بشأن ماله، فقال لهم: إنَّما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي، علمه الله مني، فرضي بذلك عني، وفضلني بهذا المال عليكم، لعلمه بفضلي عليكم، فأنزل الله ﷻ في ذلك: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص:٧٦-٧٨].

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي: لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا " [٣].

لكن المال على كثرته مع قارون لم يغنِ عنه شيئاً، ولم يبلغ به درجة الرضا، فما رضي عن الله ولا رضي بقضائه، بل خسف الله به وبداره الأرض، ولهذا أدرك من تمنى أن يكون له ملك قارون هذه الحقيقة، وعلموا أنه كان بعيداً عن رضا الله، فقالوا: ﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [القصص:٨٢].

لأجل هذا، فإن الإنسان حين يبلغ منزلة الرضا، وجب عليه أن يتوجه لله تعالى بالحمد والثناء الحسن، لأنه ﷻ هو من هداه لهذه المنزلة، وأرشده للرضا به رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، وشرح صدره للإيمان بقضاء الله وقدره.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، (ص٧٩٠/ح٦٧٧).

(٢) الإيمان، ابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – عمان، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، (ص٢٣٠).

(٣) جامع البيان، (٦٢٦/١٩).



فمنزلة المؤمن الراضي منزلة عظيمة، فاز من بلغها الفوز الكبير، ويتبين هذا مما يلي:

لقد أثنى المولى ﷻ على أهل الرضا في مواطن كثيرة وندبهم إليه، فقال تعالى: ﴿ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

قال مقاتل ؒ في تفسير قول الله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ "رضي الله عنهم بطاعته وَرَضُوا عَنْهُ بثوابه. وكان بعض السلف يقول: إذا كنت لا ترضى عن الله، فكيف تسأله الرضا عنك؟"(١).

وقال ﷻ: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

فهذه الآيات تضمنت: جزاءهم على صدقهم وإيمانهم وأعمالهم الصالحة، ومجاهدة أعدائه وعدم ولايتهم بأن رضي الله عنهم، فأرضاهم فرضوا عنه وإنما حصل لهم هذا بعد الرضى به رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً (٢).

١. الرضا من صفات أهل الإيمان فهم يسعون لنيل رضا ربهم في كل عمل صالح يقدمون عليه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة:٢٠٧]، وقال ﷻ: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤].

ورضا المولى ﷻ هو أقصى ما يتمناه أهل الإيمان، فقد قال ﷻ عن سليمان ؑ وقد أعطي من الملك ما أعطي: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩].

وقرر الحق تبارك وتعالى في كتابه الكريم رضاه عن المؤمنين المبايعين تحت الشجرة فقال عنهم: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، (٤/٧٨١).

(٢) انظر: مدارج السالكين، (٢/١٩٦).



وقد قال تعالى:﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠]، يقول العلامة الغزالي[1] رحمه الله: "**ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى**" [2].

٢. كما أن النبي ﷺ أثنى على الراضين بمرّ القضاء، الصابرين على عِظم البلاء، فجعل رضا الله ﷻ ومحبته لهم جزاءً لهم على رضاهم عنه، كما في حديث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**) [3].

ذلك أن الراضي متلقٍ أوامر ربّهِ – الدينية والقدرية – بالانشراح والتسليم، وطيب النفس والاستسلام، والساخط يتلقاها بضد ذلك إلا ما وافق طبعه. وإرادته منها، قال أبو عثمان الحيري: " **منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته، وما نقلني إلى غيره فسخطته**"[4].

وقال الفضيل بن عياض: " **الرضا أفضل من الزهد في الدنيا؛ لأن الراضي لا يتمنى فوق منزلته**" [5].

٣. كما أنّ الراضي واقف مع اختيار الله له، معرض عن اختياره لنفسه، وهذا من قوة معرفته بربه تعالى، ومعرفته بنفسه، وهذا المعنى أكده الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**... من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده؛ فإنّ الله ﷻ يُنزل العبد منه حيث أنزله من نفسه**)[6].

---

(١) **الغزالي:** هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، ولد سنة ٤٥٠هـ وتوفي سنة ٥٠٥هـ في خراسان، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته، نسبته إلى غَزَالة وهي من قرى طوس، من كتبه: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد، وغيرها كثير جداً. (انظر: الأعلام للزركلي، (٧/٢١-٢٢)).

(٢) إحياء علوم الدين، (٣٤٤/٤).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب أبواب الشهادات عن رسول الله ﷺ بَاب مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، (ج٤/ ص٢٠٢/ح ٢٣٩٦) قال أبو عيسى (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ)، وقال الألباني: (حسن).

(٤) مدارج السالكين، (١٨٥/٢).

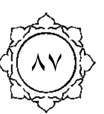
(٥) مدارج السالكين ، (١٨٤/٢).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء، (ج١/ص٤٩٤)، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في شعب الإيمان (ج٢/ص٦٥)، والدعوات الكبير (ج١/ص٧)، وعبد بن حميد في مسنده (ج٢/ص١٧٨)، وابن بشران في أماليه (ج٢/ص٢٥٨٠/ح٥٩٨)

فالراضي: هو الذي يعد نعم الله عليه فيما يكرهه، أكثر وأعظم من نعمه عليه فيما يحبه، كما قال بعض العارفين: " **يا ابن آدم نعمة الله عليك فيما تكره أعظم من نعمته عليك فيما تحب**"[1]، وقد قال تعالى: ﴿ **وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ** ﴾ [البقرة:٢١٦].

---

(١) مدارج السالكين، (٢/٢٢٥).



المبحث الثاني

الرضا وعلاقته بمسائل القضاء والقدر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مذهب السلف في الرضا بالقضاء والقدر.

المطلب الثاني: مذاهب المخالفين في الرضا بالقضاء والقدر.

المبحث الثاني: الرضا وعلاقته بمسائل القضاء والقدر

المطلب الأول: مذهب السلف في الرضا بالقضاء والقدر.

أولاً: مفهوم القضاء والقدر.

- **القضاء والقدر لغة.**

القضاء لغة:

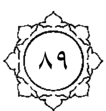
القضاء بالمد: مصدر قضى، أصله: قَضَايٌ؛ لأنه من قضيت، إلاَّ أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت، والفاعل: قاضٍ، والقاضي: القاطع للأمور المحكم لها.

والقضاء يأتي بعدة معان، منها:

١. الفصل في الحكم، وهو قوله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:١٩]، أَي: لفُصِل الحكم بَينهم.
٢. العمل، يدل عليه قوله ﷻ: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه:٧٢]، ومعناه: فاعمل ما أنت عامل.
٣. الأمر، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:٢٣]، أي: أمر ربك.
٤. الخلق، قال ﷻ: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:١٢]، بمعنى: فَخَلَقهن وعَملهنَّ وصَنَعهنَّ.
٥. إمضاء القدر، كما في قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ [سبأ:١٤]، بمعنى: مضى القضاء فأتى عليه الموت.
٦. الإعلام، يقول ﷻ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء:٤]، أَي: أعلمناهم إعلاماً قَاطعاً.
٧. إنهاء العمر أو الحياة، من ذلك ما ورد في قصة موسى عليه السلام وفيه يقول تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥]، أي: قتله وأنهى حياته بالوكز.[1]

وأجمل الزهري تلك المعاني السابقة وغيرها في قوله: " القضاء في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. وكل ما أحكم عمله، أو أتم، أو ختم، أو أدي، أو أوجب، أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضي، فقد قضي "[2].

(١) انظر: لسان العرب (١٨٦/١٥)، تهذيب اللغة (١٧٠/٩)، الصحاح للجوهري (٢٤٦٣/٦-٢٤٦٤)، مقاييس اللغة (٩٩/٥)، تاج العروس (٣١٠/٣٩).
(٢) النهاية في غريب الحديث، (٧٨/٤).



القدر لغـة:

القَدَرْ: أي القضاء الموفق، يقال: قدّر الإله كذا تقديراً، وإذا وافقَ الشيءُ الشيءَ تقول: جاءه قدره.

ويأتي القدر بمعانٍ، نذكر منها:

١. القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله ﷻ من القضاء ويحكم به من الأمور، ومنه حديث الاستخارة: (... **اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال: في عاجل أمري وآجله – فاقدره لي)** [١] الحديث، بمعنى: اقضِ لي به وهيّئه، وقدرت الشيء أي هيأته.

٢. التضييق، يقول تعالى: ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر:١٦]، أي: ضيّق عليه في باب الرزق.

٣. الخلق، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى:٣]، أي والذي قدّر خلقه فهدى.

٤. الطاقة والوسع، كما يدل على ذلك قوله ﷻ: ﴿ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة:٢٣٦][٢].

- **القضاء والقدر اصطلاحاً.**

وضّح ابن حجر العلاقة بين القضاء والقدر، فقال: " **القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله** " [٣].

والقضاء والقدر: أمران متلازمان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس؛ وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء؛ وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء، ونقضه، فالمقضيّ مقدر، والمقدر مقضيّ، ولا دليل على التفريق بينهما [٤].

ولعلّ التعريف الاصطلاحي الشامل لمعنى القضاء والقدر، هو ما أشار إليه الشيخ السفاريني[٥] حين عرّف القدَر فقال: " القدر عند السلف ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدُّعَاءِ عِنْدَ الِاسْتِخَارَةِ، (ج١٦/ص١٥٧/ح٦٣٨٢)

(٢) انظر: لسان العرب (٥/٧٤-٧٧)، النهاية في غريب الحديث (٤/٢٢)، مختار الصحاح (١/٢٤٨).

(٣) فتح الباري، (١١/٤٤٧).

(٤) لسان العرب (١٥/١٨٦)، النهاية في غريب الحديث (٤/٧٨).

(٥) **السفاريني:** هو شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق، ولد في سفارين (من قرى نابلس) سنة ١١١٤هـ، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس فدرّس وأفتى، وتوفي فيها سنة ١١٨٨هـ، من كتبه: الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات، كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في عقد أهل الفرقة المرضية. (انظر: الأعلام للزركلي، (٦/١٣-١٤)).

كائن إلى الأبد، وأنه ﷻ، قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم ﷻ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها " [(١)].

وباب القضاء والقدر واسع كبير، يتناول قضايا كثيرة، صالَ فيها العلماء وجالوا، لكن ما يهمنا في هذا الباب هو ما نطرقه في بحثنا، الرضا وعلاقته بمسائل القضاء والقدر، وكيف حثّ الإسلام على الرضا بالقضاء والقدر، ثم ننتقل للحديث حول أنواع القضاء وحكم الرضا به، ومناقشة أهم الشبهات في هذا الباب، مع بيان أهم ما ينافي القضاء والقدر من أفعال العباد.

ثانياً: الأمر بالرضا بالقضاء والقدر والحثّ عليه.

❖ **أولاً: القرآن الكريم.**

حث الإسلام على الرضا بالقضاء والقدر، وأمر به في نصوص كثيرة، منها:

أ- قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

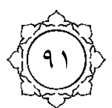
فهذه الآية تضمنت الحض على التزام أمر الله، وإن شق على النفوس، وعلى الرضا بقضائه، وإن كرهته النفوس، فهو ﷻ كما هو العليم في اختياره من يختاره من خلقه، وإضلاله من يضله منهم فهو العليم الحكيم بما في أمره، وشرعه من العواقب الحميدة، والغايات العظيمة.

فبين ﷻ أن ما أمرهم به يعلم ما فيه من المصلحة، والمنفعة لهم، التي اقتضت أن يختاره، ويأمرهم به، وهم قد يكرهونه، إمَّا لعدم العلم، وإمَّا لنفور الطبع، فهذا علمه بما في عواقب أمره مِمَّا لا يعلمونه [(٢)].

ب- قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد:٢٢-٢٣].

فكل ما أصاب العبد من المصائب في الأرض كالقحط والجدب والجوائح في الزراعة والثمار وفي الأنفس من الأمراض والموت كله مكتوب في كتاب من قبل أن يخلقها الله فلا يحزن

(١) لوامع الأنوار البهية، (١/٣٤٨).
(٢) انظر: شفاء العليل، (ص٣٣).



العبد على ما فاته، أو يفرح فرح مختال متكبر، ولكن لابد له من الرضا بما يصيبه من القضاء، إن كان خيراً، وإن كان غير ذلك [1].

ت- ومنها قوله ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن:١١-١٣].

في هذه الآية يخبر الله ﷻ أنه ما من مصيبة تصيب أحداً من الخلق إلا بإذن الله، أي بقضائه، وتقديره، ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، وفق الله قلبه فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله ورضي بقضائه، وعوضه الله عما فاته من الدنيا: هدى في قلبه، ويقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيراً منه.

ويُروي عن ابن عباس أنه قال: " يعني يهدي قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"[2].

لذلك ختم تعالى الآية بالحثّ على التوكّل الذي هو أعلى درجات الرضا، فيفوّض العبد أمره لله ﷻ مع الأخذ بالأسباب، واليقين بأن قدر الله كله له خير بإذنه ﷻ.

❖ **ثانياً: السنة والأثر.**

١. حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ قال: **(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً)** [3].

فعلّق النبي ﷺ ذوق طعم الإيمان بالرضا بالله رباً، وعلق وجود حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم إلا به، وهو كونه ﷻ أحب الأشياء إلى العبد هو ورسوله [4].

٢. **حديث الاستخارة** الذي جاء في حديث جابر بن عبد الله ﷺ قَال: (كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كالسورة من القرآن: " إذا هم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول: **(اللهم إني أستخيرك بعلمك، و أستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال: في عاجل أمري وآجله – فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا**

(١) انظر: أضواء البيان (٥٨٤/٧)، تفسير القرآن العظيم (٢٦/٨)، جامع البيان (١٩٥/٢٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (١٣٧/٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِىَ بِاللَّهِ رَبًّا، (ص٤٨/ح٣٤)

(٤) انظر: مدارج السالكين، (١٩٤/٢).

الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال: في عاجل أمري وآجله – فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به، ويسمي حاجته) (1).

ففي هذا الحديث: بيان لحاجة العبد إلى فعل ما ينفعه في معاشه، ومعاده، وعلم ما فيه مصلحته، وتيسير الله له ما قدره له من الخير، فهو القادر ﷻ على كل شيء والعبد عاجز إن لم ييسر الله له ما فيه مصلحته، ولذلك أرشده النبي ﷺإلى طلب فضل الله ﷻ وتيسيره، ثُمَّ إذا اختاره له بعلمه، وأعانه عليه بقدرته، فهو يحتاج إلى البقاء عليه، وثبوت هذا الفضل، ونموه، ثُمَّ إذا فعل ذلك كله فهو محتاج إلى أن يرضيه، فإنه قد يهيئ له ما يكرهه فيظل ساخطاً والخيرة فيه، ولذلك قال في آخره: فاقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به؛ لأنه إذا قدر له الخير ولم يرض به كان متكدر المعيشة آثماً بعدم رضاه بما قدره الله له، مع كونه خيراً له، والرضى سكون النفس إلى القدر والقضاء (2).

٣. ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظئراً (3) لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم، فقبّله، وشمّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله ؟؛ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: **(إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)** (4).

فدلّ الحديث أن الواجب على المؤمن أن لا يقول ولايفعل عند المصيبة إلاّ ما يرضي الله ﷻ، كما قال النبي ﷺ: "لا نقول إلا ما يرضى ربنا" ، وهو الاسترجاع عند المصيبة وتوكيل الأمر لله تعالى ، فله سبحانه الأمر من قبل ومن بعد .

٤. ما روي عن أم الدرداء رضي الله عنها أنها كانت تقول: " **إن الراضين بقضاء الله الذين ما قضى لهم رضوا به، لهم في الجنة منار ليغبطهم بها الشهداء يوم القيامة**"(5).وهذا دليل على عظم مكانة أهل الرضا بالقضاء ؛ إذ يُبَارون الشهداء في منازلهم الرفيعة عند الله ﷻ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدُّعَاءِ عِنْدَ الِاسْتِخَارَةِ، (ج١٦/ص١٥٧/ح٦٣٨٢)

(٢) انظر: شفاء العليل (١/٣٣)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٧/٢٢٤).

(٣) **ظئراً**: زوج مرضعته وهي خولة بنت المنذر الأنصارية النجارية، وأطلق عليه ظئراً لأنه يشاركها في تربيته غالباً، وأصل الظئر: من ظأرت الناقة إذا عطفت على غير ولدها، فقيل ذلك للتي ترضع غير ولدها، (انظر: فتح الباري، (٣/١٧٣)).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ،(ج٣/ص٢٥٢/ح١٣٠٣).

(٥) الرضا عن الله بقضائه، ابن أبي الدنيا، (ص٢٤).

ثالثاً: أنواع القضاء وحكم الرضا به.

القضاء الذي هو الحكم، أو القدر، أو المقضي، نوعان: إمَّا ديني، وإمَّا كوني.

١- القضاء الديني.

وهو القضاء الشرعي، ويتضمن ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فما قضاه الله وشرعه لعباده، وأمرهم به، ونهاهم عنه في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله محمد ﷺ هو القضاء الديني.

وهذا القضاء هو المذكور في قوله تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ** ﴾ [الإسراء:٢٣]، وهو ما أمر به الرسول ﷺ في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)**[١].

فيجب على المسلم أن يرضى بما أمر الله ورسوله به، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله من المحظور، وقد ذمّ الله ﷻ تارك الرضا به؛ فقال: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾** ﴾ [التوبة:٥٨-٥٩]

قال ابن تيمية رحمه الله عن هذه الآية: " ذِكرُ الرسول هنا يبيّن أن الإيتاء هو الإيتاء الديني الشرعي لا الكوني القدري...؛ لأن الإيتاء المحمود لا بد أن يكون مما أباحه الرسول وأذن فيه مبلغاً عن الله"[٢].

ويتضمن الرضا بالقضاء الديني، الرضا بالله رباً ويترتب عليه الرضا بالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً و رسولاً.

يقول ابن القيّم رحمه الله: " **الرضا بالله رباً، وتسخّط عبادة ما دونه، قطب رحى الإسلام وهو يطهر من الشرك الأكبر** "[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، (ص٣٥/ح٤٨).

(٢) مجموع الفتاوى، (١٩٠/٨)، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، (ص٥٠٦) بتصرف.

(٣) مدارج السالكين، (١٨٩/٢).

ومعنى الرضا بالله رباً أن يسخط عبادة ما دونه، ولا يتخذ رباً غير الله تعالى يسكن إلى تدبيره، وينزل به حوائجه، وهو من تمام الرضا بالله رباً، فمن أعطى الرضا به رباً حقه؛ سخط عبادة ما دونه قطعاً؛ لأن الرضا بتجريد ربوبيته يستلزم تجريد عبادته، كما أن العلم بتوحيد الربوبية يستلزم العلم بتوحيد الإلهية، يقول تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:١٦٤]، فهذا هو عين الرضا به رباً.

وإنما كان الرضا بالله رباً وترك عبادة ما دونه، قطب رحى الإسلام؛ لأن جميع العقائد والأعمال والأحوال في الإسلام إنما تنبني على توحيد الله ﷻ في العبادة، فمتى رضي العبد بعبادة ربه وحده، وسخط عبادة ما سوى الله من الآلهة الباطلة، حباً وخوفاً، ورجاءً وتعظيماً، وإجلالاً؛ فقد تحقق بالرضا به رباً.

فإذا رضي بالله رباً متمثلاً كل تلك المعاني فإنه بذلك يطهر من الشرك الأكبر ويكون موحداً الله تعالى في ربوبيته وألوهيته توحيداً خالصاً.

وهذا الرضا إنما يصح بثلاثة شروط: أن يكون الله ﷻ أحبّ الأشياء إلى العبد، وأولى الأشياء بالتعظيم، وأحق الأشياء بالطاعة. [1]

ولما كانت المحبة التامة ميل القلب بكليته إلى المحبوب: كان ذلك الميل حاملاً على طاعته وتعظيمه، وكلما كان الميل أقوى كانت الطاعة أتم، والتعظيم أوفر، وهذا الميل يلازم الإيمان، بل هو روح الإيمان ولبه، فأي شيء يكون أعلى من أمرٍ يتضمن أن يكون الله ﷻ أحب الأشياء إلى العبد، وأولى الأشياء بالتعظيم، وأحق الأشياء بالطاعة ؟

وبهذا يجد العبد حلاوة الإيمان بالرضا، كما جاء في حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ قال: **(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً)**[2]؛ فعلّق ذوق الإيمان بالرضا بالله رباً وعلق وجود حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم إلا به، وهو كونه ﷻ أحب الأشياء إلى العبد هو ورسوله.

ولما كان هذا الحب التام والإخلاص – الذي هو ثمرته – أعلى من مجرد الرضا بربوبيته ﷻ، كانت ثمرته أعلى، وهو وجد حلاوة الإيمان، وثمرة الرضا: ذوق طعم الإيمان، فهذا وجد حلاوة، وذلك ذوق طعم[3].

---

(١) انظر: مدارج السالكين، (٢/١٨٩-١٩٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، (ص٤٨/ح٣٤)

(٣) انظر: مدارج السالكين، (٢/١٩٤-١٩٥).

قال الإمام النووي[1]: "معنى رضيت بالشيء قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ، ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه، وقال القاضي عياض رحمه الله: معنى الحديث صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه؛ لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته، ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه؛ لأن من رضي أمراً سهل عليه فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذّت له " [2].

وهذا الرضا يكون سبباً من أسباب غفران الذنوب فقد جاء في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً غفر له ذنبه)** [3].

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في حديثه على هذين الحديثين: " وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما ينتهي ".

فالرضى بإلهيته يتضمن الرضى بمحبته وحده وخوفه ورجائه والإنابة إليه والتبتل إليه وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه، فعل الراضي بمحبوبه كل الرضى وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له.

فالرضى بربوبيته: يتضمن الرضى بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه، والاستعانة به، والثقة به والاعتماد عليه، وأن يكون راضياً بكل ما يفعل به.

وأما الرضى بنبيه رسولاً: فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره في أي أمر من الأمور.

---

(١) **النَّوَوِي**: هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي، أبو زكريا، محيي الدين، علامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في نوا من قرى حوران بسورية واليها نسبته، ٦٣١- ٦٧٦هـ، علم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلاً، من كتبه تهذيب الأسماء واللغات، منهاج الطالبين، الدقائق، المنهاج في شرح صحيح مسلم، وغيرها كثير. (انظر: الأعلام للزركلي، (١٤٩/٨)).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٢/٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، (ص١٦٦/ح٣٨٦).

وأما الرضى بدينه: فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى، رضي كل الرضى ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلّم له تسليماً، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه، أو هواها، أو قول مقلده وشيخه وطائفته.

لذلك علّق النبي ﷺ ذوق طعم الإيمان بمن رضي بالله رباً، ولم يعلقه بمن رضي عنه، فجعل الرضا به قرين الرضا بدينه ونبيه، وهذه الثلاثة هي أصول الإسلام، التي لا يقوم إلا بها وعليها [١].

يقول ابن تيمية رحمه الله: " وأن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله تعالى والإخلاص له، لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك ولا ألذّ ولا أمتع ولا أطيب"[٢].

وثمرة هذا كله أن العبد إذا رضي به وعنه في جميع الحالات: لم يتخير عليه المسائل، وأغناه رضاه بما يقسمه له ويقدره ويفعله به عن ذلك، وجعل ذكره في محل سؤاله، بل يكون من سؤاله له الإعانة على ذكره، وبلوغ رضاه، فهذا يعطى أفضل ما يُعطاه سائل؛ فإن السائلين سألوه فأعطاهم الفضل الذي سألوه، والراضون رضوا عنه فأعطاهم رضاه عنهم، ولا يمنع الرضا سؤاله أسباب الرضا، بل أصحابه ملحون في سؤاله ذلك [٣].

الفرق بين الرضا بالله والرضا عن الله.

١. الفرق بين الرضا بالله والرضا عن الله، فرقٌ ما بين الفرض والندب، ففي الحديث القدسي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...**) الحديث [٤]؛ فدلّ على أن التقرب إليه ﷻ بأداء فرائضه أفضل وأعلى من التقرب إليه بالنوافل.

٢. الرضا بالله رباً يتضمن الرضا عنه ويستلزمه، فإن الرضا بربوبيته هو رضا العبد بما يأمره به وينهاه عنه، ويقسمه له ويقدره عليه، ويعطيه إياه، ويمنعه منه، فمتى لم يرض بذلك كله لم يكن قد رضي به رباً من جميع الوجوه، وإن كان راضياً به رباً من بعضها، فالرضا به رباً من كل وجه يستلزم الرضا عنه، ويتضمنه بلا ريب.

---

(١) انظر: مدارج السالكين، (٢/١٧٩-١٨٠).

(٢) العبودية، ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، (ص٩٠).

(٣) انظر: مدارج السالكين، (٢/٢٢٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، (ج١٦/ص٣٣٩/ح٦٥٠٢).

٣. الرضا به رباً متعلق بذاته، وصفاته وأسمائه، وربوبيته العامة والخاصة، فهو الرضا به خالقاً ومدبراً، وآمراً وناهياً، وملكاً، ومعطياً ومانعاً، وحكماً، ووكيلاً ووليا، وناصراً ومعيناً، وكافياً وحسيباً ورقيباً، ومبتلياً ومعافياً، وقابضاً وباسطاً، إلى غير ذلك من صفات ربوبيته.

وأما الرضا عنه فهو رضا العبد بما يفعله الله به، ويعطيه إياه، ولهذا لم يجئ إلا في الثواب والجزاء، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] فهذا برضاها عنه لما حصل لها من كرامته.

وعليه فإن الرضا به متعلق بأسمائه وصفاته، والرضا عنه: متعلق بثوابه وجزائه.

٤. الرضا بالله أصل الرضا عنه، والرضا عنه: ثمرة الرضا به [١].

حكم الرضا بالقضاء الشرعي الديني:

الرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب من لوازم الإسلام، بل هو الأساس الذي يبنى عليه الإسلام، وبه يطهر الإنسان من الشرك [٢].

وفي هذا يقول ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

فالتحكيم في مقام الإسلام، ونفي الحرج في مقام الإيمان، والتسليم بحكمه في مقام الإحسان؛ لذا كان الرضا بالقضاء الشرعي من آكد الفروض باتفاق الأمة، فمن لم يرض به، لم يصح له إسلام ولا عمل ولا حال [٣].

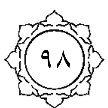
وعليه فإذا رضي العبد بحكم الله الشرعي وأذعن له، شرح الله صدره للإسلام وحبّب إليه الطاعة وسلّم قلبه من الشهوات والشبهات.

يقول ابن القيم في حكم الرضا بالقضاء الشرعي: "... حكم شرعي ديني، فهذا حقه أن يتلقى بالمسالمة والتسليم، وترك المنازعة، بل بالانقياد المحض، وهذا تسليم العبودية المحضة، فلا يعارض بذوق، ولا وجد، ولا سياسة، ولا قياس، ولا تقليد، ولا يرى إلى خلافه سبيلاً البتة، وإنَّما هو الانقياد المحض، والتسليم، والإذعان، والقبول، فإذا تلقى بهذا التسليم، والمسالمة، إقراراً، وتصديقاً بقي هناك انقياد آخر، وتسليم آخر، له إرادة وتنفيذاً وعملاً، فلا تكون له شهوة تنازع

(١) انظر: مدارج السالكين، (١٩٢/٢-١٩٣).

(٢) انظر: شفاء العليل، (ص٢٧٨).

(٣) انظر: مدارج السالكين، (١٩٢/٢-٢٠١).



مراد الله من تنفيذ حكمه، كما لم تكن له شبهة تعارض إيمانه وإقراره، وهذا حقيقة القلب السليم، الذي سلم من شبهة تعارض الحق، وشهوة تعارض الأمر، فلا استمتع بخَلَاقِه، كما استمتع به الذين يتبعون الشهوات، ولا خاض في الباطل خوض الذين يتبعون الشبهات، بل اندرج خَلَاقُه تحت الأمر، واضمحل خوضه في معرفته بالحق، فاطمأن إلى الله، معرفة به، ومحبة له، وعلماً بأمر، وإرادة لمرضاته، فهذا حق الحكم الديني " (١).

٢- القضاء الكوني القدري.

وهي مشيئة الله الشاملة وقدرته النافذة، فما شاء الله قدراً من غير اشتراط محبته إياه، أو الرضا به يدخل في الكوني، فيدخل فيه الكفر والإيمان والسيئات والطاعات، والمحبوب المرضي له والمكروه المبغض، فكل ما يجري في الكون إنما يكون بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره (٢).

ومثال القضاء الكوني قوله تعالى: ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم:٣٥]، ومن ذلك قول ابن تيمية رحمه الله:

فما شاء مولانا الإله فإنه... يكون وما لا لا يكون بحيلة (٣)

والقضاء الكوني لابد وأن يقع، فما يكون من غنى أو فقر، أو راحة أو تعب، أو عافية أو سقم، أو حياة أو موت، أو إيمان أو كفر، أو حركةٍ أو سكون فهو بقضاء الله وقدره الكوني.

وعلمُ ذلك قبل وقوعه وبعد وقوعه عند الله سبحانه وتعالى ومكتوب في اللوح المحفوظ، يقول تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٥٩-٦٠].

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، دار السلفية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ، (ص٣٧).

(٢) انظر: العقيدة الطحاوية، ص٣٧٨، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م، (٢٣٠/١).

(٣) مجموع الفتاوى، (٢٤٦/٨)



أقسام القضاء الكوني القدري وحكم الرضا بها:

ينقسم القضاء الكوني إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قسم موافق لمحبة العبد وإرادته، ورضاه، من صحة وعافية، وغنى ولذة.

فهذا أمر لازم بمقتضى الطبيعة، لأنه ملائم للعبد، محبوب له، فليس في الرضا به عبودية، لكن العبودية فيه مقابلته بالشكر، والاعتراف بالمنّة، ووضع النعمة في المواضع التي يحب الله ﷻ أن توضع فيها، وأن لا يعصي العبد بها المنعم ﷻ(١).

وفي هذا يقول ﷻ: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم:٧]؛ فإن من تمام الرضا الاعتراف بالنعم والشكر عليها.

القسم الثاني: ما جاء على خلاف مراد العبد ومحبته، مِمَّا لا يلائمه، ولا يدخل تحت اختياره.

وذلك مثل المرض، والفقر، وأذى الخلق، والحر والبرد، والآلام، ونحو ذلك من الابتلاءات والمصائب التي تصيب العبد المؤمن (٢).

وتكون البلوى على قدر إيمان العبد؛ لذلك كان أعظم الناس بلاءً هم الأنبياء، والله ﷻ جعل الابتلاء تمحيصاً واختباراً لصبر المؤمن ورضاه، وليس إهلاكاً له ولأهله وماله أو فيما يبتلى به، فكلّ ما يصاب به الإنسان من المصائب يكون خيراً له، وإنْ جهل الحكمة من ذلك، يقول النبي ﷺ: **(عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له)**(٣).

وعلى هذا فالمصائب رحمة، ونعمة في حق عموم الخلق، إلاَّ أن يدخل صاحبها بسببها في معاصٍ أعظم مِمَّا كان قبل ذلك، كأن يجزع ويسخط بسبب الابتلاء؛ فتكون شراً عليه من جهة ما أصابه في دينه، فهذا تكون العافية من المصائب خير له من جهة ما أورثته المصيبة، لا من جهة المصيبة، كما أن من أوجبت له المصيبة صبراً وطاعة كانت في حقه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الرب ﷻ، رحمة للخلق، والله ﷻ محمود عليها (٤).

كما أنه ﷻ جعل الآلام والامراض سبيلاً لرفعة الدرجات في الجنة، ومطهرة من الذنوب والخطايا، ففي حديث عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما من مسلم يشاك شوكة، فما فوقها إلا كتبت له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة)** (٥).

---

(١) انظر: مدارج السالكين، (٢/٢٠١-٢٠٢).

(٢) انظر: مدارج السالكين، (٢/٢٠٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، (ص١٢٠٠/ح٢٩٩٩).

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، (ص٤٤٦-٤٤٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ حُزْنٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، (ص١٠٣٨/ح٢٥٧٢).

وأجر المصائب إنَّما هو على الصبر والرضا بالقضاء، لا على المصيبة، لأن الأحاديث الصحيحة صريحة في ثبوت الأجر بمجرد حصول المصيبة، أما الصبر والرضا فقدر زائد يمكن أن يثاب عليهما زيادة على ثواب المصيبة، وعليه فإن اقترنت المصائب بالرضا كان التكفير عن الذنوب أعظم (1).

فإذا علم العبد كل ذلك، واستقر في قلبه أن ما قضاه الله – تعالى – عليه إنما كان بعدل وحكمة منه ﷻ ورحمة له لأنه أعلم به، كان الرضا منه أكبر وأعظم.

لذلك علّم النبي ﷺ صحابته، إذا أصاب أحدهم همٌّ أو غمٌّ أن يدعو بهذا الدعاء، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما قال أحد قط إذا أصابه همّ أو حزن: " اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمَتِك، ناصيتي بيدك، مَاضٍ فيَّ حُكمك، عدلٌ فِيّ قضاؤُك، أسألك بكل اسم هو لك، سميتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمتَه أحداً من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعلَ القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي "، إلا أذهب الله همه، وأبدله مكان حزنه فرحاً، قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: أجل، لمن سمعهن أن يتعلمهن)** (2).

فقوله: (عدلٌ فيّ قضاؤك) يتضمن الإقرار بعدل الله تعالى في كل ما يقضيه عليه من ألم أو مرض أو مصيبة أو حتى ذنب إذا نظر إلى ما يترتب عليه من الآثار المحبوبة لله، من التوبة، والانكسار، والندم، والخضوع، والذل، والبكاء، وغير ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: " إذا ابتلى الله عبده بشيء من أَنواع البلايا والمحن، فإنْ ردَّه ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه، فهو علامة سعادته وإرادة الخير به، والشدة بتراء لا دوام لها وإن طالت، فتقلع عنه حين تقلع وقد عوض منها أجلّ عوض وأفضله، وهو رجوعه إلى الله بعد أن كان شارداً عنه، وإقباله عليه بعد أن كان نائياً عنه وانطراحه على بابه بعد أن كان معرضاً، وللوقوف على أبواب غيره متعرضاً " (3).

وهذا القسم من القضاء الكوني يتفرع إلى نوعين:

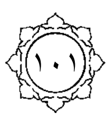
النوع الأول: ما للعبد فيه قدرة واستطاعة على مدافعته قدر الإمكان:

وفيه يَترك العبد الاستسلام له، بل يدفعه بقدر آخر، ومثاله الجوع والعطش، أو البرد والحر فإنه يدفعه بقدر آخر، من الأكل والشرب واللباس ونحوه.

(1) انظر: فتح الباري، (١٠/١٠٥).

(2) أخرجه أحمد في مسنده، (ج٦/ص٢٤٦/ح٣٧١٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (ج٢/ص١٧١/ح١٨٢٢).

(3) طريق الهجرتين، (ص١٦٣).



وكذلك دفع قدر الذنب بقدر التوبة، ودفع قدر الإساءة بقدر الإحسان، وأيضاً إذا داهم العدو أرض المسلمين فإن هذا بقدر الله وقضاءه الكوني، فعليه أن يدفع هذا القدر بقدرٍ يحبه الله وهو أن يجاهد بماله أو نفسه أو قلبه.

والحال نفسه إذا أصاب المؤمن مرض، فهذا قضاء كوني، يستوجب عليه أن يدافعه بقدرٍ آخر، ويحرص على الأخذ بالأسباب الدافعة له كالأدوية، كما في قصة عمر بن الخطاب ﷺ وقوله عندما عوتب على فراره من الطاعون، وعدم دخوله أرض الشام بمن معه من الصحابة، والتابعين ﷺ جميعاً؛ فقال أبو عبيدة بن الجراح: (... **أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، وكان عمر يكره خلافه، نعم نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله**، قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف، وكان متغيبا في بعض حاجته، فقال: إن عندي من هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارا منه**، قال: فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف)[1].

قال ابن القيم ﷺ: " ومن لم يستبصر في هذه المسأَلة ويعطها حقها لزمه التعطيل للقدر أَو الشرع شاءَ أَو أَبى، فما للعبد ينازع أَقدار الرب – تعالى- بأَقداره في حظوظه وأَسباب معاشه ومصالحه الدنيوية ولا ينازع أَقداره في حق مولاه وأَوامره ودينه، وهل هذا إلا خروج عن العبودية ونقص في العلم بالله وصفاته وأَحكامه؟ " [2].

النوع الثاني: ما ليس للعبد فيه قدرة ولا استطاعة ولا حيلة في مدافعته:

فهذا حقه أن يتلقى بالاستسلام والمسالمة وترك المخاصمة، ويشهد العبد أن القدر ما أصابه إلا لحكمة اقتضاها اسم الحكيم جلّ جلاله، وأن القدر قد أصاب مواقعه وحلّ في المحل الذي يريده الله ﷻ، وأن ذلك أوجبه عدل الله وحكمته وعزته وعلمه وملكه العادل، فله عليه أكمل الحمد، وأتمه، والرضا، والتسليم [3].

وهذا الذي أشار إليه حديث عبادة ﷺ: (... **فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**) [4] الحديث.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطَّاعُونِ وَالطِّيَرَةِ وَالْكَهَانَةِ وَنَحْوِهَا، (ص٩١١/ح٢٢١٩).

(٢) طريق الهجرتين، (ص٣٨).

(٣) انظر: طريق الهجرتين، (ص٣٨-٣٩).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر، (ج٤/ص٣٦١/ح٤٧٠١) قال الألباني: صحيح، وابن ماجة في سننه، المقدمة، باب في القدر، (ج١/ص١٠١/ح٧٧) وقال بشار معروف: إسناده صحيح.

ويدلّ على هذا أيضاً قوله ﷻ: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران:١٦٥]

وقوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى:٣٠]، **قال ابن القيم** رحمه الله بعد ذكر هذه الآيات في هذا المقام: " فمن نزل هذه الآيات على هذا الحكم علماً ومعرفة وقام بموجبها إرادة وعزماً وتوبة واستغفار فقد أدى عبودية الله في هذا الحكم، وهذا قدر زائد على مجرد التسليم والمسالمة " [(١)].

حكم الرضا بالمصائب.

اختلف العلماء في حكم الرضا بالمصائب، بين الوجوب والاستحباب على قولين، والقولان لأصحاب الإمام أحمد، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقله عنه العلاّمة ابن القيّم –رحمهما الله –: [(٢)]

القول الأول: الرضا واجب، وعلى هذا فهو من أعمال المقتصدين، ومعنى ذلك أنه فرض وعبادة كالصبر وغيره، وهو قول في مذهب الإمام أحمد، و ذهب إليه الإمامان ابن حجر العسقلاني[(٣)] [(٤)]، والقرطبي؛ فقال: " فالواجب على كل امرئ الرضا بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه له فيما يحب " [(٥)].

- أدلتهم:

١. قالوا: السخط حرام، ولا خلاص عنه إلا بالرضا، ومالا خلاص عن الحرام إلا به فهو واجب.

---

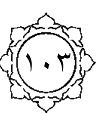
(١) طريق الهجرتين، (ص٣٩).

(٢) انظر هذا الخلاف: مجموع الفتاوى (٤٠/١٠)، الاستقامة (٧٤/٢)، منهاج السنة النبوية (٤٠٢/٣–٤٠٥)، مدارج السالكين (١٢٥/١–١٢٦)، (١٩٦/٢).

(٣) انظر: فتح الباري، (٢٢٠/١).

(٤) **ابن حجر العسقلاني:** هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين ومولده ووفاته بالقاهرة ٧٧٣–٨٥٢هـ، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال عنه السخاويّ: انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر، وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه، وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل، أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لسان الميزان، إتحاف المَهرة بأطراف العشرة، وفتح الباري شرح صحيح البخاري وغيرها كثير. (انظر: الأعلام للزركلي، (١٧٨/١)).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، (٣٨/١١).



٢. احتجوا بأثر: " **من لم يصبر على بلائي، ولم يرض بقضائي، فليتخذ رباً سواي** " (١).

٣. الرضا بالمصائب واجب؛ لأن ذلك من تمام رضاه بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

القول الثاني: الرضا مستحب وليس بواجب، وعلى هذا فهو من أعمال المقربين، أي أن الرضا به قربة لله ﷻ يتقرّبها العبد لربه، وهو أكثر قول أهل العلم، وقول في مذهب الإمام أحمد، وإليه مال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيّم – رحمهما الله –.

- أدلتهم:

١. أن ابن تيمية ﷀ كان يرى أن الصبر هو الواجب في المصائب وليس الرضا، واستدل على ذلك بما ورد من حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(إن استطعت أن تعمل بالرضا مع اليقين فافعل؛ فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً)** (٢)؛ وقال عمر بن عبد العزيز: " **الرضا عزيز ولكن الصبر معول المؤمن** " (٣).

٢. أن ما جاء في القرآن والسنة عن الرضا إنما كان في مدح أهله، والثناء عليهم، كقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [البيّنة:٨]، فأثنى عليهم ولم يوجب ذلك عليهم، بخلاف الصبر فإن الله أمر به في مواضع كثيرة من كتابه، وأمَّا الرضا فلم يأمر به في آية واحدة، ثم إنهم ردّوا على من مخالفيهم؛ فقالوا:

• قولهم " لا خلاص عن السخط إلا به " فليس بلازم، فإن مراتب الناس في المقدور ثلاثة: الرضا وهو أعلاها، والسخط وهو أسفلها، والصبر عليه بدون الرضا به، وهو أوسطها، فالأولى للمقربين السابقين، والثالثة للمقتصدين، والثانية للظالمين، وكثير من الناس يصبر على المقدور

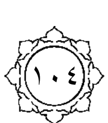
---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، بلفظ: (مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي وَيَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي فَلْيَلْتَمِسْ رَبًّا سِوَاي)، (ج٢٢/ص٣٢٠/ح٨٠٧)، قال الألباني في السلسلة الضعيفة: (ضعيف جداً)، (ج٢/ص١٦٩/ح٧٤٧).

(٢) **أخرجه الحاكم في مستدركه،** كتاب معرفة الصحابة ﷺ ، (ج٣/ص٥٤١/ح٦٣٠٢)، وقال: (هذا حديث كبير عال من حديث عبد الملك بن عمير، عن ابن عباس ﷺ ، إلا أن الشيخين ﷺ لم يخرّجا شهاب بن خراش، ولا القداح في الصحيحين، وقد روي الحديث بأسانيد عن ابن عباس غير هذا)، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: (ضعيف)، (ج١١/ص١٨٢/ح٥١٠٧).

قلتُ: ومن الأسانيد التي روي بها هذا الحديث عن ابن عباس ما أخرجه ابن بشران في أماليه وفي سنده عنبسة بن عبد الرحمن، (ج١/ص٣١٠/ح٧١٦)، قال عنه ابن حجر: (متروك الحديث)، انظر: تقريب التهذيب، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو الأشبال الصغير أحمد شاغف الباكستاني، تقديم: بكر أبو زيد، دار العاصمة، (ص٧٥٦/ ترجمة ٢٥٢٤١).

(٣) مجموع الفتاوى، (٤٠/١٠).



فلا يسخط، وهو غير راض به، فالرضا أمر آخر، إذ إنّ السخط بالمقضي لا يستلزم السخط على من قضاه، كما أن كراهة المقضي وبغضه والنفرة عنه لا تستلزم تعلق ذلك بالذي قضاه وقدره، فالمقضي قد يسخطه العبد وهو راضٍ عمن قضاه وقدره [(١)].

- أنّ الأثر المذكور إسرائيلي، فلا يحتج به، لأنه لم يثبت عن الرسول ﷺ.

- الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالرسول نبياً واجب دلّ عليه الكتاب والسنة، وأما الرضا بكل ما يخلقه الله ويقدره فلم يدل عليه كتاب ولا سنة، ولا قاله أحد من السلف، بل قد أخبر الله تعالى أنه لا يرضى بأمور مع أنها مخلوقة كالكفر والفساد، وعليه فإن القول بوجوبه يلزم منه الرضا بما حرم الله، مثل الرضا بمصيبة الكفر والفسوق وغيرهما من القضاء الكوني القدري.

والرأي الثاني هو الأرجح؛ لأنه الظاهر لما ذكر آنفاً، وهو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية والعلاّمة ابن القيم -رحمهما الله – وجمع كبير من العلماء، هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

القسم الثالث: وهو الجاري باختيار العبد، وقضاء الرب، مِمَّا يكرهه الله ويسخطه، وينهى عنه، وهو ما يسمى: الرضا بالمعصية:

أما الرضا بالكفر والفسوق والعصيان فالذي عليه أئمة الدين أنه لا يشرع للعبد أن يرضى بذلك بل يؤمر ببغضه وسخطه؛ لأن الله لا يحبه ولا يرضاه، كما قال ﷻ: ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٩٦]، وقال: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر:٧].

فإذا كان ﷻ أخبر أنه لا يرضاه، فكيف يأمر العبد بأن يرضاه، بل الواجب على العبد أن يسخط ما يسخطه الله، ويبغض ما يبغضه، ويرضى بما يرضاه الله [(٢)].

والرضا بوقوع المعصية معصية [(٣)]، يدل على ذلك قول رسول الله ﷺ: **(إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ شَهِدَهَا وأَنْكَرَهَا فَهُو كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا ورَضِيَهَا كَمَنْ شَهِدَها)**[(٤)]، فالرضا بالمعاصي محرّم يعاقب عليه صاحبه، وهو مخالفة لأمر الله ﷻ وأمر رسوله.

---

(١) انظر: مدارج السالكين، (١/١٣١)، (٢/١٩٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، (١٠/٦٨٣).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٤/٢٩٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأَمْرِ وَالنَّهْي، (ج٤/ص٢١٨/ح٤٣٤٧)، قال الألباني: (حسن).

رابعاً: شبهات والرد عليها.

١. الإلحاح في الدعاء أو المبالغة فيه: يقدح في الرضا.

الجواب على ذلك من وجوه:

أ- إذا كان الإنسان يلح في الدعاء للحصول على أغراضه، وحظوظه العاجلة الفانية الدنيوية، مثل المال والجاه، من غير تسليمٍ بما قسم الله، فإن ذلك يقدح في الرضا.

وأمَّا إذا ألَحّ على الله تعالى في سؤاله بما فيه رضاه والقرب منه، فإن ذلك لا يقدح في مقام الرضا أصلاً؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]، وغير هذا كثير[١].

ب- أنّ سؤال العافية ودفع البلاء وطلب الرزق ودعاء النصر على الأعداء، وأمثال ذلك قد صدر من الأنبياء والأولياء وهو لا ينافي الرضا بالقضاء أبداً، فهذا نبيّ الله أيوب عليه السلام يتضرع إلى الله ﷻ بالدعاء أن يرفع عنه الضرّ والأذى، فكانت الاستجابة مترتبة على دعائه، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء:٨٤].

فلم يكن قوله: " مسني الضرّ " جزعاً ولا شكاية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ﴾ [ص:٤٤]، بل كان ذلك دعاء منه، والجزع في الشكوى إلى الخلق لا إلى الله تعالى، والدعاء لا ينافي الرضا، لذلك قال تعالى: " فاستجبنا له "، والإجابة تتعقب الدعاء لا الاشتكاء، ولما سئل الجنيد عن هذه الآية قال: "عرّفه فاقة السؤال لِيَمنّ عليه بكرم النوال"[٢].

ولقد كان هذا حال أنبياء الله: نوح[٣] و يونس[٤] وزكريا[٥]، وغيرهم كثير – سلام الله عليهم أجمعين–

---

(١) انظر: مدارج السالكين، (٢/٢٤٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١١/٣٢٥-٣٢٦).

(٣) يقول تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنبياء:٧٦].

(٤) يقول تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

(٥) يقول تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [الانبياء:٨٩-٩٠].



أما دعاء النبي ﷺ واستجابة ربه له، فيبينه حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: (لما كان يوم بدر، قال: نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاث مائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي ﷺ القبلة، ثم مد يديه، وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: **(اللهم أين ما وعدتني ؟ اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام، فلا تعبد في الأرض أبداً)**، قال: فما زال يستغيث ربه ﷻ، ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فرده ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، وأنزل الله ﷻ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال:٩] [(١)].

ت- الدعاء من أجلّ العبادات التي أمر الله ﷻ بها وحثّ عليها ورغّب بها رسوله ﷺ ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء)**[(٢)]، ففي حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(مَنْ لَا يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ)**[(٣)]، فإذا كان سؤال الله يرضيه، لم يكن الإلحاح فيه منافياً لرضاه[(٤)].

أمَّا سؤال العباد، والغضب لحظّ لنفس، فإن ذلك يطفئ نور الرضا، ويذهب بهجته، وتبدل حلاوته مرارة، ويتكدر صفوه؛ لأن المسألة نوع من المنازعة والخصومة وترك سؤال الله، وطلب النفع ممن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا بالله، فالإلحاح ينافي حال الرضى ووصفه، وقد أثنى الله ﷻ على الذين لا يسألون الناس إلحافاً[(٥)]، يقول تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣].

وقد ثبت من حديث عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ)** [(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الإِمْدَادِ بِالْمَلاَئِكَةِ في غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، (ص٧٣١/ح١٧٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، بَاب مَا جَاءَ أَنَّ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِ مُسْتَجَابَةٌ، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، (ج٥/ص٣٩٣/ح٣٣٨٢)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: (حسن)، (ص٥٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب منه، (ج٥/ص٣٨٧/ح٣٣٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد، باب من لم يسأل الله يغضب عليه، (ص٢٤٨/ح٦٥٨) وقال الألباني: (حسن) .

(٤) انظر: مدارج السالكين، (٢/٢٤٨).

(٥) انظر: مدارج السالكين، (٢/٢٤٠)، لوامع الأنوار البهية، (٣٥٩/١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً، (ج٣/ص٥٢٥/ح١٤٧٤).

٢. أشكل على بعض الناس الرضى بالمكروه، وظنوا أنّ من شرط الرضى ألا يحسّ الإنسان بالألم والمكاره، وطعنوا في ذلك وقالوا: هذا ممتنع على الطبيعة، وإنَّما هو الصبر، وإلاَّ فكيف يجتمع الرضى والكراهة ؟ وهما ضدان.

الجواب عليه من وجوه:

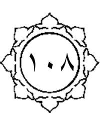
أ- أنه لا تناقض بينهما؛ ووجود التألم، وكراهة النفس له لا ينافي الرضى، كرضى المريض بشرب الدواء الكريه، ورضى الصائم في اليوم الشديد الحر بما يناله من ألم الجوع والظمأ، ورضا المجاهد بما يحصل له في سبيل الله من ألم الجراح، وغيرها.

ب- أن طريق الرضى طريق مختصرة بل وقريبة جداً، موصلة إلى غاية، ولكن فيها مشقة، ومع هذا فليست مشقتها بأصعب من مشقة طريق المجاهدة، ولا فيها من العقبات والمفاوز ما فيها، وإنَّما عقبتها همة عالية، ونفس زكية، وتوطين النفس على كل ما يرد عليها من الله، ويسهل ذلك إذا استيقن العبد بأن الله مطلع على ضعفه وعجزه وهو بين يديه راضٍ بما قدّر وقضى عليه، ووطّن نفسه على ذلك، فتلك طريق السعادة في الدارين الدنيا والآخرة وبها يرضى الله عن العبد(١).

أنه يجوز ذكرُ الإنسان ما يناله من ألم أو فقرٍ أو مرض على سبيل التسلية والتصبر، لا على سبيل التشكي والسخط، كقوله تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٨٦].

ت- كما أنه يجوز فعل ذلك لالتماس مساعدة أو التسبب في إزالة ذلك العارض كفعله ﷺ الذي جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: **(خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا: الجوع يا رسول الله، قال: وأنا، والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا، فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة، قالت: مرحبا وأهلا، فقال لها رسول الله ﷺ: أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني، قال: فانطلق، فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدية، فقال له رسول الله ﷺ: إياك والحلوب، فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: والذي**

(١) انظر: مدارج السالكين، (٢/١٨٢-١٨٣).



نفسي بيده، لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم)[١]، فهذا كله ليس بمذموم، إنما يذم ما كان تشكياً وتسخطاً وتجزعاً [٢].

وكذلك إخبار المريض بشدة مرضه، وقوة ألمه جائز، إذا لم يقترن بذلك شيء من السخط والتبرّم وعدم الرضا بقضاء الله وهذا أثناء المرض.

فعن عروة بن الزبير قال: " **دخلت أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء – يعني بنت أبي بكر وهي أمهما – قبل قتل عبد الله بعشر ليال، وأسماء وجعة، فقال لها عبد الله: كيف تجدينك؟ قالت: وجعة**" [٣].

فإذا كان ذلك جائزاً أثناء المرض فمن باب أولى جواز الإخبار بذلك بعد البرء [٤].

فالتألم والشكوى إلى الله، لا ينافيان الرضا بالقضاء، إذا لم يصاحبهما تسخط على المقدور، ولولا أنه كذلك ما واسى رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها في مرضها، ففي الحديث: أن عائشة رضي الله عنها قالت: **(وا رأساه...؛ فقال النبي ﷺ: بل أنا وا رأساه)**[٥].

قال ابن حجر رحمه الله: " فكم من شاك وهو راض، وكم من ساكت وهو ساخط، والمعول في ذلك على عمل القلب اتفاقاً، لا على نطق اللسان " [٦].

٣. هل يتنافى الرضا مع البكاء على الميت ؟

ليس معنى الرضا أنه إذا مات للإنسان ميت، أو أصيب بمصيبة يفرح بهذا ويضحك لذلك، فبكاء العين وحزن القلب أفضل من كونه لا يبكي ولا يحزن، فالبكاء المباح ما كان بدمع العين والحزن الجائز هو الحزن الجبلي وما يداخله من رقة القلب، وهذا لا ينافي الرضا بالقضاء ولا محذور فيه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلَى دَارِ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ وَيَتَحَقَّقُهُ تَحَقُّقًا تَامًّا وَاسْتِحْبَابِ الاِجْتِمَاعِ عَلَى الطَّعَامِ، (ص٨٤٣/ح٢٠٣٨).

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٢١٢/١٣).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب هل يكون قول المريض "إني وجع" شكاية ؟، (ص١٩٩/ح٥٠٩)، قال الألباني: (صحيح)، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الأمراء، باب ما ذكر من حديث الأمراء والدخول عليهم (ج١٦/ص١٢٢/ح٣١٣١٩).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر، (٣٦٨/٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب قَوْلِ الْمَرِيضِ إِنِّي وَجِعٌ أَوْ وَا رَأْسَاهْ أَوْ اشْتَدَّ بِي الْوَجَعُ وَقَوْلِ أَيُّوبَ عليه السلام (أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)، (ج١٤/ص٢٧٧/ح٥٦٦٦).

(٦) فتح الباري، (١٢٦/١٠).



قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينافي الرضا؛ بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه، وبهذا يعرف معنى قول النبي ﷺ في الحديث السابق لما بكى الميت وقال: "إن هذه رحمة" [(1)].

لكن هنا ينبغي التفريق؛ فإن النبي ﷺ بكى رحمةً لمّا رأى ولده إبراهيم يموت، وهذا ليس كبكاء من يبكي لِحَظّه وتأسفاً على فقد الولد، لا لرحمة الميت؛ فإن الفضيل بن عياض لما مات ابنه عليّ، ضحك وقال: " رأيت أن الله قد قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به ".

وحال النبي ﷺ في بكائه على إبراهيم أكمل؛ لأن فيه رحمةً للميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله على كل حال، بينما حال الفضيل بن عياض فحالٌ حسن بالنسبة لأهل الجزع.

ويعرف هذا من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد:١٧]؛ فذكر ﷻ التواصي بالصبر والمرحمة، والناس في الصبر أربعة أقسام: منهم من يكون فيه صبر بقسوة، ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع، ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع، والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس، وهذ الأخير كان حال النبي ﷺ [(2)].

أمَّا الحزن على موت قريب، أو فوات عبادة، أو نحو ذلك مِمَّا ليس فيه طمع أو سخط أو اعتراض على المقدر، فهو رحمة من الله، وهو حزن القلب، وحزن القلب لا يؤاخذ به العبد إذا لم يصحبه اعتراض على قدر الله ﷻ، فالأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – حزنوا، ولم يكن ذلك دليلاً على عدم يقينهم بالله، ورضاهم بقضائه، مثل حزن يعقوب ﵇: ﴿**وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ** ﴾ [يوسف:٨٤].

ولما اشتكى سعد بن عبادة ﵁ فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود ﵃، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله، فقال: قد قضى ؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال ﷺ: (**أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا – وأشار إلى لسانه – أَوْ يَرْحَمُ وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ...**)[(3)]؛ فدلّ على أن الحزن لا يأثم إلا إذا اقترن به ما يجلب الإثم، كالعويل والندب والنياحة وغيرها من أفعال الجاهلية.

---

(١) مجموع الفتاوى، ٤٧/١٠، التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية، المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، (٥٨/١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، (٤٧/١٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الْبُكَاءِ عِنْدَ الْمَرِيضِ، (ج٢/ص٨٤/ح١٣٠٤).

قال الحافظ ابن حجر ﷺ: " في هذا إشعار بأن هذه القصة كانت بعد قصة إبراهيم ابن النبي ﷺ؛ لأن عبد الرحمن بن عوف كان معهم في هذه ولم يعترضه بمثل ما اعترض به هناك؛ فدل على أنه تقرر عنده العلم بأن مجرد البكاء بدمع العين من غير زيادة على ذلك لا يضر"[(١)].

فالحزن الذي لا يخرج الإنسان من كونه صابراً راضياً، أي كان قلبه مطمئناً فإنه لا يؤاخذ عليه.

يقول ابن تيمية ﷺ " ولهذا لم يؤمر بالحزن المنافي للرضا قط، مع أنه لا فائدة فيه، بل قد يكون فيه مضرة، لكنه عفي عنه إذا لم يقترن به ما يكرهه الله"[(٢)].

خامساً: ما ينافي الرضا بالقضاء والقدر.[(٣)]

١ – الاعتراض على قضاء الله الشرعي.

من صور الاعتراض على قضاء الله الشرعي، ما جاء على ألسنة بعض المنافقين بعد غزوة حنين، ففي الحديث الذي يرويه عبد الله بن مسعود ﷺ : (لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناسا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب، وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: " **والله، إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله** "؛ فقلت: والله لأخبرن النبي ﷺ، فأتيته، فأخبرته؛ فقال: **(فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر)**[(٤)].

قال ابن تيمية: " وهذا الاعتراض كفر يوجب القتل بالاتفاق؛ لأنه جعل النبي ﷺ ظالماً مرائياً، وقد صرح النبي ﷺ بأن هذا من أذى المرسلين ثم اقتدى في العفو عن ذلك بموسى ﷺ ولم يستتب؛ لأن القول لم يثبت، فإنه لم يراجع القائل ولا تكلم في ذلك بشيء " [(٥)].

---

(١) فتح الباري، (١٧٥/٣).

(٢) أمراض القلب وشفاؤها، ابن تيمية، المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، (٥٨/١)، مجموع الفتاوى، (٤٦/١٠).

(٣) انظر: الرضا بالقضاء ، القرني ، (٣٧–٤١)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْخُمُسِ وَنَحْوِهِ، (ج٤/ص٩٥/ح٣١٥٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الإِسْلاَمِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِىَ إِيمَانُهُ، (ص٤٠٨/ح١٠٦٢).

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي – الرياض، (ص٢٣٢).

يقول تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، فأقسم بنفسه ﷻ على نفي إيمان من لم يجمع ثلاثة أمور هي: تحكيمه فيما شجر بينهم، ثُمَّ أن لا يجد في نفسه حرجاً، والتسليم بحكمه[١].

- **فإن قيل: أليس قد ثبت أن مِنَ الناس من سبّ الرسول ﷺ في حياته، وقَبِل النبي ﷺ توبته وأطلقه ؟**

الجواب: بلى، هذا صحيح لكن هذا في حياته ﷺ والحق الذي له قد أسقطه، أما بعد موته فإنه لا يملك أحد إسقاط حقه ﷺ، فيجب علينا تنفيذ ما يقتضيه سبّ الرسول ﷺ من قتل سابّه، وقبول توبة الساب يكون فيما بينه وبين الله تعالى [٢].

ومن الاعتراض ما يكون معصية لله ولرسوله ﷺ مثل رفع الصوت فوق صوته، ومثل مراجعة من راجعه عام الحديبية بعد ثباته على الصلح، ومجادلة من جادله يوم بدر بعد ما تبين له الحق؛ فهذا قد يكون ذنباً يخاف على صاحبه النفاق وإن لم يكن نفاقاً[٣].

يقول الإمام ابن القيم: " فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم، وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه ؟ أليس هذا أولى أن يكون محبطاً لأعمالهم"[٤].

فكيف لو عاش ابن القيم في زماننا هذا، ورأى أن الأمر ما عاد يقتصر على تقديم قوله وعقله وفكره على قول وفعل النبي ﷺ فحسب، بل تعدّى إلى وصف شريعة النبي ﷺ بالرجعية والتخلف، وعدم قدرتها على مسايرة مدنية وحضارة العالم اليوم ؟! فإذا كان رفع الصوت فقط على النبي ﷺ يحبط العمل، فكيف وقد اتُهمت شريعته الربانية المحكمة بالقصور !!

وقريب من ذلك، الاستخفاف بأوامر الله ﷻ والاعتراض على سنة من سنن الرسول ﷺ فهذا الاستخفاف ينافي الرضا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً.

قال الله ﷻ محذراً من ترك الرضا بحكم الرسول ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤].

---

(١) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول ، (ص٥٢٨).

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي – الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، (٢٦٩/٢)

(٣) انظر: المصدر السابق، (ص١٩٦-١٩٩).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (٤١/١).

قال الطبري: " إنما هذا تعريض من الله تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين، بأن تركهم طاعة الله وطاعة رسوله والرضى بحكمه، إنما هو للسابق لهم من خذلانه وغلبة الشقاء عليهم، ولولا ذلك لكانوا ممن أذن له في الرضى بحكمه، والمسارعة إلى طاعته"(١).

٢ - السخط على قضاء الله.

السخط يفتح باب الشك في الله، وقضائه وقدره، وحكمته وعلمه، فقلّ أن يسْلَم الساخط من شك يداخل قلبه، ويتغلغل فيه، وإن كان لا يشعر به، لكن لو اختبر نفسه اختباراً دقيقاً، لوجد إيمانه معلولاً، وتصديقه مدخولاً ورضاه منقوضاً، فإن الرضا واليقين صاحبان لا يكادان يفترقان كما أن السخط والشك قرينان؛ أحدهما قرين الآخر(٢).

والسخط فيه شقاوة الساخط، كما في حديث النبي ﷺ حيث قال: **(مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَتُهُ اللهَ، وَمِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللهُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللهِ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى الله ﷻ)** (٣)؛ فالرضا بالقضاء من أسباب السعادة، والسخط على القضاء من أسباب الشقاوة.

لذلك كان السخط مدخلاً سهلاً للشيطان ليظفر بالإنسان، فهناك يصطاده، ولاسيما إذا ما استحكم سخطه؛ فإنه ينوي ويقول ويفعل ما لا يرضي الله تعالى، ولهذا قال النبي ﷺ عند موت ابنه ابراهيم: **(إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)** (٤).

وقد جعل الله فيه الهم والغم والحزن، وشتات القلب، وكفّ البال، وسوء الحال، والظن بالله خلاف ما هو أهله، وقلة اليقين، كما في حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **(...مَنْ أَسْخَطَ اللَّهَ بِرِضَا النَّاسِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ)** (٥).

---

(١) جامع البيان، (٨/٥١٦).

(٢) انظر: مدارج السالكين، (٢/٢١٨).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، (ج١/ص٥١٨/ح١٨٥٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ،(ج٣/ص٢٥٢/ح١٣٠٣).

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ج١/ص٥١١/ح٢٧٧)، قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين غير إبراهيم بن يعقوب وهو ثقة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (ج٥/ ص٣١٠/ ح٢٣١١).

فالساخط مخاصم لله ﷻ فيما لم يرض به، من أمره ونهيه، أو قضائه ورزقه، وما يصيبه من نوائب ومصائب، وهذه المخاصمة هي أصل منهج إبليس مع ربه، فقد كان منهجه عدم الرضا بأقضيته وأحكامه الدينية والكونية القدرية، فلو رضي لم يُمسخ إلى الحقيقة الشيطانية الإبليسية[1].

٣ – الحزن على ما فات.

قال ابن تيمية رحمه الله: "لم يأمر الله تعالى ولا رسوله الكريم ﷺ بالحزن، بل نهى عنه في مواضع عديدة وإن تعلّق بأمر الدين، لأنه لا يجلب منفعة، ولا يدفع مضرة، فلا فائدة فيه"[2].

والنهي عن الحزن إنما كان مقروناً بما يوجب زواله، كقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]، فقرن النهي عن ذلك بما يزيله من إخباره أنهم هم الأعلون إن كانوا مؤمنين، وقوله ﷻ: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠]، ففيه نهي عن الحزن مقرون بما يوجب زواله وهي معيّة الله معهما، وإذا حصل الخبر بما يوجب زوال الحزن فقد زال.

لكن النهي لا يعني وجود هذا الحزن، بل قد ينهى عنه لئلاّ يوجد إذا وجدت أسبابه، وحينئذ فلا يضرنا كونه معصية لو وجد؛ فالنهي قد يكون نهي تسلية وتعزية وتثبيت، وإن لم يكن المنهي عنه معصية[3].

٤ – النياحة.

يقول ابن القيم رحمه الله: " وأما الندب والنياحة فنصّ أحمد على تحريمها... وقال ابن عبد البر: أجمع العلماء على أن النياحة لا تجوز للرجال ولا للنساء"[4].

والنّوح أو النياحة هي رفع الصوت بالندب على الميت، أو الإفراط بالبكاء عليه والعويل، وإن لم يقترن بندب ولا نوح، وضرب الخدود وشق الجيوب أو الدعاء بالويل والثبور أو سبّ الدهر عند المصيبة، ونحو ذلك مما نهى عنه النبي ﷺ في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ فقال: **(لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ)** [5].

والنياحة من الكبائر لشدة ما ورد فيها من التهديد والوعيد؛ لأنّ فيها تسخّط على قضاء الله وقدره، ولما فيها من تهييج الأحزان وتفويت الأجر، ومع هذه المفاسد لا ترد القضاء ولا ترفع

(١) انظر: مدارج السالكين، (٢/٢٢١).

(٢) مجموع الفتاوى، (١٠/١٦).

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية، (٨/٤٦٤).

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (ص١٠٣) بتصرف.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، (ج٢/ص٨١/ح١٢٩٤).

المصيبة، وذلك كله ينافي الصبر الواجب؛ فقد توعّد الله ﷺ النائحةَ بالعقوبة الشديدة يوم القيامة، كما في حديث أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: **(أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب)** (١).

وعليه فإن الميت المُناح عليه، إذا رضي بذلك وهو في حياته، أو أوصى به، أو دعا إليه، ولم ينْهَ عنه، فإن له نصيبه من عذاب النياحة؛ لأنه بسببه ومنسوب إليه، وكان من عادة العرب الوصية بذلك، ومنه قول طَرَفة بن العبد:

فإن مِتُ فانْعِينِي بما أنا أهْلُهُ... وشُقِّي عليَّ الجيبَ يا ابنةَ مَعْبَدِ (٢)

لذا حذّر النبي ﷺ من الإفراط في البكاء والندب على الميت تنفيذاً لوصيته؛ فقد ورد في حديث عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: **(إنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ)** (٣)، أما من بكى عليه أهله وناحوا عليه من غير وصية منه، فلا يعذب ببكائهم ونوحهم، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر:١٨].

والنياحة ضلال عظيم، تتضمن فعل ما نهى الله عنه، وترك ما أمر به، ففيها ترك الصبر، وفيها الجزع، وقول الهجر، ودعاء غير الله، وترك إخلاص الدين لله (٤).

بل قد عد أهل العلم: صناعة الطعام من أهل الميت، ودعوة الناس إليه من النياحة، والاجتماع لهذا في حد ذاته من النياحة (٥).

وإن دعت الحاجة إلى ذلك، جاز، فإنه ربما جاءهم من يحضر ميتهم من القرى والأماكن البعيدة، ويبيت عندهم ولا يمكنهم إلا أن يضيفوه (٦).

ولشدة قبح النياحة فقد تبرّأ رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ممن يفعلها، كما وردَ أنّ أبا موسى الأشعري ﷺ وجِع وجعاً شديداً، فغشي عليه، ورأسه في حِجْر امرأة من أهله، فصاحت

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، (ص٣٦٢/ح٩٣٤).

(٢) شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد الزَّوْزَني، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (ص١١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، (ج٢/ص٧٩/ح١٢٨٦).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، (٢٧/٣٨٠).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، (٢٤/٣١٦).

(٦) الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة الرابعة، (٢/١٥٧٩).

امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما أفاق قال: (**أنا برئ ممن برئ منه رسول الله ﷺ فإنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ[1] وَالْحَالِقَةِ[2] وَالشَّاقَّةِ**[3])[4].

وهذا كله من الجزع والنياحة للمصائب القديمة، وهو من أعظم ما حرم الله ورسوله، ويخالف الرضا بالقضاء، وينافيه [5].

وأما الكلمة اليسيرة إذا كانت صدقاً لا على وجه النوح و التسخط فلا تحرم ولا تنافي الرضا، و نصّ على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه دخل على النبي ﷺ بعد وفاته، فوضع فمه بين عينيه، ووضع يده على صدغيه وقال: (**وَانَبِيَّاهْ، واخَلِيلَاهْ، وَاصَفِيَّاهْ**) [6].

٥ – تمني الموت لضر نزل أو مصيبة.

نهى النبي ﷺ عن تمني الموت، إذا وقع المسلم في محنة أو بليّة، أو حالَ ألمّت به مصيبة؛ لأن في ذلك عدم الرضا بالقضاء، وعدم الصبر على البلاء.

ففي الحديث الذي يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وتوفّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**) [7].

وهذا بخلاف تمني الشهادة في سبيل الله، فإن هذا حسن مطلوب؛ لأنه ذروة الإيمان، يدل على الصبر والثبات والرضا بما يصيبه في ذلك مِمَّا يقدره الله عليه [8].

---

(١) **الصَّالِقَةِ**: بالصاد وبالسين لغتان، وهي التي ترفع صوتها عند المصيبة.(انظر: فتح الباري، (١/١٤٥)).

(٢) **الْحَالِقَةِ**: هي التي تحلق شعرها عند المصيبة، ويمكن أن يقاس عليها بالمقابل وهو من يمتنع عن حلق المعتاد عند المصيبة. (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٢/١١٠)).

(٣) **الشَّاقَّةِ**: هي التي تشق ثوبها عند المصيبة.(فتح الباري، (١/١٤٠)).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب مَا يُنْهَى مِنَ الْحَلْقِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ،(ج٢/ص٨١/ح١٢٦٩).

(٥) انظر: منهاج السنة النبوية، (٤/٥٥٤).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده، (ج٤٢/ص٣٤/ح٢٥٨٤١)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن من أجل يزيد بن بابنوس.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كَرَاهَةِ تَمَنِّى الْمَوْتِ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، (ص١٠٧٦/ح٢٦٨٠).

(٨) الرضا بالقضاء، د. سالم القرني، جامعة الملك خالد – الرياض، (ص٤٧).

فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (**والذي نفسي بيده، وددت أني أقاتل في سبيل فأقتل، ثُمَّ أحيا، ثُمَّ أقتل، ثُمَّ أحيا، ثُمَّ أقتل)** (١).

وكذلك طلب الموت على الإسلام عند الاحتضار، كما في قول الله ﷻ عن يوسف ﵇: ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ [يوسف:١٠١]، وقول النبي ﷺ عند موته: (**...اللهم في الرفيق الأعلى)**(٢).

كما يجوز أن يطلب الموت في غير الاحتضار، كأن يدعو بأن يموت على الإسلام عند انتهاء أجله، أو خشيةَ أن يفتن في دينه، كما أخبر الله ﷻ عن السحرة، لما أراد فرعون أن يفتنهم عن دينهم، وتهددهم بالقتل؛ فقالوا: ﴿ **رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ** ﴾ [الأعراف:١٢٦].

وقالت مريم ﵍ لما جاءها المخاض، إلى جذع النخلة: ﴿ **يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا** ﴾ [مريم:٢٣]، لما علمت من أن الناس يقذفونها بالفاحشة؛ لأنها لم تكن ذات زوج وقد حملت وولدت، فكل هذا جائز، ليس فيه جزع أو اعتراض على المقدر، فلا ينافي الرضا بالقضاء(٣).

٦- عدم الرضا بالمقسوم من الرزق.

تكفّل الله ﷻ برزق عباده على الأرض، لكن هذا لا يعني أن يتواكل العبد في طلب الزرق، بل عليه بالأخذ بالأسباب والسعي في الكسب الحلال.

ومن الكسب ما يكون واجباً، وهذا عند احتياج العبد إلى النفقة على نفسه، أو عياله، أو قضاء دَيْنِه، وهو قادر على الكسب، ولا يشغله ذلك عن ما هو أفضل عند الله، وهو واجب باتفاق العلماء، وتركه فيه معصية لله ﷻ.

ومنه ما هو مستحب، وهو ما اكتسبه العبد، لنفع نفسه، والإنفاق في وجوه الخير(٤)، كما في الحديث، يقول رسول الله ﷺ: (**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ: يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالَ: قِيلَ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ،**

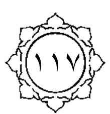
---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التمني، باب مَا جَاءَ فِي التَّمَنِّي وَمَنْ تَمَنَّى الشَّهَادَةَ، (ج٩/ص٩٢/ح٧٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، (ج٦/ص١٠/ح٤٤٣٧).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/٤١٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، (٨/٥٣٦).



قَالَ: قِيلَ لَهُ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَالَ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ، قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ: يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ) [1].

ومن الكسب ما هو مذموم، وهو ما اكتسب لغير الحاجة، أو أشغل عن ذكر الله ﷻ وعبادته، ويدل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة:١١].

وفي الحديث الذي يرويه أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ) [2].

وقد تعوذ منه النبي ﷺ في قوله: (... اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا) [3].

فالاستعاذة من النفس التي لا تشبع: استعاذة من الحرص والطمع والشره وتعلق النفس بالآمال البعيدة، وهذا منافٍ للرضا بالقضاء واعتراض على ما قسم الله له في الدنيا من الرزق[4].

٧ - الجزع والهلع.

إظهار الجزع والهلع من جملة الأعمال التي تنافي الرضا بالقضاء والقدر؛ لأن ذلك يشبه التظلم من الظالم، والله ﷻ حين قدّر القدر وأجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، كان له حكمة في كل ما يصيب الإنسان من أمور في حياته وهذا قمة العدل منه ﷻ.

فإذا تبين للعبد أنّ ما أصابه من مصيبة في النفس والمال والولد والأحباب ونحوهم، لم تجرِ إلا بقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علمه، ونفذت به مشيئته، واقتضته حكمته، فآمن على أنها من عند الله فرضي بذلك وسلّم بأمره، فله الثواب الجزيل والأجر الجميل، في الدنيا والآخرة، ويهدي الله قلبه؛ فيطمئن ولا ينزعج عند المصائب، ويرزقه الله الثبات عند ورودها، والقيام

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان أنّ اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (ص٣٩٠/ح١٠٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، (ج٤/ص٣٤/ح٢٨٨٦)، وفي كتاب الرقاق، بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، (ج٨/ص٩٢/ح٦٤٣٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ، (ص١٠٩٠/ح٧٠٨١).

(٤) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٤١/١٧).



بموجب الصبر، فيحصل له بذلك ثواب عاجل مع ما يدّخره الله له يوم الجزاء من الثواب[(١)]، كما في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١].

قال علقمة بن قيس: "**هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من الله، فيرضى ويسلم**" [(٢)].

أما الجزع فضعف النفس، وخوف القلب، يمدُّه شدة الطمع والحرص، ويتولد من ضعف الإيمان بالقدر، وصاحبه معاقب به، فيخرب قلبه، ويحرم رضوان الله في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢]، والهلع أفحش الجزع[(٣)]، وفي حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (**شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ**)[(٤)]، فالهلع له معانٍ منها: الحرص، والشح، والضجر، والبخل، والشّرَه، والإمساك، والذي لا يشبع، وضيق القلب، والعجلة، وهذه المعاني كلها تنافي الرضا بالقضاء[(٥)].

كما أن الجزع ضد الصبر المؤدي إلى الرضا، فلا خير في العجز ولا في الجزع، كما نجده في حال كثير من الناس، حتى بعض المتدينين إذا ظُلموا أو رأوا منكراً فلا ينتصرون ولا يصبرون بل يعجزون ويجزعون، فلا يعجز المؤمن عن مأمور، ويجزع من قضاء مقدور[(٦)].

ومصداق ذلك حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (**الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شيءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**)[(٧)].

فمن أراد بلوغ مقام الرضا فليحبس نفسه عن الجزع، والهلع، والتشكي، و التسخط باللسان عن الشكوى، وبالجوارح عما لا ينبغي فعله، وهذا هو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م، (ص٨٦٧).

(٢) نسخة وكيع عن الأعمش، وكيع بن الجراح، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الدار السلفية – الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، (ص٥٩).

(٣) مختار الصحاح، (ص٣٢٧).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، (ج١٣/ص٣٨٥/ح٨٠١٠)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات الصحيح، غير عبد العزيز بن مروان.

(٥) انظر: الرضا بالقضاء، (ص٤١).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، (١٦/٣٧–٣٨).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب فِي الأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالاِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ (ص١٠٦٩/ح٢٦٦٤).

وليس هذا معناه أن يقسو قلبه ويمنعه من الانفعال والتأثر بالنوازل، فمن لم يتأثر بها لغلظة قلبه وقساوته لا لصبره واحتماله فليس من الراضين بالقضاء والقدر[1].

وبهذا التفصيل يتبين الصواب ويزول اللبس في هذه المسألة العظيمة، التي هي مفرق طرق بين الناس.

المطلب الثاني: مذاهب المخالفين في الرضا بالقضاء والقدر.

إن منشأ الضلال الذي وقع به المخالفون من المعتزلة والأشاعرة، قد جاء من التسوية بين المشيئة والإرادة من جهة، وبين المحبة والرضى من جهة أخرى، والمتأمل لتأويلات المتكلمين يجد أنهم لم يفرقوا بين أنواع الإرادة الواردة في النصوص؛ وهذا ما أدى إلى التأويلات الفاسدة للصفات الإلهية.

أولاً: مذهب المعتزلة في الرضا بالقضاء والقدر.

حين يؤوّل المعتزلة صفة الرضا لله ﷻ بالإرادة؛ فإنهم يثبتون الإرادة الشرعية، ويقولون إن المعاصي ليست محبوبة لله ولا مرضية له، وبالتالي فهي ليست مقدرة ولا مقضية وخارجة عن مشيئته وخلقه [2].

وقد أفرد القاضي عبد الجبار فصلاً كاملاً في كتابه شرح الأصول الخمسة تحت عنوان: "فصل في أنه لا يجوز أن يكون مريداً للمعاصي "؛ قال فيه: " المعاصي كلها مكروهة عنده ولن تكون كذلك إلا وهو كاره لها، ولا يكون كارهاً لها إلا وهو غير مريد لها، وأحد ما يدل على أنه تعالى لو كان مريداً للقبيح لوجب أن يكون فاعلاً لإرادة القبيح، وإرادة القبيح قبيحة، والله تعالى لا يفعل القبيح لأنه عالِمٌ بقبحه ومستغنٍ عنه " [3].

وعلّل نفيه لإرادة الله للمعاصي؛ بوجوب تنزيهه ﷻ عن صفات النقص؛ فقال: " وأحد ما يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يكون مريداً للمعاصي، هو أنه تعالى لو كان مريداً لها لوجب أن يكون حاصلاً على صفةٍ من صفات النقص، وذلك لا يجوز على الله تعالى، وبهذه الطريقة نفينا الجهل عن الله تعالى" [4].

---

(١) انظر: الروح، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. محمد تامر، دار الفجر– القاهرة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، (ص٢٤١).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، (ص١٩١).

(٣) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه: د.عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، (ص٤٦١).

(٤) المصدر السابق، (ص٤٣١).



والمعتزلة تحتج في إثبات ما سبق بقولها أن الله يحب ويرضى الإيمان، ويكره الكفر والفسوق والعصيان ولا يرضى لعباده الكفر، وهذا يلزم ألا تكون المعاصي مقدرة ولا مقضية ؛ فهي خارجة عن مشيئته وقدرته، وبما أنهم مأمورون بالرضا بالقضاء ومأمورون كذلك بسخط وبغض هذه المعاصي والأفعال؛ فإن هذه المعاصي يجب أن تكون خارجة عن قضاء الله وقدره.

وعلى هذا يتبين معنى الإرادة التي تقصدها المعتزلة حين فسرت الرضا بها، وحصر الإرادة على أنها الإرادة الشرعية يلزم منه لوازم فاسدة، كأن يكون في ملك الله مالا يريد كالمعاصي الواقعة من العباد، وهو لا يحبها ولا يريدها، بل أكثر أفعال العباد على هذا واقعة بغير إرادة الله ﷻ وفي هذا طعن في ربوبية الله وسيادته على خلقه، وهذا القول معلوم بطلانه؛ فالله ﷻ لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض [١].

ثانياً: مذهب الأشاعرة في الرضا بالقضاء والقدر.

أما إذا انتقلنا للأشاعرة؛ فنجد أنهم يثبتون الإرادة الكونية، وهذا ما يتضح لنا من خلال ما قاله القاضي أبو بكر الباقلاني: "ونعتقد أن مشيئة الله تعالى ومحبته ورضاه ورحمته وكراهيته وغضبه وسخطه وولايته وعداوته كلها راجع إلى إرادته". [٢]

ثم يقول في الفرق بين الإرادة والمشيئة : " واعلم أنه لا فرق بين الإرادة، والمشيئة، والاختيار، والرضى، والمحبة على ما قدمنا ". [٣]

فالأشاعرة يقولون أنه قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، ولمّا ثبت عندهم أن المشيئة والمحبة والرضى كلها بمعنى واحد، قالوا: فالمعاصي والكفر كلها محبوبة لله ؛ لأن الله شاءها وخلقها. [٤]

ويلزمهم من قولهم هذا أنهم جعلوا كل ما أراده الله غير مكروه له ﷻ، ويلزمهم على هذا أن الله لا يكره الكفر والفسق وهذا باطل مخالف لنص القرآن.

قال الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم في حاشية شرح الأصول الخمسة: " وأساس المشكلة أن المعتزلة ينظرون إلى الأمر من ناحية تنزيه الله عن كل قبيح ويقيسون القبائح والظلم

(١) انظر: الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ، (ص١٦٦).

(٢) الإنصاف ، القاضي أبي بكر الباقلاني، المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، طبعة ٢٠٠٠م، (ص٦).

(٣) المصدر السابق ، (ص١٦)

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٢٤٠) ، منهاج السنة (١/١٥).



بما نعلمه في حياتنا ومعاملاتنا، بينما ينظر الأشاعرة إلى تعظيم الله وعدم الإقرار بأن يكون في ملكه مالا يريد؛ لأن ذلك انتقاص من إرادته وقدرته"[١].

ولعل هذا يتضح من المناقشة التي أوردها السبكي في طبقاته بين أبي إسحاق الاسفراييني[٢]. وبين القاضي عبد الجبار، حيث قال القاضي: " سبحان من تنزه عن الفحشاء، فأجاب الاسفراييني: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء"[٣].

وهكذا انتهى الأمر بهاتين الطائفتين إلى قولين باطلين : إما إخراج بعض المقدورات أن تكون مقدرة ومرادة لله تعالى كما فعلت المعتزلة، وإما بالقول بأن الله يحب الكفر والمعاصي كما فعل الأشاعرة الذين خالفوا نصوص الكتاب والسنة .

ثالثاً: الفرق بين الرضا وبين الإرادة الشرعية و الإرادة الكونية.

حتى يزول اللّبس والإبهام؛ لابد من التفريق بين معنى الإرادة الكونية والإرادة الشرعية على النحو التالي:

١- الإرادة الكونية القدرية.

هي مشيئته لما خلقه وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وإرادته الكونية، وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهذه الإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد، ولا ملازمة بينها وبين المحبة والرضا، بل يدخل فيها الكفر والإيمان والسيئات والطاعات، والمحبوب المرضي له والمكروه المبغض كل ذلك بمشيئته وقدره وخلقه وتكوينه، ولا سبيل إلى مخالفتها ولا يخرج عنها مثقال ذرة، ومايدل عليها من القرآن قوله تعالى:

---

(١) شرح الأصول الخمسة، (ص٤٣١).

(٢) **أبو اسحاق الإسفراييني:** هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، عالم بالفقه والأصول، كان يلقب بركن الدين، وهو أول من لقب من الفقهاء، نشأ في أسفرايين (بين نيسابور وجرجان) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له فيها مدرسة عظيمة فدرّس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر، له كتاب (الجامع) في أصول الدين، و (رسالة) في أصول الفقه، وكان ثقة في رواية الحديث، وله مناظرات مع المعتزلة، مات في نيسابور سنة ٤١٨هـ، ودفن في أسفرايين (الأعلام للزركلي، (١/٦١)).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي – د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، (٤/٢٦١).

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] فهي بمعنى المشيئة (١).

٢- الإرادة الشرعية الدينية.

و هي المتضمنة لمحبته ورضاه، المتناولة لما أمر به وجعله شرعاً وديناً، وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح، وهذه الإرادة الشرعية يلزم أن يكون المراد فيها محبوباً لله ولا يلزم وقوعه(٢)، كقول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٧].

يقول عبد الغني المقدسي: " يقول العلماء: تجتمع هاتان الإرادتان في إيمان المؤمن؛ لأنَّ الله ﷻأراد منه كوناً وقدراً أن يكون مطيعاً، وأراد منه ذلك شرعاً وديناً، فاجتمعت في حقه الإرادتان.

وتنفرد الإرادة الكونية القدرية في كفر الكافر؛ لأنَّ الله ﷻأراد منه الكفر كوناً وقدراً، ولم يرده منه شرعاً وديناً، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾، وتنفرد الإرادة الشرعية الدينية في مثل إيمان الكافر الذي قضى الله أن يموت على الكفر؛ لأنَّ الله ﷻ أراد منه شرعاً وديناً أن يكون مؤمناً، لكنه لم يرده منه قدراً وكوناً؛ لأنَّه لو أراده منه قدراً وكوناً لكان.

وترتفع الإرادتان في كفر المؤمن الذي قضى الله أن يبقى على الإيمان ويموت عليه، فلم يرد الله منه الكفر لا شرعاً وديناً، ولا كوناً وقدراً " (٣).

وبهذا يعلم أنه بين الإرادة الشرعية الدينية والإرادة الكونية القدرية عموم وخصوص مطلق يجتمعان في حق المخلص المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية القدرية في حق العاصي (٤).

- **يقول ابن أبي العز الحنفي** رحمه الله: " وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده، فقد يحبه عندهم ويرضى مالا يريده ويكره ويسخط لما أراده " (٥).

---

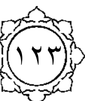
(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/١٨٨)، شرح العقيدة الطحاوية، (ص٥٦-٥٧)، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (١/٢٣٠)، تذكرة المؤتسي (ص١٥٠)، لوامع الأنوار البهية، (١/١٥٦).

(٢) انظر: المصادر السابقة نفسها.

(٣) تذكرة المؤتسي، (١٥٢/١٥٣).

(٤) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، الطبعة السابعة، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م، (ص١٥).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، (ص٣٩٦)، حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي، (ص٥٢).



وينبغي أن يُعلم أن الأمر ينقسم إلى قسمين كما هي الإرادة، فهناك الأمر الكوني وهو يتعلق بما يحب الله ويكره، وهو بمعنى المشيئة الكونية، والأمر الديني وهو يتعلق بالإرادة الدينية، ويتعلق فقط بما يحبه الله ولا يقع إلا إذا شاء الله، أي شاء المشيئة والأمر الكوني.

- **فإن قيل: إذا كانت المعاصي بقضاء الله، فكيف لنا أن نكره قضاءَه ونبغضه؟**

يقول ابن تيمية ﷺ: " لا يوجد في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ آية ولا حديث يأمر العباد بأن يرضوا بكل مقضيّ مقدّر من أفعال العباد حسنها و سيئها، فهذا أصل يجب أن يعتنى به، ولكن على الناس أن يرضوا بما أمر الله به، فليس لأحد أن يسخط ما أمر الله به" [١].

وهنا يظهر لنا جلياً أهمية التفريق بين أنواع الإرادة، ودور هذا التفريق في فهم النصوص ما يزيل الالتباس، ويبين الخطأ الذي وقع فيه المتكلمون حين خلطوا بين معاني الإرادة، ولاشك أن هذا الذي وصلوا إليه هو نتيجة حتمية للمنهج الخاطئ، فبينما كان يجب الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية ليتحقق لهم الفهم، رجعوا إلى عقولهم فقط، ففاتهم الصواب[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى، (٨/١٩٠).

(٢) انظر: القضاء والقدر وعلاقتهما بأفعال العباد، د. جابر السميري، مطبعة دار المنارة – غزة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، (ص٢٨٦).



المبحث الثالث

الرضا وعلاقته بمسائل الولاء والبراء

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الرضا وعلاقته بمسائل الولاء.
- المطلب الثاني: الرضا وعلاقته بمسائل البراء.

المبحث الثالث: الرضا وعلاقته بمسائل الولاء والبراء.

تمهيد:

إن أصل الأصول في دين الإسلام هو كلمة التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذه الكلمة الطيبة التي يقول فيها الإمام ابن القيم ﵀: " لأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، وأسست الملة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، ، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد " [1].

والناظر المتأمل يرى أن تحقيق معنى هذه الكلمة بالمعنى الحقيقي، لا يُنال إلا بتوحيد الله ﷻ إلهاً ومعبوداً، وأن يكون الحب في الله والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، ومعرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل بالشريعة التي جاء بها ظاهراً وباطناً، وعدم الالتفات إلى سوى الله ورسوله ﷺ.

والرضا يشمل التوحيد كله، ربوبية وألوهية، طاعة وتقرباً، ومن هنا فقد جاء في الحديث فعن العباس بن عبد المطلب ﵁ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً)**[2].

هذه الكلمة بكل مفاهيمها ومقتضياتها، قد غابت عن حس الناس اليوم إلا من رحم الله، ومن هذه المفاهيم الأساسية التي ترتبط بهذه الكلمة: مفهوم الولاء والبراء .

وفي باب الولاء والبراء نتناول قضية هامةً وحساسة، تختص بالرضا عن المؤمنين وموالاتهم وحكم ذلك، ثم الرضا عن الكفر والكفار وحكم ذلك في العقيدة الإسلامية.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة – بيروت، مكتبة المنار الإسلامية – الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، (٣٦/١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، (ص٤٨/ح٣٤).



المطلب الأول: الرضا وعلاقته بمسائل الولاء.

لابد من تحقق الرضا عن المؤمنين، ليكتمل ولاء المسلم لمجتمعه وإخوانه في الدين، وتزداد وشائج الصلة والمحبة بينهم، ويتعلق بالرضا والترضّي بين المسلمين، مسائل عقدية جمّة، نورِد منها ما يلي:

أولاً: مفهوم الولاء .

أ. **الولاء لغة:**

الولاء: مصدر من وَلْي بسكون اللام ومعناه القرب والدنو ، وقيل: الولاء والولاية بالفتح: النصرة، والوَليُّ: الصَّدِيق والنَّصِير، والمُوالاةُ: ضِدّ المُعاداة، والوَليُّ: ضِدُّ الْعَدُوِّ، وَيُقَالُ مِنْهُ تَوَلَّاه.[1]

ب. **الولاء: اصطلاحاً:**

الولاء من الولاية وهي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً، فموالاة المسلمين تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا.[2]

ثانياً : الرضا بين المسلمين.

المسلمون في الرضا والترضّي على صنفين، هما :

١- الرضا عن المسلمين عامة.

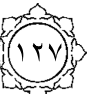
وهؤلاء يُرضى عنهم جملة واحدة، وهم جماعة المسلمين، وأهل الإيمان، ممن آمنوا بالله وحده، ولم يشركوا به شيئاً، ووقفوا عند حدوده، وأطاعوا الله ورسوله، وانتهوا عما نهى عنه الله ورسوله ﷺ.

وهذا الصنف من المسلمين، تجب محبتهم والرضا عنهم، وموالاتهم؛ لأنهم حققوا التوحيد الحقّ لله ﷻ، ونحن عندما نرضى عنهم، فإنما نرضى بالدين الذي هم عليه وهو دين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، قال تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة:٣].

---

(١) انظر: مختار الصحاح ، (٣٤٥/١) ، لسان العرب (٤١١/١٥).

(٢) انظر: الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، دار عمر بن الخطاب – الاسكندرية، (ص١١٠)، الولاء والبراء في الإسلام، محمد القحطاني، تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار طيبة– الرياض، الطبعة الأولى، (ص٩٠).



ويترتب على الرضا بالإسلام، أن يحب المسلم دينه ويحب المسلمين ويرضى عنهم، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد والعمل به، ومحبة أهله، فمن أحب الله أحبَّ دينه؛ لأن المحبة يترتب عليها تنفيذ ما تقتضيه كلمة الإخلاص من شروط التوحيد، والتي منها المحبة لله وفي الله [(١)].

لذلك كانت رابطة الدين والإيمان بين المسلمين أقوى من رابطة الدم، بشرط أن يكون الحب بين المسلمين في الله، فعن البراء بن عازب، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: (... **إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ**)[(٢)].

ويلحق بحبّ المسلم للمسلم، الرضا عن فعله الصالح، وتأييده في كل خير، وتصبيره عن كل شرّ، وكذلك احترامه وعدم الاستهزاء به وإكرامه، وفي هذا يقول ﷺ مادحاً المؤمنين الذين يوالون إخوانهم المؤمنين، مختصاً إياهم بمحبته: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٥٤]، كما يلحق به نصحه عند غلطه، والعدل معه حال الرضا والسخط، فيقول تعالى آمراً إياهم بالتقوى في الحكم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٨]، لكن ينبغي أن يُتنبّه إلى أن الرضا عن المؤمنين لا يعني عدم إنكار المنكر في حال وجوده في المجتمع المسلم أو شيوعه بين المسلمين، فكل إنسان معرضٌ لارتكاب الذنوب والخطايا، فإن فعل فلا يُرضى هذا العصيان منه، وهذا ما سننتقل للحديث عنه.

٢- الرضا عن أهل المعاصي من المسلمين من جهة والسخط عليهم من جهة أخرى.

وأهل المعاصي يُرضى عنهم من جهة، ويُسخط عنهم من جهة أخرى، فيُرضى عنهم لما فيهم من الإيمان، ويُسخط عنهم لما عندهم من الإقامة على المعاصي وارتكاب الذنوب.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام – ابن تيمية – رحمه الله: " لا يتنافى عندنا أن يجتمع في الرجل الحمد والذم والثواب والعقاب؛ كذلك لا يتنافى أن يصلى عليه ويدعى له، وأن يلعن ويشتم أيضاً باعتبار وجهين، فإن أهل السنة متفقون على أن فساق أهل الملة – وإن دخلوا النار أو استحقوا دخولها– فإنهم لا بد أن يدخلوا الجنة، فيجتمع فيهم الثواب والعقاب " [(٣)].

---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعلماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، (٢٠٨/٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الإيمان والرؤيا، باب، (ج١٥/ص٦٣١/ح٣١٠٨٣) بنحوه، والبيهقي في شعب الإيمان (ج١/ص١٠٤/ح١٤)، قال الألباني في السلسلة الصحيحة: " فالحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن"، (ج٤/ص٣٠٦).

(٣) مجموع الفتاوى، (٤٨٦/٤).



فلا يجوز أن يُسكت عن إنكار المعصية؛ لأنّ الإقرار بها والرضا عنها بمثابة ارتكابها، فقد رُفع لعمر بن عبد العزيز ﷺ قوم يشربون الخمر فأمر بجلدهم، فقيل له: إن فيهم صائماً؛ فقال: ابدءوا به، أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠] [(١)].

فجعل حاضر المنكر كفاعله؛ لأن جلوسه معهم من غير إكراه ولا إنكار قرينة دالة على الرضى بحالهم وفعلهم، فعوقب بمثل ما عوقبوا به [(٢)].

وقد نهى الله ورسوله عن إيواء أهل المعاصي؛ لأن فيه رضاً بالمعصية، وتعاوناً عليها، والله ﷻ يقول: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:٢].

وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: كنت عند علي بن أبي طالب ﷺ، فأتاه رجل فقال: ما كان النبي ﷺ يُسِرُّ إليك ؟ قال: فغضب، وقال: ما كان النبي ﷺ يسرّ إليّ شيئاً يكتمه الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع، قال: فقال ما هن يا أمير المؤمنين ؟، قال: (**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا**[(٣)]، **وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ**[(٤)])[(٥)].

فمن نصر جانياً وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يقتص منه فقد رضي بفعله، وخالف بذلك أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ؛ لأنه مأمور بالإنكار، وذلك يستلزم عدم الإيواء أو الرضا بالمنكر.

---

(١) مجموع الفتاوى، (٢٢١/١٢).

(٢) استدلال عمر بن عبد العزيز بالآية فيه دليل على جواز الاستدلال بالأعلى على الأدنى ؛ فالآية وإن كان يُراد منها الكفر الأكبر إلا أنه يجوز الاستدلال بها على العاصي الذي يُجالس العصاة وهم يقترفون المعاصي من غير إنكار ولا قيام، ولهذا يؤاخذ الفاعل والراضي بعقوبة المعاصي حتى يهلكوا جميعاً.

(٣) **المحدِث:** هو الَّذِي أحدَث أَو جَاءَ ببدعة فِي الدّين أَو بدل سنة ، وقيل: يَعْنِي من ظلم أَو أَعَان ظَالِماً، (انظر: عمدة القاري، ٢٣٣/١٠).

(٤) **المنار:** العَلَم والحَدّ بَين الأَرَضين . (تهذيب اللغة، ١٦٦/١٥)

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَعْنِ فَاعِلِهِ، (ص٨٢٠/ح١٩٧٨).

وعن أم سلمة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: **(إِنَّهُ سَتَكُونُ أُمَرَاءُ تَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ ، فَمَنْ أَنْكَرَ، فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ، فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: " لَا، مَا صَلَّوْا)** [1].

فقوله: " ولكن من رضي وتابع "، دليل على وجوب ترك الإيواء أو الرضا بالمعصية.

ويلحق بالرضا بالمعصية أو البدعة، معاشرة أهلها، ومنادمتهم، وتقريبهم، وإقصاء أهل الإيمان وأهل الطاعة، وهذه تسمى مداهنة [2].

والأولى بالمسلم أن لا يداهن أهل العصيان، ويرضى بما هم عليه من الفسوق، ويسكت سكوت راضٍ بما هم فيه من غير إنكار [3].

- **حكم الاستمتاع بالمعصية.**

هناك فرقٌ بين حصول الإقرار بالمعصية والرضا بها وبين عدمه، فإذا كان المسلم مستمتعاً بمعصيته، فهذا ليس كفراً مخرجاً من الملة ولا يعد صاحبه مرتداً، إلا إن استحله صاحبه، وكان مقراً بما يفعل، معتقداً إياه أو راضياً به.

ومع ذلك فإن من المتصور بيسر أن المسلم عند ارتكابه للمعصية يحصل له نوع استمتاع، ولكن قلبه منكر لهذا المنكر وغير راض به ولامطمئن لها ، ولا تعارض بين الأمرين، فالمعلوم أن المؤمن حين يعصي الله تعالى لا يطمئن للمعصية كما يطمئن لها الكافر، ولا يكون مثله في ارتياح القلب وقبوله وانشراحه، ومع ذلك فإنه يستلذ بها ويشتهيها وإلا لما فعلها، وهذا هو معنى الاستمتاع بها، فيُحكم بعدم كفره من ناحية، وبضعف إيمانه من ناحية أخرى، كما قال النبي ﷺ: **(لايزني الزَّانِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وُجُوبِ الإِنْكَارِ عَلَى الأُمَرَاءِ فِيمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ وَتَرْكِ قِتَالِهِمْ مَا صَلَّوْا وَنَحْوِ ذَلِكَ، (ص٧٧٤/ح١٨٥٤).

(٢) **المداهنة:** هي أن يرى الإنسان منكراً ويقدر على دفعه ولا يدفعه ؛ حفظًا لجانب مرتكبه، أو جانب غيره، أو لقلة مبالاة في الدين، والمداهنة معصية ؛ لأن فيها التعظيم لمن لا يستحقه، تحصيلاً لصداقته أو جلباً لنفعه، كمن يثني على ظالم بسبب ظلمه، يصوره بصورة العدل، أو مبتدع على بدعته ويصورها بصورة الحق. (انظر: التعريفات للجرجاني، ص٢٠٧، معجم الفروق اللغوية للعسكري، (ص٤٨٩)).

(٣) انظر: الرضا بالقضاء والقدر للقرني، (ص٣٥).

يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[(١)]، فهل معنى ذلك أن من مات حال الزنا يكون كافراً مرتداً؟!!

الجواب: لا، ولكنه ضعيف الإيمان، وإنما منع من تكفيره ما في قلبه من الإيمان، والذي من جملته أنه لا يستحل المعاصي ولا يرضاها، وإن كان يشتهيها ويفعلها.

وعلى هذا فلا بد من التفريق بين الرضا الذي حقيقته طمأنينة القلب وانشراحه وقبوله، والذي يستلزم عدم إنكار القلب للمنكر، وبين مجرد حضور الفعل ومشاهدته والاستمتاع بذلك من غير رضا ولا إقرار [(٢)].

- **إنكار المعصية.**

يشترط في إنكار المعصية، تجنّب الغلو في البغض أو الذّم أو النهي أو الهجر أو العقوبة لأهل المعاصي، بل يقال لمن اعتدى عليهم في المبالغة، عليك نفسك لا يضرك من ضلّ إذا اهتديت، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣]، وقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠]، فإن كثيرا من الآمرين الناهين قد يتعدى.

فلا بد أن يقوم الإمام والمسلمون بالأمر والنهي على الوجه المشروع من العلم والرفق والصبر وحسن القصد وسلوك السبيل القصد[(٣)]؛ فإن ذلك داخل في قوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة:١٠٥].

والمتأمل في آيات القرآن الكريم، يفهم أن مداراة[(٤)] الناس كحسن الخلق والمعاشرة معهم، وخفض الجناح لهم، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، من أقوى أسباب الألفة، وقبول

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، بَابُ الزِّنَا وَشُرْبِ الْخَمْرِ، (ج٨/ص١٥٧/ح٦٧٧٢)، و مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ نُقْصَانِ الإيمَانِ بِالْمَعَاصِي وَنَفْيِهِ عَنِ الْمُتَلَبِّسِ بِالْمَعْصِيَةِ عَلَى إِرَادَةِ نَفْيِ كَمَالِهِ، (ص٥٤/ح٥٧).

(٢) انظر: موقع اسلام ويب، http://www.islamweb.net/fatwa/index.php، فتوى رقم: ١٣٨٢٢٣، بتاريخ ٢٠١٢/١١/٢٥م.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، (٤١/٤٨١-٤٨٣).

(٤) **المداراة:** هي الملاطفة والملاينة، ومنها حسن الخلق مع الناس في معاشرتهم وتألفهم، وقد جاء في أمثال العرب من المدح للمداراة بقولهم: "المُدَارَاةُ قِوَامُ المُعَاشَرَةِ وَمِلاَكُ المُعَاشَرَةِ". (انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي، عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م، (ص٣٠١)، مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، (٢/٢٨٩)).

الحق، وهي مندوبة، يقول تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت:٣٤]، ويقول ﷻ: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

فالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ له، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك أمر مطلوب مستحب.

ثالثاً: صور الرضا والترضّي بين المسلمين:

١. الرضا بالنبي ﷺ رسولاً، و الرضا بحكمه.

الرضا بمحمد ﷺ رسولاً، يتضمن الرضا بجميع ما جاء به من عند الله تعالى، وردّ الحكم إليه في حال التنازع، ثم قبول ذلك بالتسليم والانشراح، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

وقال أيضاً ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

قال ابن كثير رحمه الله: " يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً؛ ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾، أي إذا حكّموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمتَ به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلّمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة"[(١)].

فنفيُه ﷻ الإيمانَ عنهم لِتُوجد هذه الغاية، دليلٌ صريح على أن هذه الغاية فرض على الناس، وتركها يجعل العبد من أهل الوعيد؛ لأنه لم يأتِ بالإيمان الواجب، الذي وُعِدَ أهله بدخول الجنة بلا عذاب [(٢)].

٢. رضا الوالدين.

لقد أمر الله ﷻ ببرّ الوالدين والإحسان إليهما، وجعل ذلك في المرتبة الثانية بعد الأمر بتوحيده في العبادة، فقال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء:٢٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، (٣٤٩/٢).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، (ص٣٦٣).



وفي سنة رسول الله ﷺ جاء التأكيد على وجوب برّ الوالدين والحرص على رضاهما، فإنه مفتاح رضا الله تعالى، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسولُ الله ﷺ: **(رِضَا الرَّبِّ فِي رَضَا الوَالِدَيْنِ، وسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِهِمَا)**(١).

قال المناوي: " أقام المُظهَر مقام المُضمَر لمزيد التهويل (في سخط الوالد)؛ لأنه تعالى أمرَ أن يُطاع الأب ويُكرم، فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن أغضبه فقد أغضب الله "(٢).

٣. رضا الزوج عن زوجته.

إن من أعظم أسباب دخول المرأة الجنةَ، هو رضا زوجها عنها، فالمرأة المسلمة هي التي تكون حريصةً على إرضائه، وإدخال السرور على نفسه، وتطيع زوجها دوماً في غير معصية، إدراكاً منها أنّ طاعة زوجها هي طاعةٌ لأمر الله في ذلك.

وقد مدح رسول الله ﷺ الزوجة التي تجتنب سخط زوجها، بل تحرص أشد الحرص على نيل رضاه، وجعَلَ الجزاء من جنس العمل، فكانت الجنة، فعن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْوَدُودُ، الْوَلُودُ، الْعَؤُودُ عَلَى زَوْجِهَا، الَّتِي إِذَا آذَتْ أَوْ أُوذِيَتْ، جَاءَتْ حَتَّى تَأْخُذَ بَيْدَ زَوْجِهَا، ثُمَّ تَقُولُ وَاللهِ لَا أَذُوقُ غُمْضًا حَتَّى تَرْضَى)**(٣).

أي أنّ هذه الزوجة الراشدة إذا غضب منها زوجها، أياً كان المتسبب في الغضب، هي أو هو، لا تغمض عينيها ولا تنام حتى ترضيه، فلا تبيت تلعنها الملائكة حتى تصبح.

لذلك كان الأمر بالإحسان في المعاملة والعشرة بين الزوجين؛ كونه أحد أبواب دخول الجنة، ولعظيم مكانة الإحسان للزوج، فقد جعله رسول الله ﷺ جنتها وطريق سعادتها في الدنيا والآخرة، ففي الحديث الذي يرويه حصين بن محصن، قال: أخبرتني عمتي أنها دخلت على

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص١٤/ح٢)، قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (ج٢/ص٣٣١/ح٢٥٠٣)، والحاكم في مستدركه (ج٤/ص١٥٢/ح٧٢٤٩) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، والبيهقي في شعب الإيمان، (ج١٠/ص٢٤٧/ح٧٤٤٧) وقال المحقق مختار أحمد الندوي: إسناده حسن.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، (٢/٣٤).

(٣) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب شكر المرأة لزوجها، (ج٨/ص٢٥٠/ح٩٠٩٤)، والسيوطي في الجامع الصغير، (ج١/ص٢٤٨/ح٢٨٦٧) وقال عنه: صح، " صح تعني عند السيوطي أن الحديث صحيح".

رسول الله ﷺ لتسأله عن شيء فقال: (**أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟**) قالت: نعم قال: (**فَكَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟**) قالت: يا رسول الله لا آلوه، قال: (**فأحسني، فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ**)(١).

فانظر كيف حث المرأة على أن تسعى فيما يرضي زوجها وتجتنب ما يسخطه إلا إذا كان في معصية الله، ولتصبر عليه، ولتجتهد في الدعاء له، لتفوز بالجنة، فالمرأة العاقلة هي التي تبذل كل الأسباب من أجل إرضائه طاعة لربها وابتغاء مرضاته، وكفى المرأة المسلمة شرفاً أن تنال الجنة بإرضائها لزوجها.

٤. رضا المتبايعين.

اعتنى الإسلام عناية كبيرة بحفظ حقوق الإنسان من الاعتداء، ولما كان المال جزءاً من الإنسان كان الاعتداء عليه حراماً؛ لأنه بمثابة الاعتداء على كرامته وأحد أبرز حقوقه.

يقول تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ [النساء:٢٩].

فنرى كيف أن التعبير القرآني وجّه الخطاب للمؤمنين، وأمرهم باحترام حقوق بعضهم البعض المالية، بعيداً عن أكل الأموال بالطرق الباطلة، التي ترفضها قيم الدين كأكل المال بالقمار أو بيع الخمر والمخدرات، أو الاحتيال والسرقة، فكل هذا باطل وحرام.

والاستثناء الوحيد في ذلك كله كونها تجارةً، وهذه التجارة لها شرطان:

أ- أن تكون تدويراً للمال بالطرق المشروعة كالبيع والإيجار ونحوه، قال الطبري في تفسير الآية: " معنى قوله ﴿ **إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ** ﴾، أي إلا أن يكون أكلكم الأموال التي يأكلها بعضكم لبعض، عن مِلْك منكم عمن مَلكتموها عليه، بتجارة تبايعتموها بينكم، وقال مجاهد: في تجارة أو بيع، أو عطاءٍ يعطيه أحدٌ أحداً " (٢).

ب- أن تكون هذه التجارة عن تراضٍ بين المتبايعين، بعيدة عن الإكراه والجبر، أو الغش والخداع؛ لأن ذلك يفقد شرط التراضي.

(١) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب طاعة المرأة زوجها، (ج٨/ص١٨٦/ح٨٩٢٠)، وأحمد في مسنده، (ج٤٥/ص٣٤١/ح٢٧٣٥٢) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده محتمل للتحسين، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح، (ج٢/ص١٩٦/ح١٩٣٣).

(٢) جامع البيان (٨/٢٢١، ٢٢٨)، الدر المنثور للسيوطي (٢/٤٩٥).



قال البغوي: "﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾، أي بطيب نفس كل واحد منكم، وقيل: هو أن يجيز كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع، فيلزم وإلا فلهما الخيار ما لم يتفرقا "[1] لقول رسول الله ﷺ: **(الْمُتَبَايِعَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْخِيَارِ عَلَى صَاحِبِهِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، إلا بَيْعَ الْخِيَارِ)**[2].

فظاهر الآية يدل على أن ما كان على طريق التجارة، فالشرط فيه التراضي، وهو يكون بين البائع والباذل للثمن، فلو باع التاجر ما يساوي مائة بدرهم جاز إذا تراضيا هو والمشتري على ذلك، وسواء أعلم مقدار ما يساوي أم لم يعلم[3]، ومما يدل أيضاً على عدم جواز بيعِ المُكرَه لعدم التراضي، الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري، يقول: قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ)**[4].

المطلب الثاني: الرضا وعلاقته بمسائل البراء.

لقد نهى الله عباده المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء في آيات عدة، فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٤٤]، وقال: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ ﴾ [آل عمران:٢٨].

بل حذّر ﷻ من الوقوع في هذا المنكر العظيم والجرم الخطير، وهو موالاة الكفار ومحبتهم، أو توليهم ونصرتهم، فقد يخرج الإنسان من دين الإسلام بالكلية بنص كتاب الله ﷻ واسمع إلى قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١].

قال القرطبي رحمه الله عند تفسير هذه الآية: " أي من يعاضدهم ويناصرهم على المسلمين فحكمه حكمهم في الكفر والجزاء، وهذا الحكم باق إلى يوم القيامة وهو قطع الموالاة بين المسلمين والكافرين " [5].

---

(١) معالم التنزيل، (١/٦٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، بَابٌ الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، (ج٣/ص٦٤/ح٢١١٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٣/٦١٠).

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب التجارات، باب بَيْعِ الْخِيَارِ، (ج٣/ص٥٣٨/ح٢١٨٥)، قال الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجة: الحديث صحيح (ج٥/ح١٨٥/ح٢١٨٥)، وابن حبان في صحيحه، باب ذكر العلة التي من أجلها زجر عن هذا البيع، (ج١١/ص٣٤١/ح٤٩٦٧) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، (٦/٢١٧).



وقال حذيفة ﷺ: " ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر لهذه الآية"[١].

وانظر كيف أن الله تعالى جعل موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، شرطاً في الإيمانِ، فقال: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم:٣١]، وقال أيضاً: ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يونس:١٠٥].

فتأمل الآيات السابقة، ثم انظر كيف أكد الباري ﷻ على رسله والمؤمنين باثنتي عشرة آية في البراءة من المشركين ومدحهم بتلك الصفة، وهذا كله يدل بلا ريب على أن الله أوجب على المؤمنين البراءة من كل مشرك، وأمر بإظهار العداوة، والبغضاء للكفار عامة، وللمحاربين منهم خاصة.

ويتعلق ببغض الكفار ومعاداتهم، والبراء منهم عدة مسائل، نتناول منها ما يختص به بحثنا، وهو حكم الرضا بالكفر والرضا عن الكفار، على النحو التالي:

أولاً: مفهوم البراء.

أ- **البراء لغة:** مصدر برأ ، وهو التباعد من الشيء ومزايلته [٢] .

ب- **البراء اصطلاحاً:** يعرّف البراء بأنه: هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار، فالبراء من الكفار معناه معاداتهم والبعد عن موالاتهم بأي شكل من الأشكال سواء بالأقوال أو الأفعال أو النوايا [٣] .

ثانياً: حكم الرضا بالكفر.

الرضا بالكفر كفر[٤]، فمن رضي بالكفر أو حسّنه، كأن يقرّ الكافر على كفره، ويصحح ما هو عليه من الكفر، أو يقرّ بشرعيته وشرعية حكمه من غير إكراه ولا تقية معتبرة، أو يزعم أن

---

(١) الدر المنثور (١٠٠/٣)، تفسير القرآن العظيم (١٣٢/٣)، فتح القدير (٦٠/٢).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٢٣٦/١) ، مختار الصحاح (٣١/١).

(٣) انظر: الولاء والبراء للقحطاني، (ص٩٠).

(٤) هذه القاعدة لا يجوز أن تُحمل على الاعتراف بوجود كفار أهل الكتاب في كنف الدولة الإسلامية، وما لهم من حقوق، وما عليهم من واجبات قد بينتها الشريعة الإسلامية ؛ إذ إنّ هناك فرق بين بغض الكافر وعداوته وبين معاملته ودعوته إلى الإسلام، فالكافر لا يخلو من حالين: إما أن يكون حربياً، فهذا ليس بيننا وبينه إلا القتال وإظهار العداوة والبغضاء له، وإما ألاّ يكون بمحارب للمسلمين ولا مشارك للمحاربين، فهذا إما أن يكون ذمياً أو مستأمناً أو بيننا وبينه عهد، فهذا يجب مراعاة العهد الذي بيننا وبينه، فيحقن دمه ولا يجوز التعدي عليه، وتؤدى حقوقه إن كان جاراً، ويزار إن كان مريضاً، وتجاب دعوته بشرط دعوته للإسلام في كل هذه الحالات، وعدم الحضور معه في مكان يعصى الله فيه، وبغير هذين الشرطين لا يجوز مخالطته والأنس معه، فصيانة الدين والقلب أولى وأحرى، وهذه الأحكام فصّلها قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة:٨-٩].

جميع الناس من يهود أو نصارى أو غيرهم من ملل الكفر سيدخلون الجنة كأهل التوحيد والإسلام؛ أو أحب الكافر لكفره؛ كفَرَ بذلك كفراً ظاهراً وباطناً وإن زعم بلسانه أنه من المسلمين.

والعلّة في كفره أنه رضي عن مالا يُرضي الله، وأحب ما كرهه الله، وحسَّن ما قبحه الله، وأحلّ ما حرّم الله، وهذا عين الكفر البواح [1].

والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠].

قال القرطبي: " إنكم إذاً مثلهم: من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية " [2].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمهم الله تعالى: " إن معنى الآية على ظاهرها، وهو أن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فجلس عند الكافرين المستهزئين من غير إكراه ولا إنكار ولا قيامٍ عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره فهو كافر مثلهم، وإن لم يفعل فعلهم؛ لأنّ ذلك يتضمن الرضى بالكفر، والرضى بالكفر كفر .

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضي بالذنب كفاعله، فإن ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يُقبل منه؛ لأن الحكم على الظاهر وهو قد أظهر الكفر فيكون كافراً " [3].

ويقول الطبري رحمه الله: " وقد نزَّل عليكم أنكم إن جالستم من يكفر بآيات الله، ويستهزئ بها وأنتم تسمعون آيات الله يُكفر بها، ويُستهزأ بها، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله فقد أتيتم من معصية الله نحو الذي أتوه منها، فأنتم إذاً مثلهم في ركوبهم معصية الله " [4].

فإن كان المجلس يمارس فيه الكفر، فهو كافر مثلهم، وإن كان المجلس يُمارس فيه المعاصي التي هي دون الكفر، فهو عاص ليس بكافر، فمدار الحكم على ما يُدار ويحصل في المجلس

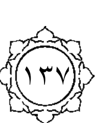
---

(١) انظر: موقع الشيخ أبو بصير الطرطوسي، مقال بعنوان "قواعد في التكفير"، http://www.altartosi.com، بتاريخ ٢٠١٢/١١/٢٥م.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٤١٨/٥).

(٣) مجموعة التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، راجعه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، حققه وخرّج أحاديثه: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد-الطائف، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، (٦٧/١).

(٤) جامع البيان، (٣٢٠/٩).



ومن الأدلة كذلك على أن الراضي بالشيء كفاعله، قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

جاء في التفسير: أن بني إسرائيل لما وقعت في المعاصي، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم و وآكلوهم وشاربوهم، فضرب الله بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داوود وعيسى ابن مريم، قال ابن عباس: " خالَطوهم بعد النهي في تجاراتهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض "[1].

فإذا كان هذا حال من يخالطهم ويجالسهم بعد أن ينهاهم وينكر عليهم، فما يكون القول فيمن يخالطهم ولا ينهاهم، ولا ينكر عليهم، لا شك أنه أشد جرماً وظلماً، وأولى باللعن والطرد من رحمة الله.

- **وفي السنة** صح في الحديث الذي يرويه عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **(مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّتِهِ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ فِي أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ لَيْسَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ)**[2].

فقوله ﷺ: " وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل "؛ لأنه ليس وراء إنكار القلب سوى الرضى والإقرار، لذا ينعدم مطلق الإيمان .

قال ابن تيمية: " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون تارة بالقلب، وتارة باللسان، وتارة باليد، فأما القلب فيجب بكل حال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن "[3].

و قيل لابن مسعود: "من ميت الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً"[4].

وكذلك قوله: ﷺ: **(إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ شَهِدَهَا وأَنْكَرَهَا فَهُو كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا ورَضِيَهَا كَمَنْ شَهِدَهَا)**[5].

---

(١) المصدر السابق (٤٨٩/١٠)، الدر المنثور للسيوطي (١٢٦/٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب باب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الإِيمَانِ وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، (ص٥١/ح٥٠).

(٣) مجموع الفتاوى، (١٢٧/٢٨)

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، (ج٤/ص٢١٨/ح٤٣٤٧)، قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (حسن)، (ج٢/ص٢٢٨/ح٢٣٢٣).

فمردّ الأمر في هذا الجانب إلى النية وما ينعقد في النيات، كما جاء في الحديث النبوي: **(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ...)** [1] الحديث.

وقال ﷺ: **(مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ)**[2]؛ فمن لا تسره الحسنة، ولا تسوؤه السيئة لا يكون مؤمناً إيماناً كاملاً.

قال ابن تيمية: " فإن لم يكن مبغضاً لشيء من المحرمات أصلاً، لم يكن معه إيمان أصلاً "[3].

أما في السيرة: فقد ورد أن خالد بن الوليد لما وصل إلى العرض في مسيره إلى أهل اليمامة لما ارتدوا، قدّم مائتي فارس، وقال: من أصبتم من الناس فخذوه، فأخذوا "مجاعة" في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه، فلما وصل إلى خالد، قال له: يا خالد، لقد علمت أني قدمت على رسول الله ﷺ في حياته فبايعته على الإسلام، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس، فإن يكُ كذاباً قد خرج فينا فإن الله يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام:١٦٤].

فقال: يا مجاعة، تركت اليوم ما كنت عليه أمس، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه، وأنت أعز أهل اليمامة، وقد بلغك مسيري، إقراراً له ورضاء بما جاء به، فهل لا أبيت عذراً، وتكلمت فيمن تكلم، فقد تكلم ثمامة فرد وأنكر، وتكلم اليشكري، فإن قلت أخاف قومي، فهلاّ عمدت إليّ أو بعثت إليّ رسولاً؟

فقال: إني رأيت يا ابن المغيرة أن تعفو عن هذا كله؟

فقال خالد: قد عفوت عن دمك ولكن في نفسي حرج من تركك[4].

فانظر كيف أن خالد بن الوليد رضي الله عنه اعتبر مجاعة راضياً ومقراً بأمر مسيلمة الكذاب، وأنه بذلك قد غيّر وبدّل عما كان عليه من إسلام، لمجرد بقائه في سلطان مسيلمة من غير إكراه ولا إنكار أو ضرورة، علماً أن مجاعة لم يتفوه بكلمة تنمّ عن رضاه بأمر مسيلمة الكذاب !

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، (ج١/ص٦/ح١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الفتن، بَاب مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الْجَمَاعَة، (ج٤/ص٣٨/ح٢١٦٥)، قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٣) مجموع الفتاوى (٤١/٧).

(٤) انظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى الكلاعي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، (١١٩/٢)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد الدِّيار بَكْري، دار صادر– بيروت، (٢١١/٢).

وفي ذلك يقول سيد قطب ﷺ: "ومجرد الاعتراف بشرعية منهج أو وضع أو حكم من صنع غير الله، هو بذاته خروج من دائرة الإسلام "[1].

فإذا علم ذلك كله، فليتّقِ الله من يرضى بالدساتير الوضعية التي لا تحكّم شرع الله فيها، وتقرّ احترام الحريات، وحتى وإن كانت هذه الحريات تعني التطاول على ذات الله ﷻ والارتداد عن الدين الإسلامي والاستخفاف به بحجة حرية التعبير والرأي والفكر.

يقول الله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الأنفال:٢٥]، قال ابن عباس ﷺ: " أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم العذاب"[2].

ثالثاً: القرائن الدالة على الرضا بالكفر.

قبل الحديث عن القرائن الدالة على الرضا بالكفر والتي تودي بصاحبها للكفر، لا بد لنا من بيان العلاقة بين الظاهر والباطن، فقد دلّت النصوص الشرعية على أن الظاهر فرع عن الباطن ودليل عليه، وأن كلاً منهما يؤثر ويتأثر بالآخر.

ومن الأدلة على هذه العلاقة المتبادلة بين الظاهر والباطن، الحديث الذي يرويه النعمان بن البشير ﷺ فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**)[3].

فدلّ الحديث على أن صلاح الظاهر وكذلك فساده ناتج عن صلاح القلب وفساده، كما أن صلاح الظاهر دليل صادق على صلاح الباطن، وفساد الظاهر يعتبر دليلاً على فساد الباطن.

ومن الأدلة أيضاً على علاقة الظاهر بالباطن وأن الظاهر مرآة للباطن، قوله ﷺ: (**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأيُّ قلبٍ أُشرِبها نُكِتَ فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة**

---

(١) في ظلال القرآن، (٢٠٧٦/٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٨/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٣٩١/٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، (ج١/ص٢٠/ح٥٢).

ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرْبَادًّا[١] كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا[٢] لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه)[٣].

فانظر كيف أنّ من لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً فإن قلبه ميت، يعلوه سواد الفتن والذنوب، مثله كمثل بقعة شديدة السواد فإذا أضيفت إليها نكتة سوداء أخرى لا تكاد ترى أو تعرف من كثرتها، بخلاف قلب المؤمن فإنه حسّاسٌ تجاه السيئات والذنوب، وحين يشعر باقترافه لأدنى سيئة تراه يشتد عليه كربه وهمه فيسارع إلى التوبة والاستغفار.

لذا كان الصحابة – رضوان الله عليهم – أكثر الناس حساسية من الذنوب والخطايا، وما ذلك إلا لقوة إيمانهم وصفاء قلوبهم، فعن أنس ﷺ قال: **(وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُوبِقَاتِ)**[٤].

القرائن الدالة على الباطن [٥].

الرضا محله القلب، وهو أمر باطني لا سبيل لنا إلى معرفته والحكم عليه إلا من خلال قرائن لفظية وعملية ظاهرة على الجوارح تدل عليه، فمن أتى بشيء منها كان دالاً على حقيقة باطنهِ وحقيقة ما وقر في قلبه، وهي:

١- القرائن اللفظية.

وهي أشد القرائن دلالة على حقيقة الباطن، فمنها ما يكون تعبيراً صريحاً عن الكفر البواح، كأن يعبر المرء عن نفسه من غير إكراه، بكلام صريح يدل على رضاه بالكفر واستحلاله له، فهذه لا تحتاج إلى تبينٍ أو تحرٍّ عن قصد صاحبها، إذ لا وجه لها غير الكفر، ولا مناص من الإمساك عن تكفير صاحبها، كالشاتم لله ولرسوله، ونحو ذلك.

ومنها ما يكون محتملاً ومتشابهاً يحتمل الكفر من وجه، ويحتمل غيره من وجه آخر؛ فهو ليس إلى الكفر قولاً واحداً وليس إلى دونه قولاً واحداً، ففي مثل هذه الحالة وما يُشابهها من حالات يتعين تحري قصد صاحبها؛ حيث لا يُجزم بكفر قائلها إلا بعد محاججته ومعرفة قصده من إطلاقه المريب والمشكل ذاك.

---

(١) **مُرْبَادًّا**: شدة البياض في سواد. (شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي– دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م، ٨/١٥)

(٢) **مُجخياً**: منكوساً. (المصدر السابق نفسه).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يأرز بين المسجدين، (ص٨٢/ح١٤٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب مَا يُتَّقَى مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، (ج٨/ص١٠٣/ح٦٤٩٢)

(٥) انظر: موقع الشيخ أبو بصير الطرطوسي، http://www.altartosi.com، بتاريخ ٢٥/١١/٢٠١٢م.

٢- القرائن العملية.

وهي أعمال الجوارح الظاهرة التي قد تدل على الباطن وما وقر فيه، وهي في كثير من الأحيان تكفي للحكم على باطن المرء من دون أن يُستنطق بعبارات الاستحلال أو الرضا القلبي؛ أي من دون إضافة القرائن اللفظية، ومن أمثلتها ما يلي:

أ- الاستهزاء بالضحك والطعن بالدين ولو كان على وجه اللعب .

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]

روي أن هذه الآية نزلت في غزوة تبوك، فبينما النبي ﷺ في تلك الغزوة وركبٌ من المنافقين يسير بين يديه، قالوا: يظن هذا أنه يفتح قصور الشام وحصونها، وكان رجل منهم لم يمالئهم في الحديث يسير مجانباً لهم، ولكنه ضحك لهم ولم ينكر عليهم، يقال له مخاشن بن حمير، فلمَّا نزلت هذه الآية تاب من نفاقه، وتسمّى بعبد الرحمن، ثم قال: " اللَّهُمَّ إني لا أزال أسمعُ آية تَقْرَعُني بها تقشعر الجلودُ، وتجِبُّ منها القلوبُ، اللهم اجعل وفاتي قتلاً في سبيلك، لا يقولُ أحدٌ: أنا غسلت، أنا كفنت، أنا دفنت"، فأصيب يوم اليمامة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعه[1].

فتأمل الخطر الذي أصاب هذا الرجل جراء ضحكه لهم، والذي اعتبر في نظر الشارع قرينة خفية على الرضى بصنيعهم، لولا أن تغمده الله برحمته وعفا عنه لكان من الخاسرين الهالكين.

قال ابن تيمية رحمه الله: " فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل كنا نخوض ونلعب، وبين الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدره بهذا الكلام، ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام " [2].

فانظر كيف اعتبر شيخ الإسلام أن الاستهزاء الظاهر لا يصدر إلا ممن شرح صدره بهذا الاستهزاء، وأنه قرينة دالة على انتفاء مطلق الإيمان من القلب، ولو كان فيه إيمان لمنعه عن ذلك.

وقال رحمه الله **في موضع آخر:** " وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسله كفر، فالسب المقصود بطريق الأولى، وقد دلّت هذه الآية على أن كل من تنقّص رسول الله ﷺ جاداً أو هازلاً فقد كفر " [3].

---

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي النعماني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، (١٤٠/١٠)، الدر المنثور (٢٣١/٤)، تفسير القرطبي (١٩٩/٨).

(٢) مجموع الفتاوى، (٢٢٠/٧).

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول، (٣١/١).



قال أبو بكر بن العربي(١): " فإن الهزل بالكفر كفر، لا خلاف فيه بين الأمة " (٢).

ومما يدلّ على أن الطعن في الدين والرضا بذلك عينُ الكفر، قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾ [التوبة:١٢]، قال ابن تيمية: " فثبت أن كل طاعن في الدين فهو إمام في الكفر " (٣).

وقال القرطبي ﵀: " استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في الدين؛ إذ هو كافر؛ والطعن أن ينسب إليه ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين، روي أن رجلاً قال في مجلس علي ﵁: ما قُتل كعب بن الأشرف إلا غدراً، فأمر عليّ بضرب عنقه... قال علماؤنا: هذا يقتل ولا يستتاب إن نسب الغدر للنبي ﷺ؛ لأن ذلك زندقة"(٤).

فدل على أن كل من استهزأ بالله وآياته ورسوله وطَعَن في دين الإسلام، ولو على وجه الخوض واللعب لا الجد، أو رضي بهذا الاستهزاء والطعن ولم ينكره، فهو كافر في الظاهر والباطن، واستهزاؤه قرينة دالة على فساد باطنِه، وإن لم يعترف بلسانه أنه يستحل ما بدا منه من استهزاء، وأنه فعل ما فعل على وجه الخوض واللعب لا الجد والاعتقاد، فلو كان باطنه فيه إيمان لمنعه من الاستهزاء بدين الله على أي وجه من الأوجه.

ب- إظهار الكفر من غير إكراه ولا تقيّة مُلزمة.

كما في قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل:١٠٦].

فدل هذا على أن كل من أظهر الكفر البواح من غير إكراه ولا تقية مُلزمة فقد شرح بالكفر صدراً، سواء أقر بذلك أو لم يقر.

---

(١) **أبو بكر بن العربي:** هو الحافظ المستبحر، أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد، المعروف بابن العربي الأندلسي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٤٦٨هـ، وكان من أهل التفنن في العلوم والجمع لها، مقدماً في المعارف كلها، متكلماً في أنواعها، حريصاً على أدائها ونشرها، له مصنفات عديدة منها أحكام القرآن وعارضة الأحوذي في شرح الترمذي وأمهات المسائل وغيرها من الكتب، وتوفي سنة ٥٤٣هـ. (انظر: وفيات الأعيان (٤/٢٩٦-٢٩٧)، سير أعلام النبلاء (٢٠/١٩٧-٢٠٠)).

(٢) أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، (٢/٥٤٣).

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول، (١/١٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، (٨/٨٢) بتصرف.



قال ابن تيمية ﵀: " فإنه جعل كل من تكلم بالكفر من أهل وعيد الكفار إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾؛ قيل: وهذا موافقٌ لأولها فإنه مَنْ كَفَرَ من غير إكراه، فقد شرح بالكفر صدراً، وإلا ناقضَ أولُ الآيةِ آخرَها، ولو كان المراد بمن كفر هو الشارح صدره وذلك يكون بلا إكراه، لم يستثنِ المكرَه فقط بل كان يجب أن يستثني المكرَه وغير المكرَه إذا لم يشرح صدره، وإذا تكلم بكلمة الكفر طوعاً فقد شرح بها صدراً وهي كفر "[1].

فاعتبر من يتكلم بالكفر طوعاً من غير إكراه، قرينة دالة على كفر الاعتقاد وفساد الباطن وهو انشراح الصدر بالكفر والرضا به.

ولكن يجب أن يُتنبّه إلى قضية هامة وهي أنه ليس كل إكراه مُلجِئٌ للكفر، وهذا إنما يتحدد بنوع الاكراه الواقع على الشخص.

فالإكراه يأتي على ثلاثة أنواع، يختلف فيها حكم الواقع تحته، باختلاف شدة كل نوع عن الآخر، وتفصيله كالتالي:

- **أنواع الإكراه [2]:**

١. **الإلجاء:** حيث ينعدم الرضا والاختيار، وتنتفي الإرادة والقصد، وذلك بالوقوع تحت التعذيب الشديد أو نحو ذلك، وهذه الحالة هي التي نزلت فيها آية النحل: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل:١٠٦].

جاء في التفسير أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر هو وقوم كانوا أسلموا ففتنهم المشركون عن دينهم، فعذّبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبيّ ﷺ فقال النبيّ ﷺ: كَيْفَ تَجدُ قَلْبَكَ ؟ قال: مطمئناً بالإيمان، فقال له عليه الصلاة والسلام: فإنْ عادُوا فَعُدْ[3][4].

فدل أن هذا النوع من الإكراه يلجأ معه المسلم إلى النطق بكلمة الكفر دون أن يشرح بها صدراً، وإنما ينطقها بغية دفع الأذى عن نفسه وخشية الهلاك تحت العذاب الشديد.

---

(١) مجموع الفتاوى، (٧/٢٢٠).

(٢) انظر: حد الإسلام وحقيقة الإيمان، الشيخ عبد المجيد الشاذلي، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، (ص٥٧٥-٥٧٦).

(٣) انظر: جامع البيان، (١٧/٣٠٤)، فتح القدير (٣/٢٣٧).

(٤) صححه الحاكم (٢/٣٥٦-٣٥٧) ، ووافقه الذهبي، وروى الحاكم أيضاً في المستدرك (٢/٣٨٩)، وقال: هذا "حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ، وقد ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢/٣١٢)، وقال: وهو مرسل ورجاله ثقات، وذكره من عدة طرق مرسلة، وقال: وهذه المراسيل يقوى بعضها ببعض.

٢. **التهديد:** حيث ينعدم الرضا، ولا ينعدم الاختيار تماماً، وهذه في مثل الحالة التي يختار فيها الإنسان أخف الضررين مثل حال شعيب ﷺ مع قومه إذ خيروه بين العودة إلى الكفر أو الخروج من قريتهم، يقول تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف:٨٨-٨٩]، فلا تجوز الاستجابة لمثل هذا الإكراه لهذا النص، ولقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:١٠].

٣. **الاستضعاف:** وهنا لا تعذيب ولا تهديد، ولكن المستضعف داخل تحت وضعٍ مفروضٍ عليه من غيره، كالمقيم في مكة بعد هجرة المسلمين عنها، فإذا كان دخوله تحت هذا الوضع لعجزه عن دفعه وعن الخروج منه، ولو أمكنه ذلك لفعل مهما كانت تضحياته وتكاليفه فهذا قد عفا الله عنه، أما إذا كان قادرًا على الدفع أو الخروج ولم يفعل هرباً من التضحيات وإيثاراً للعافية فهو يتحمل مسئولية بقائه، يقول ﷺ عن النوعين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

عن ابن عباس قال: " كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يَستَخْفون بالإسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم، قال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا، فاستغفروا لهم فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء:٩٧] فكتب إلى مَن بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم، فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة [(١)]، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ...﴾ الآية " [(٢)].

حدود الإكراه المعتبر:

يقول ابن تيمية: " تأملت المذاهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكره عليه، فليس الإكراه المعتبر في كلمة الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها، فإن أحمد قد نص في غير

(١) **قوله: "فأعطوهم الفتنة"**: هكذا جاء في جميع المراجع، إلا تفسير ابن كثير، فإن فيه: "فأعطوهم التقية"، وهو خطأ، والصواب ما في التفسير والمراجع، ومعناها: كفروا بعد إسلامهم، وهو المناسب لسياق الكلام والحادثة.

(٢) جامع البيان (١٠٣/٩)، فتح القدير (ص٥٨٤)، الدر المنثور (٦٤٦/٢).

موضع على أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بتعذيب من ضرب أو قيد ولا يكون الكلام إكراهاً"[1].

وهكذا يرى الإمام أحمد بن حنبل و يوافقه ابن تيمية -رحمهما الله- ، أن الإكراه في مقام التظاهر بالكفر سواء كان نطقاً بكلامه أو موالاة عملية للكفار، لا يعتبر إلا إذا وصل الإكراه حد التعذيب من ضرب أو قتل أو نحو ذلك مما يخشى فيه على هلاك نفسه، أما ما دون ذلك من طمع في رياسة أو ملك أو مال، فإنه لا يقبل منه.

لذا فإنه من المهم والواجب التفريق بين الإكراه وبين مشاعر الخوف التي تتزاوج مع مشاعر الرجاء والتعظيم فإن هذه مشاعر عبادة، كما أنه يجب أن نفرق بين الاستضعاف وبين الهزيمة الداخلية، والاستكانة للعدو والركون إليه وفقدان الثقة في الله وترك التوكل عليه [2].

ذلك أن الإنسان يملك في أحلك الظروف قوة عظيمة هي قوة الرفض بقلبه، وهذه القوة سماها الرسول العظيم جهاداً، حين قال ﷺ في الحديث: **(مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّتِهِ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ فِي أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ لَيْسَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ)**[3].

فجعل عليه الصلاة والسلام إنكار المنكر بالقلب باب من أبواب الجهاد التي لابد وأن يطرقها كل من في قلبه حبة خردل من إيمان، في حال عجزه عن الجهاد بيده أو لسانه وذلك أضعف الإيمان.

وقال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ﷺ: " **وبحسب امرئ يرى منكراً لا يستطيع أن يغيره أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره** " [4]، ودلالة الكره: الاعتزال وعدم المشايعة بالعمل، وهذا عينُ جهاد القلب وإنه لجهاد له أثره الواقع في حياة الناس.

وقد يلجأ المسلم إلى التقية[5] كذلك في حال الخوف من وقوع الأذى عليه، فيتظاهر ببعض عبارات الكفر أو المولاة للمجرمين بشرط أن يلتزم المرء بالقدر الذي يدفع عنه الأذى

---

(١) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، (٥/٤٩٠).

(٢) انظر: حد الإسلام وحقيقة الإيمان، (ص٥٧٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الإِيمَانِ وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، (ج٥١/ح٥٠).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، (ج١٠/ص٧١/ح٧١٨٣)، قال المحقق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد: إسناده رجاله موثقون.

(٥) **التقية**: مخالطة الناس فيما يعرفون، وترك ما ينكرون حذراً من غوائلهم ؛ فإن إظهار الحق إذا قضى إلى التهلكة يكون منهياً عنه، فتجب التقية. (انظر: معجم الفروق اللغوية، (ص٤٨٩-٤٩٠)).

والضرر من غير توسع ولا زيادة، وأن يكون الضرر لا يندفع إلا بتلك الكلمات؛ لأن هذه الصورة من صور الإكراه التي يُقيل الله تعالى فيها العثرات، لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران:٢٨].

قال ابن كثير ﷺ: " وقوله تعالى: " إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً، أي من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما روى البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: " **إنا لنكشر**[١] **في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم** " [٢]، وقال ابن عباس: ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان، وقال الحسن: التقية إلى يوم القيامة " [٣].

وبيّن ابن جرير الطبري رحمه الله شروط استعمال التقية فقال: " إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً: إلا أن تكونوا في ظلهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تُشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم "[٤] .

كما يجوز للمسلم أن يتخذ التقية سبيلاً لدفع نكاية العدو، أو لتحقيق مصلحة للمسلمين، كما حصل للصحابة لما انتدبهم النبي ﷺ لقتل طاغية اليهود كعب بن الأشرف، وكان كعب يؤذي رسول الله ﷺ والمؤمنين، ويؤلب عليهم ويشبب في أشعاره بنساء المؤمنين، فندب رسول الله ﷺ المسلمين إلى قتله، فقال: من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله ؟ فانتدب رجال من الأنصار والأوس، وأذن لهم ﷺ أن يقولوا ما شاءوا من كلام يخدعونه به، وليس عليهم فيه جناح، فذهبوا إليه واستنزلوه من بيته ليلاً، وتقدموا إليه بكلام موهم التعريض برسول الله ﷺ فاطمأن إليهم، فلما استمكنوا منه قتلوه – لعنه الله – وجاؤوا في آخر الليل، وكانت ليلة مقمرة، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي، فأخبروه الخبر فدعا لهم [٥].

فانظر كيف أذِنَ النبي ﷺ للصحابة الكرام أن يتظاهروا بقدرٍ من الموالاة اللسانية بما يمكنهم من تنفيذ مهمتهم على الوجه المطلوب وينالوا من عدو الله، وعليه فإن التلفظ بكلمة الكفر في حال الإكراه المُلجِئ، أو عند استخدام التقية خوف وقوع الأذى والضرر الشديد أو تحقيقاً لمصلحة

(١) **لنكشِر**: بمعنى نبتسم، وأصلها من الكشر وهو ظهور الأسنان عند التبسم، (انظر: تهذيب اللغة (٨/١٠)، لسان العرب (١٤٢/٥)).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس، (ج٨/ص٣١/ح٦١٣١)

(٣) تفسير القرآن العظيم، (٣٠/٢).

(٤) جامع البيان، (٣١٣/٦).

(٥) انظر: الفصول في السيرة، ابن كثير، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ، ص١٤٣، الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال – بيروت، الطبعة الأولى، (ص٢١٩).

المسلمين، دون أن يشرح المرءُ بذلك صدراً فهو جائز ولا يُخرج المسلم من دينه، وماعدا ذلك فهو قرينة دالة على الرضا بالكفر ويؤدي بالمرء إلى الكفر الصريح.

ج- حصول الحرج وانتفاء الرضا بحكم الله وحكم رسوله.

إن حصول الحرج من التحاكم إلى حكم الله ﷻ، وحكم رسوله ﷺ وانتفاء الرضا بذلك، قرينة واضحة على الرضا بالكفر، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

قال ابن القيم رحمه الله: " أقسم ﷻ بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج، وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح، وتنفسح له كل الانفساخ، وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض "[(١)].

فدل على أن عدم التحاكم إلى الشريعة، وحصول الحرج، وانتفاء التسليم لها دليل على انتفاء الإيمان من القلب وكذب مدعيه، إذ لو كان صادقاً بدعوى الإيمان لرضي بشريعة الإسلام حكماً ولما أعرض عنها إلى سواها من شرائع الطاغوت، إذ إن الإيمان حافز لصاحبه بأن يرضى بحكم الله ورسوله وأن لا يختار عليه حكماً آخر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

قال ابن كثير: " يقسم بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة"[(٢)].

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨)﴾ [النور:٤٧-٤٨].

إذن من كان هذا حاله فلا ينفعه إيمانه ولو ادعى بلسانه ألف مرة أنه مؤمن وقد آمن بالله وبالرسول، بينما هو في واقع الحال يكذب ادعاءه هذا بإعراضه عن حكم الله وحكم رسوله[(٣)].

ولو كان مؤمناً صادق الإيمان كما يدعي؛ لقال سمعنا وأطعنا، وانقاد لحكم الله ورسوله، كما قال تعالى عن المؤمنين: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، (ص٤٣٠-٤٣١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٣٤٩/٢).

(٣) التحاكم إلى الرسول ﷺ كان في حياته بالتحاكم إلى شخصه الكريم، بينما التحاكم إليه بعد وفاته ﷺ يكون بالتحاكم إلى سنته الثابتة عنه.

فكان من لوازم الإيمان الاستجابة بالسمع والطاعة لحكم الله ورسوله إذا دعي المسلم إليه.

قال ابن تيمية: " فبيّن ﷻ أنّ من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين، وليس بمؤمن، وأن المؤمن هو الذي يقول: سمعنا وأطعنا، فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره، مع أن هذا ترك محض، وقد يكون سببه قوة الشهوة، فكيف بالنقص والسب ونحوه " (١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢].

قال ابن كثير: "فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر والله لا يحب من اتصف بذلك"(٢).

وقال الإمام أحمد: " نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣]، وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة ؟ الشرك، لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه " (٣).

وعليه فإن من يتولى عن طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ إنما هو من الكافرين الجاحدين لشريعة الإسلام العظيم، المعاندين لأمر الله وأمر رسوله الكريم.

د- التحاكم إلى الطاغوت(٤).

ويترتب على العدول عن التحاكم إلى شرع الله ﷻ، وانتفاء الرضا بحكمه ﷻ و حكم رسوله ﷺ، يترتب على ذلك التحاكم إلى الطاغوت والرضا بشرائعه.

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:٦٠].

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول، (ص٣٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٣٢/٢).

(٣) الصارم المسلول، (ص٥٦).

(٤) **الطاغوت:** فعلوت من الطغيان، والطغيان: مجاوزة الحد، وهو الظلم والبغي، فالمعبود من دون الله طاغوت، وقيلَ: الأَصْنامُ وقيلَ: الشَّيْطَانُ، وقيلَ: الكَهَنَةُ، وقيلَ: مَرَدَةُ أَهْلِ الكِتَابِ. (تاج العروس ٥٤٠/٢٢ ، لسان العرب ٤٤٤/٨) ، والمطاع في معصية الله والمُطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق – سواء كان مقبولاً خبره المخالف لكتاب الله أو مطاعاً أمره المخالف لأمر الله – هو طاغوت؛ ولهذا سمي من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت وسمى الله فرعون وعاداً طغاة. (انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٠-٢٠١)).

* **قال ابن القيم:** " والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ؛ فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته ". (إعلام الموقعين عن رب العالمين،(٤٠/١)).

يقول عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: " فمن خالف ما أمر الله به ورسوله ﷺ بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله، أو طلب ذلك اتباعاً لما يهواه ويريده، فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه، وإن زعم أنه مؤمن، فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك، وأكذبهم في زعمهم الإيمان لما في ضمن قوله: "يزعمون" من نفي إيمانهم؛ فإن "يزعمون" إنما يقال غالباً لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها وعمله بما ينافيها، يحقق هذا قوله: " وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ "؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة[(١)]، فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحداً " [(٢)].

فدلّ أن من يتحاكم إلى الطاغوت طواعية، ويعدل عن التحاكم إلى شرع الله تعالى رغم يُسر ذلك له فإن إيمانه الذي يدعيه ويزعمه بلسانه هو عبارة عن ادعاءٍ كاذب وزعم لا أصل له في القلب، إذ لو كان صادقاً بأنه مؤمن لما تحاكم طوعاً إلى الطاغوت وشرائع الطاغوت معرضاً عن شرع الله تعالى.

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ...**﴾ الآية: "إنّ من أصرح الأدلة في هذا: أن الله ﷻ في سورة النساء بّين أن من يريدون أن يتحاكموا إلى غير ما شرعه الله يتعجب من زعمهم أنهم مؤمنون، وما ذلك إلا لأن دعواهم الإيمان مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت بالغة في الكذب ما يحصل منه العجب... وبهذا يظهر أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله ﷻ على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم " [(٣)].

فالفطرة تقتضي عند الإنسان المؤمن أن يرجع في التحاكم إلى ما آمن به، وبالتالي إذا دعي إلى هذا الذي آمن به ليتحاكم إلى أمره وشرعه ومنهجه، كانت التلبية والاستجابة الكاملة هي البديهية الفطرية، وأما إذا أبى وصدّ فإنه قد خالف فطرته، وأنبأ ذلك عن كذبه في زعمه للإيمان [(٤)].

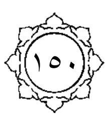
---

(١) قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، (ص٣٩٢).

(٣) أضواء البيان، (٢٥٩/٣) بتصرف.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، (٦٩٤/٢).



ويقول الشوكاني(١): " فيه تعجيب لرسول الله ﷺ من حال هؤلاء الذين ادعوا لأنفسهم أنهم قد جمعوا بين الإيمان بما أنزل على رسول الله وهو القرآن، وما أنزل على من قبله من الأنبياء، فجاؤوا بما ينقض عليهم هذه الدعوى ويبطلها من أصلها ويوضح أنهم ليسوا على شيء من ذلك أصلاً، وهو إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت وقد أُمروا فيما أنزل على رسول الله وعلى من قبله أن يكفروا به " (٢).

لذلك اشترط بل أوجب ﷻ الكفر بالطاغوت ليصحّ إيمان العبد ويكون ذلك دليلاً على صلاح الباطن والرضا بدين الإسلام، يقول ﷻ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

فهذه الآية الكريمة تدل على حقيقة تقوم عليها عقيدة أهل الإيمان، فالعروة الوثقى، هي كلمة التوحيد، لا إله إلا الله، وهذه الآية متضمنة لمعنى الشرط، أي الذي يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، فهذا الذي استمسك بالعروة الوثقى، وما يدل عليه مفهوم المخالفة، أن الذي لا يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، لم يستمسك بالعروة الوثقى.

هـ- طاعة المشركين فيما هو كفر.

ومن القرائن الظاهرة الدالة أيضاً على الرضا بالكفر، وانتفاء الإيمان من القلب، طاعة المشركين فيما هو كفر أكبر أو شرك؛ أو طاعتهم في استحلال الحرام أو تحريم الحلال، أو إبطال حقٍّ أو إحقاق باطل، أو طاعتهم لذاتهم كجهة لا يجوز أن يُردّ لها قول، فهذا النوع من الطاعة كفر أكبر تخرج صاحبها من الملة .

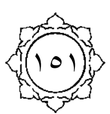
كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد:٢٥-٢٦].

فهؤلاء ارتدوا على أعقابهم كافرين، بعد أن آمنوا وتبين لهم سبيل الهدى، بسبب أنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر، فكان قولهم هذا قرينة ظاهرة تدل على فساد

---

(١) **الشوكاني:** هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان باليمن، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها ومات حاكماً بها، وكان يرى تحريم التقليد، له ١١٤ مؤلفاً، منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، إتحاف الأكابر، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، فتح القدير، وغيرها كثير. (انظر: الأعلام للزركلي، (٢٩٨/٦)).

(٢) فتح القدير، (ص٥٥٧).



اعتقادهم ورضاهم بالكفر في باطنهم؛ لأن المرتد لا يصح أن يقال عنه مرتد وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان، قال ابن كثير في قوله ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ** ﴾: " أي فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر " (١).

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ**﴾ [الأنعام:١٢١].

قال الشنقيطي رحمه الله في قوله: " وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ: هي فتوى سماوية من الخالق جل وعلا صرح فيها بأن مُتّبِع تشريع الشيطان، المخالف لتشريع الرحمن، مشرك بالله " (٢).

و- الركون إلى الكفار والظالمين.

سبق وأسلفنا أن الركون يأتي بمعنى الرضا، والركون هو الميل القلبي والرضا بأفعال الكفار والظالمين وموالاتهم، وهو قرينة دالة على فساد الباطن والرضا بالكفر، وحتى وإن كان قلبياً فإنه يترتب عليه مفاسد عظيمة تودي بصاحبها إلى النار.

يقول تعالى: ﴿**وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ**﴾ [هود:١١٣]، فإن الركون إلى الكفار والظالمين والطواغيت، والاطمئنان لهم والاستناد إليهم، يعني إقرارهم على المنكر الأكبر الذي هم عليه.

وقد قال الشوكاني عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ** ﴾ "إن هذه الآية خاصة بالمشركين، وإن النهي المذكور في الآية مراد به المشركون، وقد وصفوا بالظلم؛ لأن الشرك ظلم"(٣)، استناداً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ**﴾ [لقمان:١٣]، والصحيح أن الآية عامة للمشركين وغيرهم من أهل البدع والمعاصي، فإن الصحبة لهم قد تكون كفراً أو معصية في بعض الأحوال، إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة (٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، (٧/٣٢٠).

(٢) أضواء البيان، (٧/٥٤).

(٣) انظر: فتح القدير، (٢/٦٠١).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٩/١٠٨).

ز-موالاة المشركين ومظاهرتهم على المسلمين[1].

كذلك من القرائن العملية الظاهرة التي تدل على فساد الباطن والرضا بالكفر؛ موالاة الكفار، فمن والى الكفار والمشركين من دون المؤمنين فقد أتى بما يدل على نفاقه وفساد باطنه، وإن ادعى بلسانه أنه غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [المائدة:٨١].

قال ابن تيمية: " فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب "[2].

ومثله قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾[المائدة:٥١]، فإنه أخبر في تلك الآية أن متوليهم لا يكون مؤمناً، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً.

فينتفي اجتماع الإيمان والكفر، كما في حديث النبي ﷺ: **(لاَ يَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَالْكُفْرُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ...)** الحديث [3]، وعليه فإن وجود أحدهما في القلب يستلزم انتفاء الآخر ولابد.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ [آل عمران:٢٨]؛ فالنهي هنا معناه النهي عن اللطف بهم في المعاشرة، والميل إليهم وذلك لقرابةٍ أو صداقةٍ قبل الإسلام، واللطف عام في جميع الأزمان، وقد تكرر هذا في القرآن، ولا أدلّ عليه من قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

---

(١) **فَرّق بعض أهل العلم بين الموالاة والتولي،** فقالوا: **موالاة الكفار:** معناها المصانعة والمداهنة للكفار لغرض دنيوي مع عدم إضمار نية الكفر والردة عن الإسلام كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة عندما كتب إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ فمثل هذا يعتبر كبيرة من الكبائر، وقد استثني حاطب من ذلك لاعتبارات خاصة، مثل كونه من أهل بدر، وسبقه إلى الإسلام، وسلامة قصده، ولذلك عفا الله عنه، وبهذا فالموالاة ليست بكفر ينقل عن الملة، وهذا النوع له مظاهر معاصرة كالتشبه بهم في اللباس وفي الهيئة أو حضور أعيادهم وتهنئتهم بها، وغيرها من مظاهر الموالاة التي لا تعد كفراً ناقلاً عن الملة.

وأما التولي فهو: الدفاع عن الكفار وإعانتهم ونصرتهم بالمال والبدن والرأي والمشورة ولو بقلم أو كلمة، وهذا كفر صريح وخروج عن الملة كما جاءت بذلك الآيات، (انظر: الدرر السنية، (٨/٤٢٢)).

(٢) مجموع الفتاوى، (٧/١٧).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (ج١٤/ص٢٥١/ح٨٥٩٣)، قال شعيب الأرناؤوط: حسن.

﴿يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢]، والمحبة في الله والبغض في الله أصل عظيم من أصول الدين [(١)].

وقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩].

وغيرها كثير من الآيات التي تدل على نفاق من يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وعلى فساد باطنه، وانتفاء الإيمان من قلبه، فإن هذا من صور الرضا بالكفر وعن الكافرين.

وفيما يلي نورد صوراً من صور موالاة المسلمين للكفار.

أ- التشبه بهم والتزييّ بزيّهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والموالاة والموادّة وإن كانت متعلقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أعوَن على مقاطعة الكافرين ومباينتهم " [(٢)].

فالأصل في معاداة الكفار وبغضهم أن تكون ظاهرة لا مخفية مستترة، حفظاً لدين المسلمين، وإشعاراً لهم بالفرق بينهم وبين الكافرين حتى يقوى ويتماسك المسلمون ويضعف أعداء الملة والدين، والدليل على هذا قول الله ﷻ آمراً نبيه والأمة كلها بأن تقتدي بإبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء وأن تفعل فعله، حيث قال ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

فانظر كيف أنه قدّم البراء من الكافرين على البراءة من كفرهم لأهمية معاداة الكفار وبغضهم وأنهم أشد خطراً من الكفر نفسه، وهذا فيه إشارة إلى أن بعض الناس قد يتبرأ من الكفر والشرك ولكنه لا يتبرأ من الكافرين، ثمّ إنه لما أراد أن يبين وجوب بغضهم عبّر بأقوى الألفاظ وأغلظها فقال: (**كَفَرْنَا بِكُمْ**) لخطورة وعظم الوقوع في هذا المنكر، وأظهر العداوة بل وقدّمها على البغضاء لتأكّد وجوبها إلى قيام الساعة، حتى لو بلغ بنا التطور الحضاري مبلغه، فهذا أصل أصيل لا يزول ولا يتغير بتغير الزمان ولا المكان.

---

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ، (٩١/٣).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب– بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، (١٨٣/١).

قال الشيخ صالح الفوزان: " التشبّه بالكفار في الملبس والكلام وغيرهما يدلّ على محبة المتشبِّه للمتشبَّه به، ولهذا قال النبي ﷺ: **(من تشبه بقوم فهو منهم)**[1]، فيحرم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم ومن عاداتهم وعباداتهم وسمتهم وأخلاقهم، كحلق اللحى، وإطالة الشوارب، والرطانة بلغتهم إلا عند الحاجة، وفي هيئة اللباس، والأكل والشرب، وغير ذلك"[2].

ومما دلّ أيضاً على وجوب مخالفة الكفار وترك التشبه بهم، الحديث الذي رواه أبو هريرة فقال: قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ[3] فَخَالِفُوهُمْ)**[4]، فأَمْرُ النبي ﷺ بمخالفتهم، يقتضي أن يكون جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً للشارع، لأنه إن كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود، وإن كان الأمر بالمخالفة في تغيير الشعر فقط، فهو لأجل ما فيه من المخالفة.

وسواءَ كانت المخالفة للكفار لِعلّةٍ أو لغير عِلّة، فالأمر لا يخلو من وجود مصلحةٍ للمؤمنين، وهذه المصلحة لا تخرج عن شيئين:

أحدهما: أنّ نفس المخالفة لهم في الهدي الظاهر مصلحة ومنفعة لعباد الله المؤمنين، لما في مخالفتهم من المجانبة التي توجب المباعدة عن أعمال أهل الجحيم.

والثاني: أنّ نفس ما هم عليه من الهدي والخلق قد يكون مضراً أو منقصاً، فيؤمر بضده لما فيه من المنفعة والكمال، وما من أمر من أمورهم إلا مضرّ أو ناقص؛ لأن ما بأيديهم إما أعمال مبتدعة ومنسوخة فهي مُضِرّة، أو مالم يُنسَخ أصله فهو يقبل الزيادة والنقص، فمخالفتهم فيه بأن يشرع ما يحصّله على وجه الكمال، فإذاً المخالفة لهم فيها منفعة وصلاح لنا [5].

ب- السكنى في ديارهم والإقامة فيها وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين.

ومن صور موالاة الكفار الإقامة في بلادهم والسكنى في ديارهم، فإذا كان يقيم في بلد الكفر ولا يأمن على دينه ويخشى الافتتان فيه، فيجب عليه الفرار بدينه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

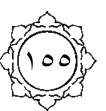
(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، (ج٤/ص٩٨/ح٤٠٣٣)، قال الألباني: حسن صحيح.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (ص٣٠٩).

(٣) **لا يصبغون:** أي لا يخضبون اللحية ولا يغيرون لون الشيب. (انظر: فتح الباري ٤٤٩/٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب الخِضاب، (ج٧/ص١٦١/ح٥٨٩٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب فِي مُخَالَفَةِ الْيَهُودِ فِي الصَّبْغِ، (ص٨٧٢/ح٢١٠٣).

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، (١٨٥/١).



تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

لذلك كان اعتزال الكفار والبراء منهم، من الشرائع التي فرضت على كل الأنبياء والرسل، فهذا نوح يقول الله تعالى له عن ابنه الكافر: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود:٤٦]، وهذا إبراهيم يتبرأ هو ومن معه من المؤمنين من أقوامهم وأقرب الناس إليهم، بل تبرأ من أبيه، فقال ﷻ على لسان نبيه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [مريم:٤٨]، وأصحاب الكهف اعتزلوا قومهم الذين كفروا حفاظاً على دينهم وتوحيدهم، قال ﷻ عنهم: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف:١٦].

ومن هنا حرم الله إقامة المسلم بين الكفار إذا كان يقدر على الهجرة، فلم يعذُر الله في الإقامة في بلاد الكفار إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة، وكذلك من كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم.

وعليه فإن السفر إلى بلاد الكفار محرم إلا عند الضرورة، كالعلاج والتجارة والتعليم للتخصّصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم، أو العمل في حال عدم توفر فرص العمل في بلاد المسلمين، فيجوز بقدر الحاجة، وإذا انتهت الحاجة وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين.

وفي هذه الحالة إذا كان يأمن على دينه في تلك البلاد وجب عليه أن يكون مظهِراً لدينه، معتزًّا بإسلامه، مبتعِداً عن مواطن الشرّ، حذِراً من دسائس الأعداء ومكائدهم[(١)].

ت- مشاركتهم في أعيادهم و مناسباتهم.

كذلك من مظاهر موالاة الكفار، مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها.

وقد وردت الأدلة في النهي عن مشاركة الكفار في أعيادهم في القرآن، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان:٧٢]؛ أي: من صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار، فكان المدح بتلك الصفة لمن ترك شهودها أو موافقتهم فيها[(٢)].

---

(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، (ص٣٠٩).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (١٣٠/٦)، الجامع لأحكام القرآن (٧٨/١٣).

ذلك أن أعياد المشركين تجمع بين الشبهة والشهوة فهي باطل، لا منفعة فيها في الدين، وهي على ما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها إلى ألم فصارت زوراً، فإذا كان المدح بكونهم عباد للرحمن بمجرد ترك شهودها فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عمل الزور، لا مجرد شهود(١).

و قال النبي ﷺ لما مر بالحِجْر: (**لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ المُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ**)(٢).

ففي الحديث إشارة إلى تحريم مشاركتهم في أعيادهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإذا كانت الشريعة قد جاءت بالنهي عن مشاركة الكفار في المكان الذي حل بهم فيه العذاب، فكيف بمشاركتهم في الإعمال التي يعملونها!"(٣).

ويتعلق بمشاركة المسلمين للكفار في أعيادهم أمران مهمان هما:

أ- تهنئة الكفار بالعيد:

قال ابن القيم ؒ: " أما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو: تهنأ بهذا العيد، ونحوه، فهذا إن سَلِمَ قائلُه مِن الكُفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يُهَنِّئَه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله وأشد مقتًا من التهنئة بشُرْب الخمر وقَتْل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثيرٌ ممَن لا قَدْرَ للدِّين عندَه يقع في ذلك، ولا يدري قُبحَ ما فعَل، فمَن هنَّأ عبدًا بمعصية أو بدعة أو كُفْر فقد تعرّض لِمقْت الله وسخطه " (٤).

فدلّ على حرمة مشاركة المسلم للمشركين في أعيادهم وتهنئتهم بها؛ لأن ذلك من باب الرضا بالكفر الذي هم عليه، والإقرار بالباطل الذي يعتقدونه ويمارسونه، وإن كان هو لا يرضى بهذا الكفر لنفسه، لكن يَحرم عليه أن يَرضى بشعائر الكفر أو يُهنئ بها غيره؛ فالله تعالى لا يرضى بذلك، يقول ﷻ: ﴿ **إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ** ﴾ [الزمر:٧]، وقد أُثر عن عمر بن الخطاب ؓ أنه قال: " **اجْتَنِبُوا أَعْدَاءَ اللهِ فِي عِيدِهِمْ**"(٥)؛ فمن يفعل ذلك فإنما يفتح على نفسه باب سخط الله وبغضه.

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، (١/٤٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصَّلاَةِ فِي مَوَاضِعِ الْخَسْفِ وَالْعَذَابِ،(ج١/ص٩٤/ح٤٣٣).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، (١/٢٦٧).

(٤) أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري و شاكر بن توفيق العاروري، دار رمادى – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، (١/٤٤١).

(٥) أخرجه البخاري في تاريخه الكبير، (ج٤/ص١٤/ترجمة١٨٠٤)، ومن طريقه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب الجزية، باب كراهية الدخول على أهل الذمة في كنائسهم والتشبه بهم في يوم نيروزهم ومهرجانهم، (ج٩/ص٣٩٢/ح١٨٨٦٢)، وفي شعب الإيمان (ج١٢/ص١٨/رقم٨٩٤٠)، وحكم على إسناده بالضعف المحقق مختار أحمد ندوي في تحقيقه لشعب الإيمان.

ب- الهدية:

للهدية مكانة كبيرة في ديننا، لذلك فإن قضية الهدية بين المسلمين والكفار مسألة عقدية فقهية، تكلم فيها كثير من العلماء، على النحو التالي:

❖ **أولاً: حكم إهداء الكافر.**

يجوز للمسلم أن يُهدي للكافر والمشرك، بقصد تأليفه، وترغيبه في الإسلام، لاسيما إذا كان قريباً أو جاراً، فقد أهدى عمر ﷺ لأخيه المشرك في مكة ثوباً، فعن عبد الله ابن عمر ﵄ أن عمر بن الخطاب، رأى حُلّة سيراء عند باب المسجد، فقال: " يا رسول الله لو اشتريت هذه، فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك، فقال رسول الله ﷺ: **(إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ)** ثم جاءت رسول الله ﷺ منها حلل، فأعطى عمر بن الخطاب ﷺ منها حلة، فقال عمر: يا رسول الله، كسوتنيها وقد قلت في حلة عطارد ما قلت ؟ قال رسول الله ﷺ: **(إني لم أَكْسُكَها لتلبسها)**؛ فكساها عمر بن الخطاب ﷺ، أخاً له بمكة مشركاً " [1].

قال النووي: " في هذا دليل لجواز صلة الأقارب الكفار والإحسان إليهم وجواز الهدية إلى الكفار " [2].

- **ضوابط جواز الإهداء للكافر.**

وعليه فإنه وإن كان يجوز للمسلمين إهداء الهدايا للكفار، فلا بد أن يندرج ذلك تحت ضوابط مهمة، نذكر منها:

١. أن لا يُهْدِي للكافر في يوم عيد من أعياده، لأن ذلك يُعَدُّ إقراراً ومشاركة في الاحتفال بالعيد الباطل، ثم إنه معاونة على الإثم والعدوان [3].

٢. ألا تكون الهدية مما يُستعان به على الاحتفال كالطعام والشموع ونحو ذلك، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " ومن أهدى من المسلمين هدية في هذه الأعياد مخالفة للعادة في سائر الأوقات لم تقبل هديته خصوصاً إن كانت الهدية مما يستعان به على التشبه بهم مثل إهداء الشمع ونحوه في الميلاد وإهداء البيض واللبن والغنم" [4]، وقال الإمام الزيلعي الحنفي:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، بَابٌ يَلْبَسُ أَحْسَنَ مَا يَجِدُ، (ج٢/ص٤/ح٨٨٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزينة واللباس، باب تَحْرِيمِ اسْتِعْمَالِ إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَخَاتَمِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ عَلَى الرَّجُلِ وَإِبَاحَتِهِ لِلنِّسَاءِ وَإِبَاحَةِ الْعَلَمِ وَنَحْوِهِ لِلرَّجُلِ مَا لَمْ يَزِدْ عَلَى أَرْبَعِ أَصَابِعَ، (ص٨٥٧/ح٢٠٦٦).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٣٩/١٤).

(٣) انظر: فتاوى موقع الإسلام سؤال وجواب، بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد، رقم الفتوى: ٨٥١٠٨، رابط الموقع على الشبكة العنكبوتية http://islamqa.info/ar/ref/٨٥١٠٨، بتاريخ ٢٠١٢/١٢/١٨م.

(٤) مجموع الفتاوى (٣١٩/٢٥).

"والإعطاء باسم النيروز والمهرجان لا يجوز، أي الهدايا باسم هذين اليومين حرام، بل كفر"[1].

٣. ألاّ يكون القصد من الهدية التودد إلى الكفار أو بسبب محبتهم وميل القلب إليهم، بل يكون الدافع من ورائها، تأليف قلوبهم على الإسلام، وتحبيب الدين إلى نفوسهم، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

٤. ألاّ يترتب على الإهداء إلى الكفار أو قبول هديتهم مفسدة ظاهرة كاستكبار الكفار واستعلائهم، أو تكون مبالغ فيها؛ لورود النهي عن التبذير، كما يجب ألاّ يترتب على الإهداء إلى الكفار تفويتٌ لمصلحة راجحة كسدّ حاجة المسلم المضطر؛ لأن تقديم الأهم فالأهم منهج شرعي [2].

❖ **ثانيًا: حكم قبول الهدية من الكافر.**

وقع الخلاف بين العلماء في هدية المشرك هل تقبل أم لا ؟ على قولين:

أ- **الأول: جواز قبول الهدية من الكافر.**

من قال بجوازها، نظرَ إلى أن المقصد من الهدية تأليفَ قلبِ الكافر وترغيبه في الإسلام، واستدل بقبول النبي ﷺ هدايا بعض الكفار، ومن ذلك:

- عن أبي حميد الساعدي، قال: **(غزونا مع النبي ﷺ تبوك، وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء، وكساه بُرْداً، وكتب له ببحرهم)**[3].
- وعن العَبَّاس بن عبد المطلب **(أن فَرْوَةَ بْنَ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ أهدى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ)**[4].

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، عثمان بن علي فخر الدين الزيلعي الحنفي، المطبعة الكبرى الأميرية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٣ هـ، (٦/٢٢٨).

(٢) انظر: موقع إمام المسجد، http://www.alimam.ws/ref/١٠٣٣، بتاريخ ٢٠١٢/١٢/١٨م.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب إِذَا وَادَعَ الْإِمَامُ مَلِكَ الْقَرْيَةِ هَلْ يَكُونُ ذَلِكَ لِبَقِيَّتِهِمْ، (ج٤/ص٩٤/ح٣١٦١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، (ص٧٣٧/ح١٧٧٥).

ب-الثاني: منع قبول الهدية من الكافر.

ومن قال بمنعها، استدل بحديث عياض بن حمار، (أنه أهدى للنبي ﷺ هدية له أو ناقة، فقال النبي ﷺ: **(أسلمت؟)**، قال: لا، قال: **(فإني نهيت عن زبد المشركين**[1]**)** [2].

وفي الجمع بين هذه الأحاديث أقوال منها:

١. يُحمل القبول على من كان من أهل الكتاب، والردّ على من كان من أهل الأوثان، وهذا فيه نظرٌ أيضاً؛ لأن البخاري أورد في صحيحه حديثاً استنبط منه جواز قبول هدية الوثني، فعن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبي ﷺ: **(هل مع أحدٍ منكم طعام؟)**، فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعجن، ثم جاء رجل مشرك، مشعان طويل، بغنم يسوقها، فقال النبي ﷺ: **(بيعاً أم عطية، أو قال: أم هبة؟)**، قال: لا بل بيع...) [3] الحديث، قال ابن حجر: " وفيه فساد قول من حمل ردّ الهدية على الوثني دون الكتابي؛ لأن هذا الأعرابي كان وثنياً" [4].

فسؤال النبي ﷺ للرجل إن كان ما ساقه من الغنم عطية؛ دليلٌ على جواز قبول الهدية من الكافر، وإلا لم يكن رسول الله ليخيّره بين العطية والبيع.

٢. الامتناع فيما أُهدي له خاصةً، والقبول فيما أُهدي للمسلمين، وهذا فيه نظر؛ لأن من جملة أدلة الجواز ما وقعت الهدية فيه له خاصة.

٣. القول بالنسخ، فأحاديث المنع متأخرة على أحاديث القبول، ومنهم من قال بالعكس؛ ولا يخفى أن النسخ لا يثبت بمجرد الاحتمال.

٤. يمتنع ذلك لغير النبي ﷺ من الأمراء، وأن ذلك من خصائصه، لأنه مأمون مِنه ما لا يؤمن مِن أكثر الأمراء بعدَه [5].

---

(١) **زبد المشركين:** يعني هداياهم. (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (١١/٢)).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفرائض، باب فِي الإِمَامِ يَقْبَلُ هَدَايَا الْمُشْرِكِينَ، (ج٣/ص١٣٨/ح٣٠٨٩)، والترمذي في سننه، كتاب أبواب السير عن رسول الله ﷺ، باب فِي كَرَاهِيَةِ هَدَايَا الْمُشْرِكِينَ، (ج٣/ص٢٣٣/ح١٥٧٧)، قال الترمذي (هذا حديثٌ حسنٌ صحيح).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب قَبُولِ الْهَدِيَّةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، (ج٣/ص١٦٣/ح٢٦١٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَفَضْلِ إِيثَارِهِ، (ص٨٥١/ح٢٠٥٦).

(٤) فتح الباري، (٢٣٢/٥).

(٥) انظر: نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث – مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، (٨/٦).

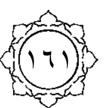
٥. الامتناع في حقّ من يريد بهديته التودد والموالاة، والقبول في حق من يُرجى بذلك تأنيسه وتأليفه على الإسلام، فقَبِل النبي ﷺ ممن طمع في إسلامه، وتأليفه لمصلحة يرجوها للمسلمين، وكافأ بعضهم، وردّ هدية من لم يطمع في إسلامه ولم يكن في قبولها مصلحة؛ لأن الهدية توجب المحبة والمودة، ولعل هذا أقوى الأقوال وأرجحها في المسألة [(١)].

والشاهد من جميع ما تقدم من أدلة: أن الرضا أمر باطني يُعرف أحياناً من منطوق اللسان، أو من خلال قرائن عملية ظاهرة تدل عليه، تتفاوت فيما بينها قوة وضعفاً من حيث الدلالة على ما وقر في القلب، وإن لم يصرح بلسانه عما ينم عن اعتقاده وما وقر في قلبه، إذ قرائن الحال والفعل تكون أحياناً أبلغ في الدلالة من المنطوق والقول، وهذا لا خلاف عليه عند السلف الذين يقولون بقاعدة: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان.

والرضا وإن كان قلبياً، إلا أنه إذا وضع في غير الموضع الذي يرضاه الله ورسوله ﷺ فقد يؤدي بالعبد إلى المهالك، فيجب أن يحذر العبد من تخطّي الحدود التي حدّها الإسلام في التعامل مع الكفار لتحقيق معنى البراءة منهم، وعدم التشبه بهم أو موالاتهم أو مشاركتهم شعائرهم أو مجالسهم أو الركون إليهم أو طاعتهم فيما هو كفر، لأن ذلك كله يجلب محبة الكفار ومودتهم، وقد يقع المسلم في الكفر دون أن يشعر؛ لذا فالمؤمن الفطن هو من استبرأ لدينه وعرضه، وابتعد عن مداخل الشيطان من شبهات أو شهوات، فحقق معنى الولاء والبراء الصحيح في الإسلام.

---

(١) انظر: فتح الباري، (٥/٢٣١).



المبحث الرابع
ثمرات الرضا اليانعة

المبحث الرابع: ثمرات الرضا اليانعة.

للرضا ثمرات إيمانية كثيرة وافرة تترتب عليه، يرتفع بها الراضي إلى أعلى المنازل، فيصبح راسخاً في يقينه لا تهزّه المِحَنُ والخُطوب، ثابتاً في اعتقاده، وصادقاً في أقواله وأعماله وأحواله، ومن الثمرات التي يجنيها المسلم ويرتشف حلاوتها من وراء ذلك، ما يلي:

أولاً: إن أعظم ثمرة يمكن أن يجنيها العبد من رضاه عن ربه ﷻ في جميع الحالات هو رضا ربه عنه، فإذا رضي عنه بالقليل من الرزق، رضي ربه عنه بالقليل من العمل، وإذا رضي عنه في جميع الحالات واستوت عنده، وجده أسرع شيء إلى رضاه إذا ترضاه وتملقه، ورضا الله ﷻ من أعظم ما يتمتع به المؤمن الصادق.

ثانياً: أن الرضا يوجب له الطمأنينة، وبرد القلب، وسكونه وقراره عند اضطراب الشُّبَهِ والتباس القضايا وكثرة الوارد، فيثق القلب بموعود الله ورسوله ﷺ، ولسان حالهم يقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب:٢٢]، أما السخط فيوجب اضطراب قلبه، وريبته وانزعاجه، وعدم قراره، فيبقى قلقاً ناقماً ساخطاً متمرداً، فلسان حاله يقول: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾ [الأحزاب:١٢]، كما أن الرضا ينزل عليه السكينة التي لا أنفع له منها، ومتى نزلت عليه السكينة : استقام، وصلحت أحواله وصلح باله؛ فمن أعظم نعم الله على عبده : تنزّل السكينة عليه، ومن أعظم أسبابها: الرضا عنه في جميع الحالات [(١)].

ثالثاً: سلامة القلب من الغش والغلّ والحقد، وهذا قرين الرضا، وكلما كان العبد أشد رضاً كان قلبه أسلم، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم، قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

رابعاً: أن الرضا بالمقدور من سعادة ابن آدم، وسخطه من شقاوته، كما جاء في حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ : **قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَتُهُ اللهَ، وَمِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللهُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللهِ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى الله ﷻ)** [(٢)].

خامساً: أن الرضا يُوجِب له أن لا يأسى على ما فاته، ولا يفرح بما آتاه، فإذا تيقن أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، فإن ذلك من أفضل الإيمان، وقد كان من وصية

---

(١) انظر : مدارج السالكين، (١٧٨/٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، (ج٣/ص٥٤/ح١٤٤٤)، والحاكم في مستدركه، (ج١/ص٥١٨/ح١٨٥٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: (**... وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**) [1].

<u>سادساً:</u> أن من ملأ قلبه من الرضا بالقدر ؛ ملأ الله صدره غنى وأمناً وقناعة، وفرّغ قلبه لمحبته والإنابة إليه، والتوكل عليه، ومن فاته حظه من الرضا ؛ امتلأ قلبه بضد ذلك، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه ؛ فالرضا يفرغ القلب لله، والسخط يفرغ القلب من الله.

<u>سابعاً:</u> أن الرضا يثمر الشكر، الذي هو من أعلى مقامات الإيمان، بل هو حقيقة الإيمان، والسخط يثمر ضده، وهو كفر النعم وربما أثمر له كفر المنعم ؛ فإذا رضي العبد عن ربه في جميع الحالات : أوجب له ذلك شكره، فيكون من الراضين الشاكرين، وإذا فاته الرضا : كان من الساخطين، وسلك سبيل الكافرين.

<u>ثامناً:</u> أن الرضا ينفي عن الراضي آفات الحرص والكَلَب على الدنيا، وذلك رأس كل خطيئة، وأصل كل بليّة، وأساس كل رزية، فرضاه عن ربه في جميع الحالات ينفي عنه مادة هذه الآفات[2].

<u>تاسعاً:</u> أن الرضا يخرج الهوى من القلب، فالراضي هواه تبع لمراد ربه منه الذي يحبه و يرضاه، فلا يجتمع الرضا واتباع الهوى في القلب أبداً، وإن كان معه شعبة من هذا وشعبة من هذا، فهو للغالب عليه منهما [3]، وهذا كان حال موسى عليه السلام حين تعجّل المضي لربه سبحانه لشدة شوقه وحبه ومظنة رضا الله تعالى عنه، يقول ﷻ على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه:٨٤].

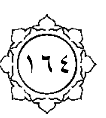
<u>عاشراً:</u> أن الرضا يخلص العبد من مخاصمة الرب تعالى في أحكامه وأقضيته، فإن السخط عليه مخاصمة له فيما لم يرض به العبد، وأصل مخاصمة إبليس لربه من عدم رضاه بأقضيته وأحكامه الدينية والكونية، وإنما ألحد من ألحد، وجحد من جحد ؛ لأنه نازع ربه رداء العظمة

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب، (ج٤/ص٢٤٨/ح٢٥١٦) وقال : " هذا حديث حسن صحيح ".

(٢) انظر : مدارج السالكين، (٢/٢١٧-٢١٨).

(٣) انظر: المصدر السابق، (٢/٢١٩).



وإزار الكبرياء، ولم يذعن لمقام الجبروت، فهو يعطل الأوامر وينتهك المناهي، ويتسخط المقادير، ولم يذعن للقضاء [١].

<u>**الحادي عشر:**</u> أن الرضا يغلق باب البدعة، وعدم الرضا يفتح ذلك الباب، ولو تأملت بدع الروافض، والنواصب، والخوارج؛ لرأيتها ناشئة من عدم الرضا بالحكم الكوني، أو الديني، أو كليهما.

<u>**الثاني عشر :**</u> أن الرضا يفتح باب حسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس ؛ فإن حسن الخلق من الرضا، كما أنه يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، يقول ﷺ: **(إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدِّدَ لَيُدْرِكُ دَرَجَةَ الصَّوَّامِ الْقَوَّامِ بِآيَاتِ اللَّهِ ﷻ لِكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ)** [٢].

<u>**الثالث عشر:**</u> أن الرضا يثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال، وطمأنينة القلب عند كل مفزع مهلع من أمور الدنيا، وبرد القناعة، واغتباط العبد بقسمه من ربه، وفرحه بقيام مولاه عليه، واستسلامه لمولاه في كل شيء، ورضاه منه بما يجريه عليه، وتسليمه له الأحكام والقضايا، واعتقاد حسن تدبيره، وكمال حكمته، ويذهب عنه شكوى ربه إلى غيره وتبرمه بأقضيته؛ فيرضى بأي حالٍ جعله الله عليها ؛ فالإيمان بالقدر، والرضا به يذهب عن العبد الهم والغم والحزن [٣].

قال عمر بن عبد العزيز ؒ: " **أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القدر** " [٤].

ويقول ابن مسعود ؓ: " **الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيهما ركبت، إن كان الفقر فإن فيه الصبر، وإن كان الغنى فإن فيه البذل** " [٥].

وقال عمر بن الخطاب ؓ: " **ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت : من شدة أو رخاء**"[٦].

---

(١) انظر: لا تحزن، د. عائض القرني، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، (ص٢٨٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (ج١١/ص٦٢٨/ح٧٠٥٢)، وقال شعيب الأرنؤوط : "حديث حسن"، وابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب ذكر رجاء نوال المرء بحسن الخلق درجة القائم ليله الصائم نهاره، بنحوه، (ج٢/ص٢٢٨/ح٤٨٠) وقال الأرنؤوط: "حديث صحيح ".

(٣) انظر : مدارج السالكين، (٢/٢٢٩).

(٤) فتح الباري، ابن رجب الحنبلي، تحقيق : طارق بن عوض الله، دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، (٤٨/١).

(٥) مدارج السالكين، (٢/٢٣٠).

(٦) إحياء علوم الدين، (٤/٣٤٦).



الرابع عشر: أن الرضا يفرغ قلب العبد، ويقلل همه وغمه، فيتفرغ لعبادة ربه بقلب خفيف من أثقال الدنيا وهمومها وغمومها، يقول سفيان بن عيينة :" **من لم يصلح على تقدير الله لم يصلح على تقدير نفسه** " [1].

وفي هذا يقول عمر بن عبد العزيز ﷺ: " **لقد تركتني هؤلاء الدعوات، وما لي في شيء من الأمور كلها أرب، إلا في مواقع قدر الله، وكان كثيراً ما يدعو: اللهم رضني بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل شيء أخرته. ولا تأخير شيء عجلته**"[2].

الخامس عشر : أن الرضا يخلصه من عيب ما لم يُعِبْهُ الله، ومن ذم ما لم يذمه الله؛ فإن العبد إذا لم يرضَ بالشيء عابه بأنواع المعايب، وذمه بأنواع المذامّ، وذلك قلة حياء منه من الله، وذم لما ليس له ذنب.

السادس عشر : أن الرضا بالقدر يخلص العبد من أن يرضي الناس بسخط الله، وأن يذمهم على ما لم يؤته الله، وأن يحمدهم على ما هو عين فضل الله، فيكون ظالما لهم في الأول وهو رضاهم وذمهم، مشركاً بهم في الثاني وهو حمدهم، فإذا رضي بالقضاء تخلص من ذمهم وحمدهم ؛ فخلصه الرضا من ذلك كله [3]، لحديث عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : **(مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَسْخَطَ اللَّهَ بِرِضَا النَّاسِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ)** [4].

السابع عشر : أن رضا الله ﷻ عن عبده، أعظم سبيل لتحقيق الشفاعة يوم القيامة، فمحمد ﷺ، أزكى من ﷺ ؛ فكانت له الشفاعة العظمى، وكم من شافعٍ لا تنفع شفاعته يوم القيامة؛ لأن الله لم يأذن، ولم يرض له قولاً، ولم يرضَ عن المشفوع له، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه:١٠٩]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء:٢٨]؛ فلا بد في الشفاعة من الرضا عن الشافع، والرضا عن المشفوع له، مع إذنه ﷻ بالشفاعة [5].

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، (٢٧٨/٧).

(٢) الرضا عن الله بقضائه، ابن أبي الدنيا، (ص٥١).

(٣) انظر : مدارج السالكين، (٢٣٢/٢).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ج١/ص٥١١/ح٢٧٧)، قال شعيب الأرنؤوط : رجاله ثقات رجال الشيخين غير إبراهيم بن يعقوب وهو ثقة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (ج٥/ ص٣١٠/ ح٢٣١١)

(٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين،(١٧٠/١).

وهذا في الشفاعة العامة التي للنبي ﷺ ولسائر الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، أما الشفاعة العظمى فهي خاصة به ﷺ وهي المقام المحمود، الذي يدل على أن محمداً ﷺ خير مَنْ رضِيَ الله تعالى عنهم [١].

(١) صفة الرضا بين الإثبات والتعطيل، (ص٢٥).

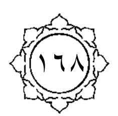
الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فقد هدفت هذه الدراسة إلى البحث في موضوع الرضا في العقيدة الإسلامية، وحاولت أن تشمله من جميع النواحي العقدية والفقهية والدعوية وغيرها، وقد توصلت الباحثة في الخاتمة إلى جملة من النتائج والتوصيات، وهي كالتالي:

أولاً: النتائج.

١. مفهوم الرضا من الله ﷻ هو خلاف السخط، وهي صفة من صفاته ﷻ، ومعنى رضاه مفهوم معلوم، وكيفيته مجهولة، والإيمان به واجب على ما يليق به تعالى.
٢. الرضا من العبد هو سكون القلب وتسليمه بأمر الله، وحمده على ما قضاه، والقناعة بما قسم قلّ أو كثر، وترك الجزع والسخط على الأقدار، والتوكل عليه في جميع أحواله، واليقين بأن الله تعالى لا يختار إلا الخير لعباده، لحكمة لا يعلمها إلا هو ﷻ.
٣. وردت كلمة الرضا في الكتاب والسنة بألفاظ متعددة تحمل نفس المعنى أو متقاربة؛ منها الركون والعتبى والقناعة والقنى والحمد.
٤. تضافرت الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على إثبات صفة الرضا لله تعالى، كما دلّ العقل الصحيح والفطرة السليمة على كماله ﷻ باتصافه بأعظم الصفات وأكملها ومنها صفة الرضا، من غير تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف.
٥. صفة الرضا عند السلف صفة ذاتية فعلية؛ فهي ذاتية باعتبار أنها لا تنفك عن ذاته ﷻ، وهي صفة فعلية اختيارية باعتبار أنها متعلقة بمشيئة الله ﷻ باختياره، فهو يرضى ويسخط متى شاء وكيفما شاء.
٦. خالف المتكلمون السلفَ في منهجهم في الصفات الفعلية الاختيارية ومنها صفة الرضا؛ فأولتها المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والشيعة الإمامية، ولم يثبتوها بحجة تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه؛ فهربوا من التشبيه إلى ما هو أشنع منه وهو التعطيل؛ ولكن السلف تصدوا لهم وأبطلوا حججهم الواهية، ونقضوا شبهاتهم الغريبة.
٧. من أسباب محبة الله لعباده ارتضاء الإسلام الذي ارتضاه لهم ديناً وعمل الصالحات التي أمر بها، ومن موانع رضا الله عن عباده الكفر و الشرك به وارتكاب المعاصي والآثام التي نهى عنها.



٨. الرضا كسبي باعتبار سببه، موهبي باعتبار حقيقته، فإذا تمكن العبد من أسباب الرضا اجتنى منها ثمرة الرضا وهو التوكل.

٩. للرضا فضيلة عظيمة وردت في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فمقامه أعلى من مقام الصبر، وهو حال من أحوال أهل الجنة، ومنزلة من منازل الشهداء في الآخرة، كما أنه أصل الطاعات كلها، وغاية يسعى إليها المؤمن الصادق.

١٠. القضاء نوعان: قضاء ديني يتضمن مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، والرضا به واجب من لوازم الإسلام، ولا يتم إسلام العبد إلا به، وقضاء كوني وهو مشيئة الله الشاملة، فيدخل فيه الكفر والإيمان، فكل ما يجري في الكون إنما يكون بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره، فما وافق منه محبة العبد ورضاه كالنعم وجب عليه أن يقابله بالشكر لله، وما خالف منه محبة العبد ورضاه كالمرض والمصائب تصبّر عليه واجتهد أن يرضى به لأن باطنه الرحمة، وأما ما يجري من القضاء الكوني باختيار العبد وقضاء الرب مما يكرهه الله ويسخطه وهي المعاصي فلا يشرع للعبد أن يرضى به بل الواجب عليه أن ينكره؛ لأنه يخالف أمر الله وأمر رسوله.

١١. لايقدح في رضا العبد بقضاء الله وقدره: الإلحاح في الدعاء كسؤال الرضا من الله وسؤال العافية وطلب النصر على الأعداء وطلب ما يُرى أنه فيه خير للمؤمن، والشكوى من الألم والمرض من غير مبالغة مع توفر الرضا في قلب العبد، والبكاء على الميت بدون عويل ونياحة.

١٢. مما ينافي الرضا بالقضاء والقدر : الاعتراض على قضاء الله الشرعي، والسخط والجزع والهلع من أقدار، وعدم الرضا بالمقسوم، وتمني الموت لضر نزل بالمرء.

١٣. ضلّ المعتزلة والأشاعرة في مذهبهم في الرضا بالقضاء والقدر، وخالفوا نهج السلف، ومنشأ ضلالهم جاء من عدم التفرقة بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية؛ فأثبت المعتزلة الإرادة الشرعية ما ترتب عليه أن يكون في ملك الله ما لا يريد كالمعاصي، وأثبت الأشاعرة الإرادة الكونية ما ترتب عليه أن يرضى الله بكل مايجري في الكون حتى الكفر والفسوق، وهذا كله مخالف لنص القرآن الكريم.

١٤. اتفق السلف على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده، فقد يحبه عندهم ويرضى مالا يريده ويكره ويسخط لما أراده.

١٥. يقوم رضا العباد بين بعضهم البعض على مبدأ الولاء والبراء؛ فالرضا عن المؤمنين واجب، والرضا عن الكفار والمشركين وما يتصل بذلك من قرائن لفظية أو عملية فهو محرم، أما أهل المعاصي من المسلمين فيُنكر عليهم معصيتهم ويسخط عنهم جانب ارتكابهم للذنوب.

١٦. للرضا ثمرات إيمانية يانعة منها: رضا الله عن العبد، وحصول الطمأنينة والسكينة في قلب الراضي، كما أنه يثمر الشكر، وينفي عن الراضي آفات الحرص على الدنيا والسخط على أقدار الله وأقضيته، والرضا أيضاً أعظم سبيل لتحقيق الشفاعة يوم القيامة.

ثانياً: التوصيات.

بناءً على نتائج البحث السابقة؛ فإن الباحثة توصي بما يلي:

أولاً: أوصي الباحثين وطلاب العلم بإعداد دراسات تفصيلية على مذهب السلف تختص بصفات الله ﷻ كلٌ على حدة، وذلك لقلة المصنفات في هذا الجانب، ولما لها من فائدة عظيمة تعود على المنتفعين من هذا العلم.

ثانياً: أوصي بإعداد بحوث علمية تختص بالمسائل العقدية الدقيقة والمستجدة في جانب الولاء والبراء، توضح بشكل مفصل أحكام ما يستجد من أمور في عصرنا الحالي، وذلك لوضع أسس صحيحة في التعامل مع الكفار والمشركين والمنافقين، ودرءًا للوقوع في المعصية من حيث لا نعلم.

ثالثاً: أوصي بكتابة رسالة علمية موسعة في موضوع الرضا بالقضاء والقدر؛ ففيه مسائل عديدة تحتاج لاستيعابها من جميع النواحي وجمع شتاتها من الكتب المتفرقة؛ فهذا الأمر مفرق طرق بين الناس، ويحتاج للتفصيل فيه لتتضح القضية بأكملها.

تم بحمد الله ، ، ،

الباحثة

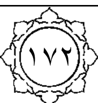
هالة رمضان العصار

الفهارس العامة

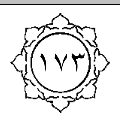
- فهرس الآيات الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات الكريمة

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة			
١.	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ	١٨٦	١٣١
٢.	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ	١٩٠	١٣١
٣.	فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ	١٩٣	٦٧، ٨٥
٤.	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ	٢٠٧	٨٧
٥.	وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ	٢١٦	٩٠
٦.	عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ	٢٣٦	٣٤
٧.	اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ	٢٥٥	١٥٠، ١٥١
٨.	فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن	٢٥٦	٧١
٩.	وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ	٢٦٥	١٠٧
١٠.	يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ	٢٧٣	٩١
سورة ال عمران			
١١.	إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ	١٩	٦٥
١٢.	لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ	٢٨	١٣٥، ١٤٧، ١٥٣
١٣.	قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ	٣٢	١٤٩
١٤.	وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن	٨٥	٦٥
١٥.	وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ	١٣٩	١١٤
١٦.	ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ	١٥٩	١٣٢
١٧.	أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ	١٦٢	٧١
١٨.	أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم	١٦٥	١٠٣
سورة النساء			
١٩.	إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي	٩٧-٩٩	١٤٧، ١٥٨
٢٠.	بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا	١٣٨-١٣٩	١٥٦



م	الآية	رقمها	الصفحة
٢١.	وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ	٢٧	١٢٥
٢٢.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ	٥٩	١٣٤، ١٣٦
٢٣.	أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ	٦٠	١٥١
٢٤.	وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ	٦٤	١١٥
٢٥.	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ	٦٥	١٠٠، ١١٤،١٣٤، ١٥٠
٢٦.	إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ	٩٧	١٤٧
٢٧.	يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ	١٠٨	٢٠
٢٨.	لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ	١١٤	٧٠، ٨٧
٢٩.	وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ	١٤٠	١٣١، ١٣٩
٣٠.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ	١٤٤	١٣٧
	سورة المائدة		
٣١.	وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ	٢	١٣٠
٣٢.	ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ	٣	٦٥
٣٣.	وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ	٣	١٢٨
٣٤.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ	٨	١٢٩
٣٥.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ	٥١	١٣٦، ١٥٤
٣٦.	يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ	٥٤	١٢٩
٣٧.	لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ	٧٨-٧٩	١٣٩
٣٨.	تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ	٨٠	٧٤
٣٩.	وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ	٨١	١٥٤
٤٠.	وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ	٩٥	٤٢
٤١.	رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ	١١٩	٩، ٦١
٤٢.	قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ	١١٩	١٩
	سورة الانعام		



م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٣.	وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ	٦٠-٥٩	١٠٠
٤٤.	وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ	١٢١	١٥٣
٤٥.	وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ	١٢٥	٢
٤٦.	فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ	١٢٥	٤٦، ١٢٤
٤٧.	قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ	١٦٤	٩٦
٤٨.	وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ يَفۡعَلُونَ	١٦٤	١٤٠
سورة الاعراف			
٤٩.	قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ	٨٩-٨٨	١٤٥
٥٠.	رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ	١٢٦	١١٧
٥١.	وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا	١٥٠	٤٢
٥٢.	وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ	١٨٠	١٢
سورة الانفال			
٥٣.	إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ	٩	١٠٧
٥٤.	وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ	٢٥	١٤٠
سورة التوبة			
٥٥.	وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ	١٢	١٤٣
٥٦.	لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا	٤٠	١١٤
٥٧.	وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ	٤٦	٣٩
٥٨.	وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ	٥٩-٥٨	٩٤
٥٩.	وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا	٦٦-٦٥	١٤٢
٦٠.	وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ	٧٢	١٩، ٧٨، ١١٩
٦١.	يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن	٩٦	٢٠، ٧٢، ١٠٥
٦٢.	وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ	١٠٠	٦٨، ٨٥
سورة يونس			
٦٣.	وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ	١٩	٨٩
٦٤.	وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا	١٠٥	١٣٦

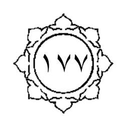
	سورة هود		
٦٥.	قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ	٤٦	١٥٦
٦٦.	﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ	١١٣	١٣، ١٥٢
	سورة يوسف		
٦٧.	كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ	٢٤	٨٢
٦٨.	وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ	٨٤	١١٠
٦٩.	قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى	٨٦	١٠٨
٧٠.	تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ	١٠١	١١٧
	سورة ابراهيم		
٧١.	لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ	٧	١٠٠
٧٢.	وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ	٢٧	٣٤
	سورة النحل		
٧٣.	لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ	٦٠	٢٦
٧٤.	فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ	٧٤	٢٦
٧٥.	ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ	٨٤	١٤
٧٦.	مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ	١٠٦	١٤٣
	سورة الاسراء		
٧٧.	وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ	٤	٨٩
٧٨.	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ	٢٣	٨٩، ٩٤، ١٣٢
٧٩.	عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا	٧٩	١٦
	سورة الكهف		
٨٠.	وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ	١٦	١٥٦
	سورة مريم		
٨١.	يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ	٢٣	١١٧
٨٢.	إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ	٣٥	٩٩
٨٣.	وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ	٤٨	١٥٦



م	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة طه		
٨٤.	ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ	٥٠	١
٨٥.	كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ	٨١	٤١
٨٦.	وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ	٨١	٢٥، ٥٨
٨٧.	وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ	٨٣-٨٤	٦٩
٨٨.	وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ	٨٤	١٦٤
٨٩.	فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ	٧٢	٨٩
٩٠.	يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ	١٠٩	١٦٦
	سورة الانبياء		
٩١.	وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ	٢٨	١٦٦
٩٢.	وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ	٧٦	١٠٦
٩٣.	وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ	٨٤	١٠٦
٩٤.	وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ	٨٧-٨٨	١٠٦
٩٥.	وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا	٨٩-٩٠	١٠٦
	سورة الحج		
٩٦.	وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّ	٣٦	١٤
	سورة النور		
٩٧.	وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى	٤٧-٤٨	١٤٨
٩٨.	إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ	٥١	١٤٨
٩٩.	فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ	٦٣	١٤٩
	سورة الفرقان		
١٠٠.	وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ	٧٢	١٥٦
	سورة الشعراء		
١٠١.	يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ	٨٨-٨٩	١٦٣
	سورة النمل		
١٠٢.	فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ	١٥	



١٠٣.	فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ	١٩	٦٦، ٨٥
سورة القصص			
١٠٤.	إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ	٧٦-٧٨	٨٤
١٠٥.	لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا	٨٢	٨٤
سورة الروم			
١٠٦.	وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ	٢٧	٢٦
١٠٧.	مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟	٣١	١٣٦
سورة لقمان			
١٠٨.	إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	١٣	١٥٢
سورة السجدة			
١٠٩.	إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ	٢٢	٤٢
سورة الاحزاب			
١١٠.	مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا	١٢	١٦٣
١١١.	هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ	٢٢	١٦٣
١١٢.	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى	٣٦	١٤٨
سورة سبأ			
١١٣.	فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ	١٤	٨٩
سورة فاطر			
١١٤.	وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ	١٨	١١٥
سورة ص			
١١٥.	إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا	٤٤	١٠٦
سورة الزمر			
١١٦.	وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ	٧	١٠٥
١١٧.	وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ	٧	ب، ٧١
١١٨.	إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا	٧	٢٠، ١٥٧
١١٩.	أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ	٢٢	٢



سورة فصلت			
١٢٠.	فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ	١٢	٨٩
١٢١.	ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا	٣٤	١٣٢
١٢٢.	إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ	٤٠	٢٧
سورة الشورى			
١٢٣.	لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ	١١	٣١
سورة الزخرف			
١٢٤.	فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ	٥٥	٤٢
سورة محمد			
١٢٥.	إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم	٢٦-٢٥	١٥١
١٢٦.	فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ	٢٨-٢٧	٧٢
١٢٧.	ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ	٢٨	٢١
سورة الفتح			
١٢٨.	لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ	١٨	٢٠
سورة ق			
١٢٩.	وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ	٣٨	٣٤
سورة الذاريات			
١٣٠.	وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ	٥٦	١
سورة النجم			
١٣١.	وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ	٤٨	١٥
سورة الحديد			
١٣٢.	لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا	٢٣	٨٢
١٣٣.	مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ	٢٣-٢٢	٩١
سورة المجادلة			
١٣٤.	لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ	٢٢	٢٠، ٦٨، ١٥٣
١٣٥.	أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم	٢٢	٦٤



١٣٦.	وَيُدْخِلْهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ	٢٢	٨٥
سورة الحشر			
١٣٧.	لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ	٨	٢٠، ٦٨
سورة الممتحنة			
١٣٨.	قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ	٤	١٥٤
١٣٩.	لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ	٨-٩	١٣٦
سورة التغابن			
١٤٠.	مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ	١١	١١٩
١٤١.	مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ	١١-١٣	٩٢
سورة المطففين			
١٤٢.	كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ	١٥	٤٠
سورة الاعلى			
١٤٣.	وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ	٣	٩٠
سورة الفجر			
١٤٤.	وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ	١٦	٩٠
١٤٥.	يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ	٢٧-٢٨	٨١
١٤٦.	يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ	٢٧-٣٠	٩٨
سورة البلد			
١٤٧.	ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟	١٧	١١٠
سورة البينة			
١٤٨.	رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ	٨	١، ٥٣، ١٠٤
١٤٩.	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ	٦-٨	٦٦
١٥٠.	إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ	٧-٨	٧٧

فهرس الأحاديث الشريفة

م	طرف الحديث	رقم الصفحة
١.	اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن...	٨٣
٢.	احْتَجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ الجَنَّةُ...	٤٣
٣.	إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها...	١٠٥، ١٣٨
٤.	أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن...	١١٥
٥.	أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة...	١٠٢
٦.	أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْوَدُودُ...	١٣٣
٧.	أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ...	١١٠
٨.	ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت...	١٤٠
٩.	إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ...	٨٤
١٠.	إن استطعت أن تعمل بالرضا مع اليقين فافعل...	١٠٤
١١.	إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ...	٢٢، ٦٩، ٧٣
١٢.	إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول...	٩٣، ١١٣
١٣.	إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب...	٩٩
١٤.	إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ...	٧١
١٥.	إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا...	٢٣، ٦٦
١٦.	إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ...	٢١
١٧.	إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدِّدَ لَيُدْرِكُ...	١٦٦
١٨.	إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ...	١٥٦
١٩.	إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ...	١٢٩
٢٠.	أن فَرْوَةَ بْنَ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ أهدى رَسُولُ...	١٦٠
٢١.	أنا برئ ممن برئ منه رسول الله...	١١٧
٢٢.	إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم...	١٤٨
٢٣.	إنكم لتعملون أعمالاً، هي أدق في أعينكم...	١٤٢
٢٤.	إنما الأعمال بالنيات...	١٤٠
٢٥.	إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ...	١٣٦
٢٦.	إِنَّهُ سَتَكُونُ أُمَرَاءُ تَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ...	١٣١

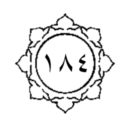
م	طرف الحديث	رقم الصفحة
٢٧.	إني لم أَكْسُكَها لتلبسها...	١٥٩
٢٨.	الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون...	٩٥
٢٩.	بيعاً أم عطية، أو قال: أم هبة...	١٦١
٣٠.	تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً...	١٤١
٣١.	تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ...	١١٩
٣٢.	ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي...	٧٩
٣٣.	جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا...	٧٩
٣٤.	خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر...	١٠٩
٣٥.	ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام...	١، ٩٣، ٩٦، ١٢٧
٣٦.	رِضَا الرَّبِّ في رَضَا الوَالِدَيْنِ، وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِهِمَا...	١٣٤
٣٧.	شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ...	١٢٠
٣٨.	عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كله خير...	١٠١
٣٩.	عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا...	٢٢، ٧٢ ، ٨٧
٤٠.	عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قِيلَ: أَرَأَيْتَ...	١١٨
٤١.	غزونا مع النبي ﷺ تبوك، وأهدى ملك أيلة للنبي...	١٦٠
٤٢.	فأحسني، فإنه جنتك ونارك...	١٣٥
٤٣.	فإني نهيت عن زبد المشركين...	١٦١
٤٤.	فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ...	١٠٣
٤٥.	قَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي...	٧١
٤٦.	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا...	١٥
٤٧.	لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا...	١٥٨
٤٨.	لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ...	١٠٨
٤٩.	لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ...	١٤
٥٠.	لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ فَإِنْ كَانَ...	١١٧
٥١.	لاَ يَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَالْكُفْرُ فِي قَلْبٍ...	١٥٤
٥٢.	لايزني الزَّانِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ...	١٣١

م	طرف الحديث	رقم الصفحة
٥٣.	لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ...	٧٠
٥٤.	لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللَّهُ...	١٣٠
٥٥.	لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ...	٣٦
٥٦.	لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ...	٤١
٥٧.	اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ...	٢٢، ٤٠
٥٨.	اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي...	٩١، ٩٣
٥٩.	اللهم إني أستخيرك بعلمك، و أستقدرك بقدرتك...	٩٣
٦٠.	اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِرِضَاكَ...	٢٢
٦١.	اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ...	١١٩
٦٢.	اللهم أين ما وعدتني ؟ اللهم أنجز ما وعدتني...	١٠٨
٦٣.	اللهم في الرفيق الأعلى...	١١٨
٦٤.	لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا...	١١٥
٦٥.	ما أصاب عبداً همٌ ولا حزنٌ فقال: اللهم...	٨٢
٦٦.	مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ...	٣٧
٦٧.	ما قال أحد قط إذا أصابه همّ أو حزن...	١٠٢
٦٨.	ما من مسلم يشاك شوكة، فما فوقها إلا...	١٠١
٦٩.	ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا...	١٣٩، ١٤٧
٧٠.	المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على...	١٣٦
٧١.	مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ...	١٦٧
٧٢.	من تشبه بقوم فهو منهم...	١٥٦
٧٣.	من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن...	١٤٠
٧٤.	من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد...	١٠٨
٧٥.	مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَتُهُ الله، وَمِنْ سَعَادَةِ...	١١٤، ١٦٤
٧٦.	من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله...	٩٧
٧٧.	من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله...	٨٧
٧٨.	مَنْ لَا يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ...	١٠٨
٧٩.	الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ...	١٢٠
٨٠.	وا رأساه...؛ فقال النبي ﷺ: بل أنا وا رأساه...	١١٠

م	طرف الحديث	رقم الصفحة
٨١.	وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ...	٨٤
٨٢.	وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا...	١٦٥
٨٣.	والذي نفسي بيده، وددت أني أقاتل في...	١١٨
٨٤.	وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ...	٢٢، ٧٤
٨٥.	وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ...	٣٩
٨٦.	وَإِنَّ اللهَ ﷻ إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ...	٤٠
٨٧.	وَانَبِيَّاهْ، واخَلِيلَاهْ، وَاصَفِيَّاهْ...	١١٧
٨٨.	وَمَنْ أَسْخَطَ اللَّهَ بِرِضَا النَّاسِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ...	١١٤، ١٦٧
٨٩.	وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ...	٢٢، ٧٤، ٨٧
٩٠.	وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ...	٢٣، ٧٤
٩١.	يأكل أهل الجنة فيها...	٧١
٩٢.	يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا...	٣٨

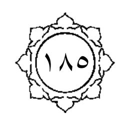
فهرس الآثار

م	الأثر	رقم الصفحة
١.	اجْتَنِبُوا أَعْدَاءَ اللهِ فِي عِيدِهِمْ...	١٦٠
٢.	دخلت أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء...	١١١
٣.	هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم...	١٢١
٤.	وبحسب امرئ يرى منكراً لا يستطيع...	١٤٨
٥.	يا أمير المؤمنين آية في كتابكم...	٦٦
٦.	إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض	١٥
٧.	حظ الخلق من اليقين على قدر حظهم	٨٠
٨.	علامة الشكر، الرضا بقدر الله	٨٠
٩.	ثلاث مقامات لا حد لها	٨١
١٠.	ذروة سنام الإيمان الصبر للحكم	٨١
١١.	أما بعد، فإن الخير كله في الرضا	٨٣
١٢.	باب الله الأعظم	٨٤
١٣.	ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني	٨٥
١٤.	ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده	٨٧
١٥.	منذ أربعين سنة ما أقامني الله	٨٧
١٦.	الرضا أفضل من الزهد في الدنيا	٨٧
١٧.	يا ابن آدم نعمة الله عليك فيما تكره	٨٨
١٨.	إن الراضين بقضاء الله الذين ما	٩٤
١٩.	أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القدر	١٦٦
٢٠.	الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيهما	١٦٥
٢١.	ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت	١٦٥
٢٢.	من لم يصلح على تقدير الله	١٦٦
٢٣.	لقد تركتني هؤلاء الدعوات	١٦٦



فهرس الأعلام المترجم لهم

م	العَلَمْ	رقم الصفحة
١.	ابن أبي العز الحنفي	٢١
٢.	ابن الأَثِير	٣٧
٣.	ابن تيمية	١١
٤.	ابن جرير الطبري	١٠
٥.	ابن حجر العسقلاني	١٠٣
٦.	ابن خزيمة	١١
٧.	ابن عبد البرّ	٢٤
٨.	ابن عثيمين	٤٣
٩.	ابن قيم الجوزية	٢٢
١٠.	ابن كثير	١٤
١١.	أبو اسحاق الإسفراييني	١٢٢
١٢.	أبو بكر بن العربي	١٤٣
١٣.	أبو حنيفة	٢٥
١٤.	أبو منصور الماتريدي	٥٣
١٥.	أبو يعلى ابن الفراء	٣٧
١٦.	أحمد بن حنبل	٢٥
١٧.	الأصبهاني	٤١
١٨.	بدر الدين العيني	٥٤
١٩.	السفاريني	٩٠
٢٠.	سيد قطب	٦٦
٢١.	الشافعي	٢٧
٢٢.	الشنقيطي	١٩
٢٣.	الشوكاني	١٥١
٢٤.	الصابوني	٢٤
٢٥.	الطحاوي	٢٤



م	العَلَمْ	رقم الصفحة
٢٦.	الغزالي	٨٦
٢٧.	القاضي عبد الجبار	٤٨
٢٨.	القرطبي	٥١
٢٩.	القشيري	٧٦
٣٠.	النَّوَوِي	٩٦

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

٢. إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلى الفراء، تحقيق: محمد بن حمد النجدي، دار إيلاف الدولية – الكويت.

٣. أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م.

٤. أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري و شاكر بن توفيق العاروري، دار رمادى – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٥. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة – بيروت.

٦. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٧. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٩م.

٨. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٩. أساس التقديس للرازي، تحقيق: د. أحمد السقا، دار الجيل – بيروت.

١٠. الاستقامة، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١١. أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس – الأردن، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٢. أصول الإيمان، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ.

١٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر – بيروت، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

١٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

١٥. الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.



١٦. الاقتصاد في الاعتقاد، الإمام محمد الغزالي، شرح وتعليق: د. إنصاف رمضان ، دار قتيبة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
١٧. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب– بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
١٨. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى الكلاعي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
١٩. الأمالي، للإمام عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران، ضبط النص: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزاري، دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٢٠. أمراض القلب وشفاؤها، ابن تيمية، المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
٢١. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به في علم الكلام، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٧م.
٢٢. الإيمان، ابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – عمان، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.
٢٣. الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، دار عمر بن الخطاب – الاسكندرية.
٢٤. البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري ، دار الفكر المعاصر– بيروت/دمشق، الطبعة الأولى.
٢٥. بحر العلوم ، أبو الليث السمرقندي.
٢٦. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.
٢٧. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
٢٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.
٢٩. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٣٠. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٣١. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٣٢. البيهقي وموقفه من الإلهيات، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٣. تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٣٤. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد الدِّيار بَكْري، دار صادر- بيروت.

٣٥. التاريخ الكبير، أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٨٦م.

٣٦. تبصرة الأدلة في أصول الدين، أبو معين ميمون بن محمد النسفي، تحقيق: د. حسين أتاي، نشريات رئاسة الشؤون الدينية للجمهورية التركية – أنقرة، ١٩٩٣م.

٣٧. التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت.

٣٨. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، عثمان بن علي فخر الدين الزيلعي الحنفي، المطبعة الكبرى الأميرية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٣ هـ.

٣٩. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٠. التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية، المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٤١. تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، الشيخ: إبراهيم اللقاني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٤٢. التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، ابن تيمية، تحقيق: د.محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٤٣. تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٤٤. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض اليحصبي، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة – المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٦٦ – ١٩٧٠م.

٤٥. التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر الكلاباذي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٦. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٤٧. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.



٤٨. التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ– ١٩٨١م.
٤٩. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.
٥٠. تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٥١. تقريب التدمرية، ابن عثيمين، دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٥٢. تقريب التهذيب، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو الأشبال الصغير أحمد شاغف الباكستاني، تقديم: بكر أبو زيد، دار العاصمة.
٥٣. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ.
٥٤. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٥٥. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي، عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ –١٩٩٠م.
٥٦. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م.
٥٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.
٥٨. التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٥٩. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.
٦٠. جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤م.
٦١. الجامع الكبير، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الجيل – بيروت + دار العرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

٦٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٦٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
٦٤. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود بن عبد الله الآلوسي، قدم له: علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٦٥. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، مطبعة المدني – القاهرة.
٦٦. حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي.
٦٧. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية – الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٦٨. حد الإسلام وحقيقة الإيمان، الشيخ عبد المجيد الشاذلي، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.
٦٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
٧٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت.
٧١. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ – ١٩٩١م.
٧٢. دراسات في العقيدة الإسلامية، محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.
٧٣. دراسات في توحيد الأسماء والصفات الإلهية، د. جابر السميري – د. سعد عاشور، مطبعة المنارة – غزة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٧٤. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعلماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م.
٧٥. الدعوات الكبير، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق – الكويت، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
٧٦. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، الحافظ عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار ابن عفان – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٧٧. ذم التأويل، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٧٨. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال – بيروت، الطبعة الأولى.
٧٩. الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف، دار المعارف – القاهرة.
٨٠. الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله، ابن تيمية، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، مطبعة المدني – القاهرة، الطبعة السادسة.
٨١. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، طبعة ١٤١٣هـ.
٨٢. الرضا بالقضاء، د. سالم القرني، جامعة الملك خالد – الرياض.
٨٣. الرضا عن الله بقضائه، ابن أبي الدنيا، تحقيق: ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية – بومباي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٨٤. الروح، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. محمد تامر، دار الفجر – القاهرة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٨٥. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، طبعة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٨٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة – بيروت، مكتبة المنار الإسلامية – الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٨٧. الزهد، هنّاد بن السرّي، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٨٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م.
٨٩. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ –١٩٩٢م.
٩٠. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الجيل – بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، الطبعة الأولى.
٩١. سنن أبي داود بحاشيته عون المعبود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد ناصر الألباني، دار الكتاب العربي – بيروت.
٩٢. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، الطبعة الأولى.



٩٣. السنن الكبرى، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ–١٩٩٤م.
٩٤. سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة – بيروت، ١٤٢٠هـ، الطبعة الخامسة.
٩٥. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.
٩٦. شرح أسماء الله الحسنى (لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات)، الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٤٨٤م.
٩٧. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه: د.عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.
٩٨. شرح الرسالة التدمرية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، طبعة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٩٩. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
١٠٠. شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
١٠١. شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
١٠٢. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام – مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١٠٣. شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، تحقيق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي – الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ.
١٠٤. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن خليل هرّاس، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه: علوي السقاف، دار الهجرة – الخبر، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.
١٠٥. شرح الفقه الأبسط لأبي الليث السمرقندي.
١٠٦. شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد الزَّوْزَني، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١٠٧. شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، ابن عثيمين، تحقيق: هاني الحاج، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.



١٠٨. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد – الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م.

١٠٩. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة – بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م.

١١٠. الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي – الرياض.

١١١. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، الطبعة الثانية.

١١٢. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصدّيق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١١٣. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الخامسة.

١١٤. صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت.

١١٥. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، إخراج وتنفيد بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية– الرياض، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.

١١٦. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني.

١١٧. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، محمد أمان بن علي جامي، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١١٨. الصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين بياناً وتفصيلاً، د. جابر السميري، الدار السودانية – الخرطوم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥٨م.

١١٩. صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الدرر السنية – دار الهجرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦م.

١٢٠. صفة الرضا بين الإثبات والتعطيل وأثر الإيمان بها في حياة المسلم، د: سالم القرني.

١٢١. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، تحقيق د: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨م.

١٢٢.طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي – د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

١٢٣. طبقات الشافعيين، ابن كثير، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

١٢٤.طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، دار السلفية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

١٢٥.ظلال القرآن، سيد قطب، دار لشروق – بيروت، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

١٢٦.العبودية، ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١٢٧.عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم، دار ابن كثير – دمشق، مكتبة دار التراث – المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

١٢٨. العرش، شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٢٩.عقائد الإمامية الإثنا عشرية، سيد إبراهيم الموسوي الزنجاني، الطبعة الخامسة، ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م.

١٣٠.عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، قدّم له: د. حامد حفني داود.

١٣١. عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق عبد الرحمن الشميري، تقديم الشيخ: يحيى الحجوري، دار عمر بن الخطاب – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.

١٣٢. العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٣٣. العقيدة في الله، د. عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م.

١٣٤.عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٣٥.عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم أبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.

١٣٦. العين والأثر في عقائد أهل الأثر، ابن فَقِيه فُصَّة، تحقيق: عصام قلعجي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٣٧. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، شمس الدين السفاريني، مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

١٣٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين القمي النيسابوري، تحقيق الشيخ: زكريا عميران، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

١٣٩. الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

١٤٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩م.

١٤١. فتح الباري، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

١٤٢. فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٤ هـ.

١٤٣. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، الطبعة السابعة، ١٣٧٧هـ– ١٩٥٧م.

١٤٤. فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ابن عثيمين، دار الوطن للنشر – الرياض.

١٤٥. الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر الاسفراييني، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

١٤٦. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية – جدة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

١٤٧. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة – القاهرة.

١٤٨. فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب ، محمد نصر الدين محمد عويضة .

١٤٩. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم ، مكتبة الخانجي – القاهرة.

١٥٠. الفصول في السيرة، ابن كثير، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

١٥١. الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة الرابعة.

١٥٢. الفقه الأكبر، أبو حنيفة النعمان، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١٥٣. القضاء والقدر وعلاقتهما بأفعال العباد، د. جابر السميري، مطبعة دار المنارة – غزة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

١٥٤. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ابن عثيمين، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
١٥٥. قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي، تحقيق: د. عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١٥٦. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي – الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
١٥٧. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، ابن خزيمة، تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
١٥٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.
١٥٩. الكَشْف المُبْدِي لتمويه أبي الحسن السُّبكيّ، تكملة «الصّارم المنكي»، محمد بن حسين بن سليمان بن إبراهيم الفقيه، دراسة وتحقيق: د. صالح بن علي المحسن، د. أبو بكر بن سالم شهال، دار الفضيلة – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
١٦٠. لا تحزن، د. عائض القرني، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١٦١. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي النعماني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.
١٦٢. لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
١٦٣. لمعة الاعتقاد، ابن قدامة المقدسي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
١٦٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الإمام السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
١٦٥. الماتريدية دراسة وتقويماً، أحمد عوض الله اللهيبي الحربي، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
١٦٦. الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، الشمس السلفي الأفغاني، مكتبة الصديق – الطائف، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
١٦٧. متن القصيدة النونية، ابن القيم، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

١٦٨. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت.
١٦٩. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٧٠. مجموعة التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، راجعه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، حققه وخرّج أحاديثه: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد-الطائف، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
١٧١. محاسن التأويل، محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
١٧٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
١٧٣. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
١٧٤. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: ابن قيم الجوزية، اختصره: ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٧٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى.
١٧٦. المرتبع الأسنى في رياض الأسماء الحسنى، ابن القيم، جمع وإعداد: عبد العزيز الداخل.
١٧٧. المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص، أبوعبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، بإشراف: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة – بيروت.
١٧٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى.
١٧٩. مشكل الحديث وبيانه، ابن فورك، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
١٨٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحموي، المكتبة العلمية – بيروت.
١٨١. المُصَنَّف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة.

١٨٢. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.
١٨٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٨٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١٨٥. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥هـ.
١٨٦. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية.
١٨٧. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، طبعة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١٨٨. المغني في أبواب العدل والتوحيد، القاضي أبو الحسن عبد الجبار، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور سليمان دنيا، الدار المصرية – القاهرة.
١٨٩. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
١٩٠. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٢هـ.
١٩١. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، دار ابن كثير – بيروت.
١٩٢. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.
١٩٣. المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد، المحقق: مصطفى بن العدوي، دار بلنسية – الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
١٩٤. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
١٩٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
١٩٦. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٩٧. موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
١٩٨. النبوات، ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
١٩٩. نسخة وكيع عن الأعمش، وكيع بن الجراح، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الدار السلفية – الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
٢٠٠. نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية، خالد بن علي المرضي الغامدي، دار أطلس الخضراء – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
٢٠١. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٠٢. نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث – مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
٢٠٣. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٢٠٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض و د. أحمد محمد صيرة و د. أحمد عبد الغني الجمل و د.عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
٢٠٥. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٢٠٦. وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.
٢٠٧. الولاء والبراء في الإسلام، محمد القحطاني، تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار طيبة- الرياض، الطبعة الأولى.

الكتب الالكترونية:

١. تصحيح اعتقادات الإمامية ، الإمام الشيخ المفيد ، تحقيق: حسن دركاهى ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، مطبعة مهر، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ ، ص٤٢ ، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ، هاشم معروف الحسيني ، إعداد شبكة الإمامين الحسنين عليهما السلام



للتــــراث والفكــــر الإســــلامي ، موقـــع الشـــبكة علـــى الشـــبكة العنكبوتيـــة ، http://www.alhassanain.com .

٢. التوحيـد ، محمـد بـن علـي بـن بابويـه القمـي (الصـدوق) ، تحقيـق السـيد هاشـم الحسـيني الطهرانـي ، إعداد مركز الأبحاث العقائدية – النجف الأشرف ، موقع المركز على الشبكة العنكبوتية http://www.aqaed.com .

٣. العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت ، الشيخ جعفر السبحاني ، نقله إلى العربية جعفر الهـادي ، إعداد مركز الأبحـاث العقائديـة – النجـف الأشـرف ، موقـع المركـز علـى الشبكة العنكبوتية http://www.aqaed.com .

المواقع الالكترونية :

١. موقع اسلام ويب ، http://www.islamweb.net/fatwa/index.php

٢. موقع الإسلام سؤال وجواب ،http://islamqa.info/ar/ref/٨٥١٠٨

٣. موقع الشيخ أبو بصير الطرطوسي ، http://www.altartosi.com

٤. موقع إمام المسجد ، http://www.alimam.ws/ref/١٠٣٣

٥. موقـــع فضـــيلة الشـــيخ العلامـــة محمـــد بـــن صـــالح العثيمـــين، http://www.ibnothaimeen.com



فهرس الموضوعات

الإهداء..أ

شكر وتقدير..ب

المقدمة ١

التمهيد ٨

المبحث الأول: مفهوم الرضا..٩

المطلب الأول: الرضا لغة..٩

المطلب الثاني: الرضا اصطلاحاً...١٠

المبحث الثاني: نظائر كلمة الرضا في القرآن والسنة. ١٣

الفصل الأول: **رضا الله سبحانه وتعالى** ١٧

المبحث الأول: صفة الرضا والأدلة على إثباتها ١٩

المطلب الأول: الأدلة من القرآن الكريم على صفة الرضا...........................١٩

المطلب الثاني: الأدلة من السنة النبوية على صفة الرضا...........................٢١

المطلب الثالث: الأدلة من الإجماع على صفة الرضا...............................٢٣

المطلب الرابع: دلالة العقل على صفة الرضا...٢٦

المطلب الخامس: دلالة الفطرة على صفة الرضا.....................................٢٨

المبحث الثاني: مذهب السلف في إثبات صفة الرضا..............................٣٠

المطلب الأول: اعتقاد السلف في صفة الرضا لله ﷻ.................................٣٠

المطلب الثاني: علاقة صفة الرضا ببعض صفات الله ﷻ.............................٣٥

المبحث الثالث: مذاهب المخالفين في صفة الرضا والرد عليهم ٤٦

تمهيد: ٤٦

المطلب الأول: مذهب المعتزلة في صفة الرضا......................................٤٧

المطلب الثاني: مذهب الأشاعرة في صفة الرضا....................................٤٩

المطلب الثالث: مذهب الماتريدية في صفة الرضا...................................٥٢

المطلب الرابع: مذهب الشيعة الإمامية في صفة الرضا. ٥٥

المطلب الخامس: شبهات المخالفين في نفي صفة الرضا والرد عليهم...............٥٨

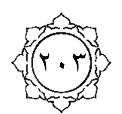
المبحث الرابع: رضا الله ﷻ، أسبابه وموانعه......................................٦٤

تمهيد: ٦٤

المطلب الأول: أسباب رضا الله ﷻ عن العباد.......................................٦٤



المطلب الثاني: موانع رضا الله ﷻ عن العباد. ٧١
الفصل الثاني: رضا العباد وعلاقته بمسائل الاعتقاد ٧٤
المبحث الأول: رضا العباد.. حقيقته وفضله ومنزلته........................ ٧٦
المطلب الأول: حقيقة رضا العباد. ٧٦
المطلب الثاني: فضل الرضا........................ ٧٧
المطلب الثالث: منزلة الراضي. ٨٤
المبحث الثاني: الرضا وعلاقته بمسائل القضاء والقدر ٨٩
المطلب الأول: مذهب السلف في الرضا بالقضاء والقدر. ٨٩
المطلب الثاني: مذاهب المخالفين في الرضا بالقضاء والقدر. ١٢٠
المبحث الثالث: الرضا وعلاقته بمسائل الولاء والبراء. ١٢٦
تمهيد: ١٢٦
المطلب الأول: الرضا وعلاقته بمسائل الولاء. ١٢٧
المطلب الثاني: الرضا وعلاقته بمسائل البراء. ١٣٥
المبحث الرابع: ثمرات الرضا اليانعة. ١٦٣
الخاتمة ١٦٨
أولاً: النتائج ١٦٨
ثانياً: التوصيات. ١٧٠
الفهارس العامة ١٧١
فهرس الآيات الكريمة ١٧٢
فهرس الأحاديث الشريفة ١٨٠
فهرس الآثار ١٨٤
فهرس الأعلام المترجم لهم ١٨٥
فهرس المصادر والمراجع ١٨٧
فهرس الموضوعات ٢٠٢
ملخص الرسالة ٢٠٤
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية ٢٠٥



ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، أما بعد..

يتناول البحث موضوع الرضا في العقيدة الإسلامية، حيث إن الرضا قد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية منسوباً إلى الله ﷻ، وكذلك منسوباً إلى العبد، وكلٌ له مفهومه المستقل.

ومع ذلك فإن رضا الله ورضا العبد مرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً؛ فإذا رضي العبد بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً؛ ذاق حلاوة الإيمان، وفاز برضا الله ﷻ، وتنعّم في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

وقد اشتمل البحث على تمهيد وفصلين وخاتمة، وتناول التمهيد مفهوم الرضا ونظائر كلمة الرضا في القرآن والسنة، وأما الفصل الأول فتناولت فيه رضا الله ﷻ كصفة إلهية له ﷻ، من خلال أربعة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: صفة الرضا والأدلة على إثباتها من القرآن والسنة والإجماع والعقل والفطرة، والمبحث الثاني: مذهب السلف في إثبات صفة الرضا لله ﷻ إثباتاً يليق بجلاله دون تشبيه أو تحريف مع بيان علاقة صفة الرضا ببعض صفات الله تعالى، والمبحث الثالث: مذاهب المخالفين من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والشيعة الإمامية في صفة الرضا مع عرض أهم الشبهات التي احتجوا بها والرد عليهم، والمبحث الرابع: أسباب وموانع رضا الله ﷻ عن العباد.

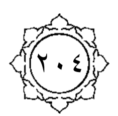
أما الفصل الثاني فتناولت فيه رضا العباد وعلاقته بمسائل الاعتقاد، وكان في أربعة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: مفهوم رضا العباد وحقيقته وفضله ومنزلة الراضي، والمبحث الثاني: الرضا وعلاقته بمسائل القضاء والقدر مع بيان أنواع القضاء وما ينافي الرضا بالقضاء والقدر، وعرض مذاهب المخالفين في الرضا بالقضاء والقدر، والمبحث الثالث: الرضا وعلاقته بمسائل الولاء والبراء مع بيان صور الرضا والتراضي بين المسلمين وما يحرم من الموالاة والرضا بأعمال الكافرين، والمبحث الرابع: ثمرات الرضا اليانعة.

أما الخاتمة: فكتبت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

وأيضاً وضعت عدداً من الفهارس وذلك ليسهل الاستفادة منه، وملخص الرسالة باللغة العربية واللغة الإنجليزية.

تمّ بحمد الله، ،



ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

Abstract

Thanks to Allah the Almighty and blessings and peace upon our prophet Mohammad.

The thesis investigates the concept of contentedness in Islamic faith as the term appears several times in the Holy Koran and the Sunna in its relation to Allah and man but in different meaning.

However, Allah's satisfaction and man's contentedness are closely related because when man is contented with God as a lord and Islam as a religion ,and Mohammad as a prophet and messenger , he secures God's satisfaction with him and consequently enjoys a life in paradise whose width is the earth and heavens prepared for the righteous

The thesis is divided into an introduction , two chapters

and a conclusion.The introduction thoroughly covered the concept of satisfaction and its near synonyms in the Koran and Sunna as a Godly attribute in four themes as follows:The first theme deals with satisfaction attribute , evidence and substantiation from the Koran a, sunna ,consensus, mind ,and sound nature. The second investigates the salafites' approach in attributing the satisfaction epithet to Allah in such a way that suits Him and His majesty without drawing similitude or making deformation in addition to demonstrating the close relationship between satisfaction and the other epithets of Allah. The third investigates the dissidents' approaches of Amutazela , Ashariites ',Matardites and Shiites concerning the satisfaction attribute besides displaying and refuting the dissidents' raised arguments and questions. The fourth deals with the causes that incur God's dissatisfaction with humans.

The second chapter explores human's contentedness with its relation with four issues. It includes four themes: the concept of humans' contentedness , its nature and merit besides the status of the contented person. The second deals with contentedness with its relation to determinism an d fatalism in addition to discussing types of determinism and the forms of non-satisfaction with fate and destiny , and finally exploring the dissidents' approaches regarding satisfaction with fate an d destiny. The third covers contentedness with its relation to allegiance and renunciation (walla and baraa) besides demonstrating various forms of contentedness, and mutual consent among Muslims besides the issues in which Muslims are not allowed to show satisfaction with the acts of disbelievers. The fourth deals with the fruits of being contented.

The conclusion includes the most important findings and recommendations reached by the researcher.

